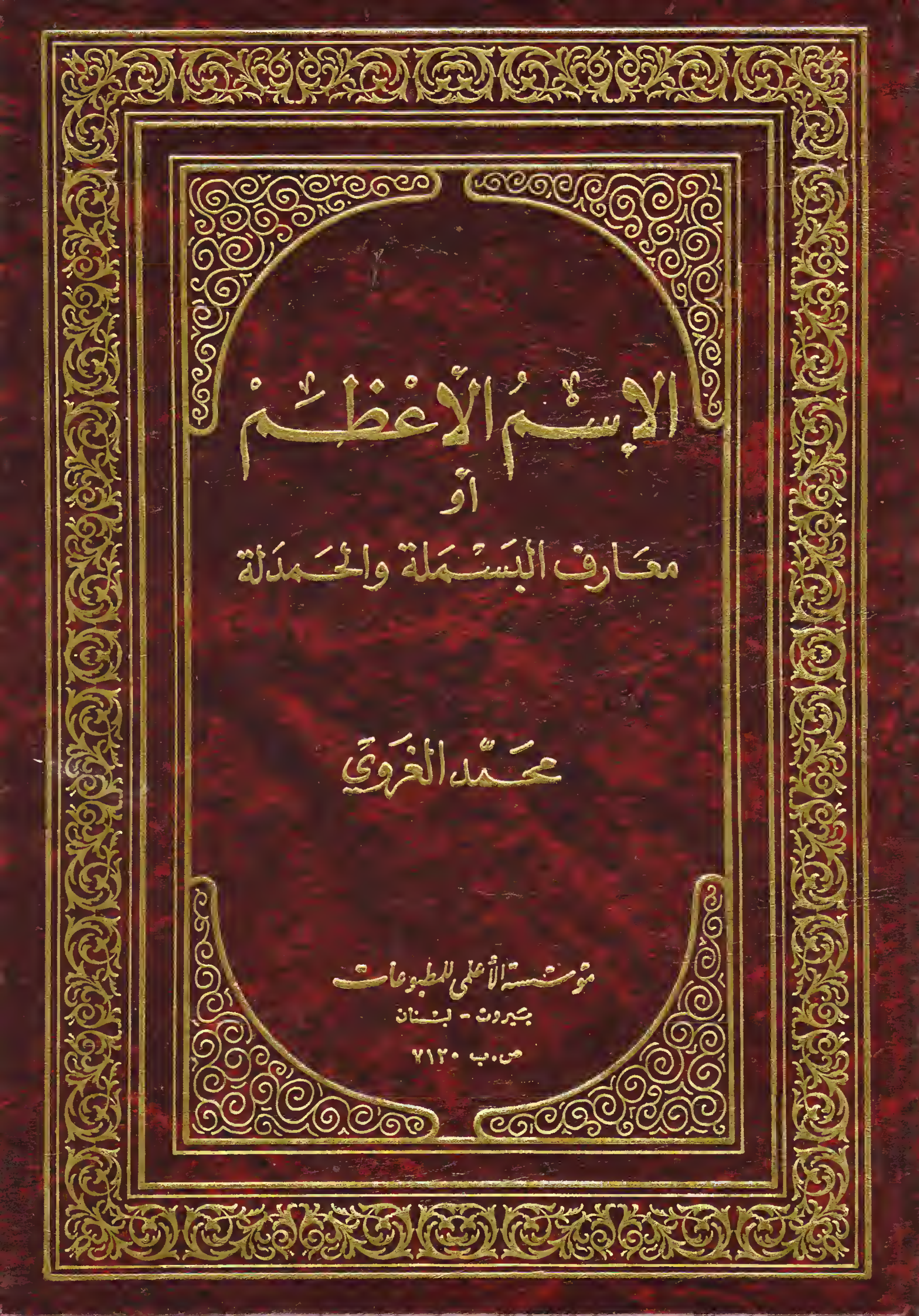

الإسم الأعظم
أو
معارف البسملة والحمدلة
محمد الغروي
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الاسم الأعظم

أو البسملة والحمدلة

محمد الغروي

الإسمُ الأعْظَمْ
أو
البسملة والحمدلة

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص. ب. : ٧١٢٠

الطبعة الاولى

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى [1] . قل أدعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى [2] . فسبح باسم ربك العظيم [3] . واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا [4] . واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا [5] .

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم [6] . فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى [7] .

وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى [8] . محمد رسول الله [9] وسلام على المرسلين [10] . سلام على آل ياسين [11] .

جاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ان البسملة أقرب إلى الاسم الأعظم

---

(١) طه : ٨ . (٢) الاسراء : ١١٠ . (٣) الواقعة : ٧٤ .
(٤) المزمل : ٨ . (٥) الانسان : ٢٥ . (٦) الفاتحة : ١ – ٣ .
(٧) طه : ١٣٠ . (٨) النمل : ٥٩ . (٩) الفتح : ٢٥ .
(١٠) الصافات : ١٨١. (١١) الصافات : ١٣٠ .

من سواد العين إلى بياضها كما عن الإمام الرضا عليه السلام برواية اسماعيل بن مهران [1] والامام الصادق عليه السلام برواية معاوية بن عمار انه قال : بسم الله الرحمن الرحيم اسم الله الأكبر ، أو قال : الأعظم [2] . والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله برواية ابن عباس : بسم الله الرحمن الرحيم اسم من أسماء الله الأكبر، وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العين إلى بياضها [3] .

الحديثان الأخيران موافقان للحديث الرضوي المتقدم الذكر إذ الأكبرية تراد بها المعاني اللائقة بمقام الله عز وجل التي لا تنفك عن الأعظمية ، بل هي هي في مقام الحكاية عن الذات الربوبية المتعالية . وستمر الروايات الواردة في البسملة إنشاء الله تعالى .

فبمقتضى هذه الأحاديث الشريفة يجدر البحث عن البسملة لحصول المعرفة بالاسم الأعظم ولأجل تنظير قربها منه بأقربية سواد العين إلى بياضها في الروايات وأما مناسبة البحث عن الحمدلة فلأنها النهاية لكل شيء كما ان البسملة البداية له، بل لو تدبر متدبر وجدها لا تنفك عن البسملة الجارية على الألسن ، بل وفي بطن الواقع أيضاً لأن البسملة من أجلى مظاهر التحميد والثناء الجميل لله تعالى على ما عرّفوا الحمد بذلك ، فللربط الحقيقي بين البسملة والحمدلة وبين الاسم الأعظم خضنا في اثنى عشر أمراً عبرنا عن ذلك كله بالمقاصد الثمانية للبسملة وبالمطالب الأربعة للحمدلة ، كما ونبحث عما يمتّ بصلب الموضوع من مناسبات داخلية وخارجية .

تُقرأ البسملة والحمدلة كل يوم وليلة على أقل تقدير عشر مرات يرددهما المسلمون في فرائضهم الخمسة ، وبما للبسملة والحمدلة من كبير أثر : كإثارة المحبة ، وتنمية

---

(١) تفسير البرهان : ١/٤٢ .

(٢) تفسير نور الثقلين : ١/٦ - ٧ .

(٣) تفسير نور الثقلين ١/٧ .

الوفاء والحياء ، والتقوى من أصول الفضائل ومن أهمها المعرفة بالله جل جلاله لم تفارقها شفاههم على حال .

البسملة أكرم آية من القرآن الكريم، بل أعظمها [1] ، وهي عنوان رحمة الله السابقة الواسعة ، ومن أجلها كانت في أول كل كتاب نزل من السماء [2] . وأول آية أنزلها الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وآله [3] . فالبسملة فاتحة الكلام ، بل فاتحة لكل بداية [4] .

والتحميد تذكرة لآلاء الله السابغة ، وأول كلام آدم عليه السلام [5] . وأول من يدعى إلى الجنة الحمادون [6] . « وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » [7] .

ومن هنا دفعتني داعية الخير إلى تأليف متواضع في هذا الشأن، ونسأل المولى تعالى أن يعرفنا نفسه ، ويلهمنا الحمد ، والشكر على نعمائه وآلائه وتشغيل ألسنتنا بأسمائه .

١٣٩٨ هـ . قم المقدسة محمد الغروي

(١) تفسير البرهان : ١/٤٢ .
(٢) الوسائل : ٤/٧٤٦ .
(٣) تفسير البرهان : ١/٢٩ .
(٤) الوسائل : ٤/١١٩٤ .
(٥) تفسير الصافي ١/٧٣ .
(٦) البحار : ٩٣/٢١٥ .
(٧) يونس : ١٠ .

مؤلفات البسملة والحمدلة

ألف جمع من العلماء كتباً ورسائل حول البسملة والحمدلة ، وهم بين مفرد كتاباً أو رسالة لخصوص البسملة أو جامع لها وللاستعاذة أو بين البسملة والحمدلة. على ما في « معجم المؤلفات القرآنية »[1] . وإليك أسماء جملة منها :

١ – إيضاح إبداع حكمة الحكيم في بيان : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

تأليف الشيخ محمد عليش المتوفى حدود – ١٢٧٩ هـ – إيضاحاً لما ألفه أبو سعيد محمد بن مصطفى بن عثمان الخادمي وهي رسالة في الكلام على البسملة من حيث اللغة ، والتفسير وغيرهما .

فهرس الظاهرية : ٣٧١

أقول : لديّ منه نسخة خطية تعود إلى مكتبة زميلنا الاستادي الخاصة يبحث المؤلف عن البسملة من ثمانية عشر علماً : اللغة . الوضع . الاشتقاق . الصرف . النحو . المعاني . البيان . البديع . الكلام . أصول الفقه . المنطق . الآداب . الفقه . التفسير . الاستناد . القراءة . الحديث . التصوف . أصل الكتاب للخادمي كما تقدم ، وقد اختصره الشيخ محمد عليش على ما صرّح به في الديباجة وأسماه بـ « إيضاح إبداع » .

أوله : « بسم الله » الذي جعل البسملة الكريمة فاتحة كل كتاب « الرحمن » الذي جعلها بركة ، ويسر بها ما صعب من الأسباب « الرحيم » الذي جعلها موصولة لكل خير بلا ارتياب . «وبحمد الله» الذي جعلها مفتاحاً لمغلق الأبواب

---

(١) كتاب خطي تأليف زميلنا السيد أحمد الحسيني .

وفلاحاً ببيان المشكلات الصعاب وبالصلاة والسلام على من خصّ بهـــا وآله والأصحاب .

وآخره : « تمت البسملة وبتمامها تم العـالم خلقاً وإبداعاً ولنختم الكلام بختام سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام وآله البررة الكرام تمّ على يـد كاتبه محمد عليش نجل مؤلف هذا الكتاب سنة ١٢٧٩ هـ .

صفحات هذه الرسالة : ٧٣

٢ ـ تفسير آية البسملة :

تأليف الشهيد الثاني زين الدين بن على العامـــلي مختصر فرغ منه أول شهر رمضان سنة ٩٤٠ .

أوله : « باسمك اللهم نفتتح الكلام ونستدفع المكاره العظام » .

الذريعة : ٣٢٥/٤

٣ ـ الأسئلة في البسملة :

تأليف برهان الدين ابراهيم بن محمد القباقبي « حدود ٨٥٠ » .

كشف الظنون : ٩٢

٤ ـ تفسير البسملة :

في سبعة فصول هكذا الكلام على جملتها : الباء ، الألف التي بعـــد الباء ، الاسم ، الله ، الرحمن ، الرحيم .

فهرس الظاهرية ٣٦٥

٥ ـ فتح الفتاح العليم بشرح بسم الله الرحمن الرحيم :

تأليف السيد محمد بن أحمد الأهدل التهامي « ١٢٩٨ » .

نيل الوطر : ٢٢٥/٢

٦ ـ تفسير البسملة :

تأليف أحمد بن أيوب الحماقي ، شرح على منظومة في البسملة للمؤلف وينقل في الشرح عن السيوطي .

فهرس الظاهرية : ٣٦٢

٧ – تفسير البسملة :

تأليف أبي العرفان محمد بن علي الصبان المصري «١٢٠٦» رسالة طويلة مرتبة على مقدمة وخمسة مقاصد وخاتمة تمّ تأليفها سنة ١١٨٥ .

فهرس الظاهرية ٣٦٥

٨ – تفسير البسملة :

تأليف محمد بن سعيد بن دكين اليمنى « ٨٤٩ » .

كشف الظنون : ١٠٣٥

٩ – تفسير البسملة :

تأليف أبي سعيد الحنفي ، مجالس في فضل البسملة وتفسيرها ومسائل أخرى فيها .

فهرس الظاهرية : ٣٦٥

١٠ – تفسير الاستعاذة والبسملة :

تأليف بدر الدين حسن بن قاسم المرادي « ٧٤٩ » .

كشف الظنون : ١٠٣١

١١ – تفسير البسملة والحمدلة :

تأليف القاضي زكريا بن محمد الأنصاري «٩٢٦» ذكر فيه الكلام على البسملة والحمدلة والنسبة بين الحمد والشكر والمدح ، وذكر فيه فوائد مهمة .

أوله : « الحمد لله على ما تفضل به » .

كشف الظنون : ١٠٣٥

١٢ – تفسير البسملة والحمدلة :

تأليف شهاب الدين أحمد البرلسي الشهير بالشيخ عميرة .

كشف الظنون : ١٠٣٥

وبما نقلنا من المعجم ظهر ان الموضوع ليس بكراً ، وقد فتح الباب قبل هذا الكتاب الذي بين يديك .

قبل الشروع في البسملة ومقاصدها الثمانية ، وفي الحمدلة ومطالبها الأربعة نقـــدم بحثاً مستوفى عن حديث الابتداء بهما وعلاج معارضتها وفق أساليب الفن سائلاً منه تعالى التوفيق انه عز اسمه وّلي ذلك .

حديث الابتداء

حول أحاديث الابتداء بالبسملة والحمدلة أسئلة : منها مـــا تشتركان فيه ، ومنها ما يختص بإحداهما ، ومن أجلها نقدم عرضاً لأحاديث الابتداء المروية ، ونستعرض منطوقها ، ومفهومها من سبب الحكم الذي نشأ السؤال منـــه من مندوبية الابتداء ، وكراهية الترك أو غيرهما :

١ ـ الحسن العسكري عليه السلام في تفسيره عن آبائه عن علي ـ عليهم السلام ـ في حديث ان رجلا قال له : ان رأيت أن تعرفني ذنبي الذي امتحنت بـــه في المجلس ، فقال عليه السلام : تركك حين جلست أن تقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، ان رسول الله حدثني عن الله عز وجل أنه قـــال : « كل أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتر » [١] .

٢ ـ روى الشريف الرضى عن النبي صلى الله عليه وآله انـــه قال : « كل أمر ذي بال لا يبدأ بحمد الله أقطع » [٢] . وفي لفظ : « فهو أبتر » [٣] .

٣ ـ والشيخ الكليني عن الامام الصادق عليه السلام قـــال : « كل دعاء لا يكون قبله تحميد فهو أبتر » [٤] .

---

(١) الوسائل : ٤/١١٩٤ .

(٢) المجازات النبوية : ١٨٤ .

(٣) نهاية ابن الأثير في (بتر) .

(٤) اصول الكافي : ٢/٥٠٤ .

٤ – وعلوي موثق : « فابتدأوا قبـل المسألة بالمدحة لله عز وجل ثم اسألوا بعده »[١] .

أقول : المدحة بإطلاقها شاملة للبسملة والتحميد فدلت هذه الأحاديث على مندوبية الابتداء بهـما عند الشروع في أي أمر ليتم ببركة اسم الله تعالى لكيلا يبقى ناقصاً مقطوعاً وبلا عقب[٢] .

كما يمكن جعلها دليلاً على كراهية الترك لها بمنطوقها ومفهومها كمـا لا يخفى ويؤيد ذلك ما رواه الصدوق عن الصادق عليه السلام .. ولربما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره «بسم الله الرحمن الرحيم» فيمتحنه الله بمكروه لينبهه على شكر الله تبارك وتعالى، والثناء عليه، ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه قول : بسم الله الرحمن الرحيم[٣] .

فإن ذكر : « وصمة تقصيره » دال على تأكد الفعل إن لم يدل على الوجوب وعلى مبغوضية الترك لو لم يكن حراماً .

والمراد من الذكر في قوله عليه السلام : « كل امر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه » هو الابتداء لا ذكره تعالى كيف ما اتفق من هذا الحديث لأن عبدالله بن يحيى المكنى عنه بالرجل في الحديث ، إنما ترك البسملة حين الجلوس فذمه الامام عليه السلام على ترك الابتداء باسم الله تعالى ويشهد له استشهاده بالحديث النبوي ، وتطبيقه عليه السلام على ذلـك والمعروف من النسخة في كتب التفاسير وغيرها « لم يبدأ » كما ذكره السيد الطباطبائي[٤] . وكيف كان فقد بان مراد الحديث الشريف .

قال الآلوسي: قال صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه عنه أبو هريرة وأخرجه الحافظ عبدالقادر الرهاوي : « كل امر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر » . والبال : الحـال

---

(١) الوسائل : ٤/٩٣١ . (٢) نهاية ابن الأثير في (بتر) .
(٣) التوحيد : ٢٣١ . الوسائل : ٤/١١٩٣ . (٤) تفسير الميزان : ١/١٦ .

والشأن ، فمعنى: « ذي بال » شريف يحتفل به ويهتم له كأنه شغل القلب وملكه حتى صاحبه .

شبّه الأمر العظيم بـذي قلب على سبيل الاستعارة المكنية والتخييلية ، وفي هذا الوصف فائدتان : إحداهما رعاية تعظيم اسم الله تعالى لأن يبتدأ في الامور المعتدّ بها . والاخرى التيسير على الناس في محقرات الامور كذا قالوه ، وعندي ان الأظهر جعل الوصف للتعميم كما في قوله تعالى : «ولا طائر يطير بجناحيه»[1] أي كل أمر يخطر بالبال جليلاً كان أو حقيراً لا يبدأ به « الخ » . وفي هذا غاية الاظهار لعظمة الله تعـالى وحثّ على التبري عن الحول والقوة إلا بالله ، وإشارة إلى أن قدرة العباد غـير مستقلة في الأفعال (فحمل تبنة كحمل جبل) إن لم يمن الله الملك المتعال بالاكثار من ذكره ، فقال تعالى : « واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون »[2] .

وحيث لم يجب كما هو معلوم يحصل للناس تيسير ، وقـد سنّ ﷺ بعض الأشياء ونفي الحرج بنفي وجوبهـا ، وفي قوله عليه الصلاة والسلام : « ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله » . وما روى : « ان الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : يا موسى سلني حتى ملح قدرك وشراك نعلك ». وأي فرق عند المنصف بين ذكره سبحانه عندها وطلبها منه على أن العارف الجليل لا يقع بصره على شيء حقير « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هـل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير »[3] .

نعم التسمية على الحرام والمكروه ممـا لا ينبغي ، بل هي حرام لا كفر ومكروهة في المكروه. وقيل مكروهة فيهما إن لم يقصد استخفافاً، وإن قصده

---

(١) الأنعام : ٣٨ . (٢) الجمعة : ١٠ . (٣) الملك : ٢ — ٣ .

والعياذ بالله كفر مطلقاً وهذا لا يضر فيما قلناه كما لا يخفى [1] .

وقع في بعض الروايات : « لا يبدأ فيه بالحمد لله » . وفي بعضها « بحمد الله » وفي بعض : « أجذم » وفي أخرى : « أقطع » . وفي خبر : « كل كلام » . وفي أثر : « يبدأ » . وفي آخر : « يفتتح » . وفي موضع وضع الذكر بدل الحمد إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتتبع حتى قيل انه مضطرب سنداً ومتناً ولولا انه في فضائل الأعمال ما اغتفر فيه ذلك على انه تقوى بالمتابعة معنى أيضاً والشهرة في دفع التعارض تغني عن التعرض للاستيفاء [2] .

قيل : المقصود بالمتابعة والشهرة هي اتباع الرواية وشهرتها بأن كانت إحدى الروايات الواردة في البسملة أشهر من بقيتها . وفيه نظر ، قوله : ما اغتفر فيه إشارة إلى قاعدة التسامح في السنن المدلول عليها بعدة من روايات معتبرة. وعليها فلا يضر هذا الاختلاف في روايات البسملة والحمدلة ، ولا بأس بأخذها ما لم يمنعه برهان من عقل أو نقل معتبر أقوى .

ولصاحب رسالة إيضاح الابداع كلام حول حديث الابتداء قال : وأما الكلام عليها — يعني البسملة — من جهة الحديث الذي هو علم يعرف به ما روى عن النبي ﷺ . فعلى وجهين : الأول : ما يتعلق بالابتداء وهو المشهور في ألسنة الجمهور في وجه الابتداء بالبسملة وهو قوله عليه الصلاة والسلام: « كل أمر ذي بال » الخ. وفي بعض الكتب : « فهو أقطع » بدل أبتر، وفي بعضها : « فهو أجذم » . وفي شرح النخبة للمولى على القاريء : « كل أمر ذي بال لا يبدأ ببسم

---

(١) إن كان فاعل الحرام أو المكروه قد صرف القلب عنهما ، وذكر التسمية فهو أحسن شيء وفي فرض علم أنهما مبغوضان له تعالى، ومع ذلك يسمي الله على الاتيان بهما ، فذلك كفر ان تعمد أو خبل أو جهل وهو أدرى بما يفعل والحاصل ان بعض الفروض لا قبح في التسمية عليه، وفي آخر لا يخلو من كفر أو خبل أو جهل .

(٢) روح المعاني ٦١/١ — ٦٣ .

الله الرحمن الرحيم فهو أبتر » . ومثله عن الخطيب في بعض الرسائل وهو أظهر لدلالته على المقصود بلا احتياج إلى بعض العناية السابقة . قال العدوي على الخرشي :

قضية كلامه : إنها ثلاث روايات في « بسم الله الرحمن الرحيم » : بزيادة الباء والرحمن الرحيم، والفاء، والضمير . وليس كذلك : أما الرواية الأولى التي هي رواية « أبتر » فهي : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر » . فهي مبنية على الحكاية كذا رواه بعضهم ونسبه للخطيب، وأما الثانية فهي : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع » بدون الفاء والضمير ، هكذا في رواية الرهاوي « بضم الراء » . وأما الرواية الثالثة فهي: « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم » . ولعل الأوضح في دلالته على المقصود هنا على الاطلاق بلا احتياج شيء أصلاً ما في الجعبري :

من أنه روى عن النبي ﷺ : أول ما كتب القلم بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا كتبتم كتاباً فاكتبوها أوله وهي مفتاح كل كتاب أنزل ولما نزل عليّ جبرائيل بها أعادها ثلاثاً وقال : هي لك ولامتك فمرهم لا يدعوها في شيء من أمورهم فإني لم أدعها طرفة عين مذ نزلت على أبيك آدم عليه السلام وكذلك الملائكة .

وقريب منه ما في بعض الكتب من قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا كتبتم كتاباً فاكتبوا في أوله بسم الله الرحمن الرحيم ، وإذا كتبتموها فاقرأوها » . وفي الحصن الحصين : عن أبي هريرة .. قال: قال رسول الله ﷺ : « كل كلام لا يذكر الله فيه ويبدأ به وبالصلاة عليّ فهو ممحوق من كل بركة » . وروي عن النبي ﷺ : « تخلقوا بأخلاق الله » ، ولا شك ان عادته تعالى في ابتداء كل سورة هو إتيان البسملة فنحن مأمورون به [1] .

---

(١) نسخة خطية تعود إلى زميلي المتتبع الاستادي .

أقول : وفي كتب أخرى قد تعرّض مؤلفوها لحديث الابتداء ولاختلاف ألفاظه ، وأما في كتبنا فقد عرفت طرق الحديث سنداً ومتناً والعمدة رواية تفسير الامام العسكري عليه السلام وقضية عبدالله بن يحيى الذي أراد أن يجلس فاصيب بعثرة حيث لم يبدأ بالبسملة ، وسأل أمير المؤمنين عليه السلام فأفاد بما لا يخص به عبدالله من قضية في واقعة ، بل هو عام له ولغيره وغيرها من روايات تعطي المراد ، وإن لم تكن بلفظة الابتداء بالبسملة ، ومن كل ذلك ظهر ان الابتداء بالبسملة والحمدلة محبوب عند الله تعالى ومنه نشأ السؤال :

كيف يلتزم بمحبوبية الابتداء بالبسملة والحمدلة جميعاً ، ولا يمكن الجمع بين ابتداءين ، وقد نصت الأحاديث النبوية الثابت نقلها بهذا وذاك ، ومن عدم إمكان الجمع بينهما عقلاً نستكشف عدم الثبوت نقلاً إلا واحداً من حديثي الابتداء وحيث لا مرجح لأحدهما يسقطان جميعاً .

وربما ينشأ السؤال من جعل الباء في البسملة للالصاق الدال على التكرار والاستمرار أو للاستعانة غير اللازمة له على ما قرره الخادمي صاحب رسالة الابداع حيث قال : فالباء إن كانت بمعنى الالصاق أي تعليق الشيء بالشيء وايصاله به وكان متعلقه « إقرأ » فيقتضي تكرار اسم الله تعالى عند تكرار القراءة كما في قوله : « لا تخرجي إلا بإذني » . حيث يشترط الاذن عند كل خروج ، وإن كان بمعنى الاستعانة فلا يلزم التكرار ، بل يكون اسم الله وسيلة للقراءة أو للانتفاع بها لأن الباء حينئذٍ تدخل على الوسائل ، ولهذا رجح الالصاق .

والاتيان بالبسملة إمتثالٌ لقوله صلى الله عليه وآله : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر » .

فإن قيل : هذا معارض لحديث الحمدلة لأن الابتداء بإحداهما مناف للابتداء بالآخر إذ الابتداءان ليس له [1] استمرار حتى يمكن إتيانهما .

---

(١) الظاهر « لهما » بالتثنية .

قلت : هذا التعارض شرط فيه تساوي الدليلين في القوة مع اقتضائهما وحدة الحكم والمحل والزمن يعني إنما يتصور التعارض إذا لم يمكن الجمع والتوفيق المعتبر فيه نحو ما يكون من قبيل الحكم [١] بأن يدفع اتحادهما أو من قبيل المحل بدفع اتحادهما [٢] كذلك أو من قبيل الزمن بذلك أيضاً [٣] .

فنقول : المراد بالابتداء في الحديثين هو العرفي الممتد إلى المقصود بالذات في الاتحاد في الزمن .

فيقال : ان اريد الابتداء الحقيقي فلا نسلم كونه مراداً لأنه متعدد ، وان اريد العرفي فلا نسلم كونه آتياً غير مستمر ،بل مستمر إلى المقصود فيسع البسملة والحمدلة، أو المراد بالابتداء في البسملة هو الحقيقي لما في اسلوب الكتاب المجيد لا سيما في أوائل السور التي جـــاء في أوائلها بالحمد [٤] خصوصاً ، وفي الحمدلة اضافي فلا نمنع اتحاد الدليلين في الحكم أو المحل [٥] .

وقيل: كون الباء في الحديثين للاستعانة أو الالصاق بمعنى الاتصال واللصوق لا بمعنى المقارنة دافع للتعارض .

وفيه نظر ولا يبعد أن يقــال : حديث البسملة مطلق لأن الاسم يمكن أن يكون اسم جنس مراداً به المسمى بلا قيد . والحمدلة اسم جنس مراداً بـــه المسمى لكن بقيد الحمدلة والحكم والحادثة متحد ولم يدخــلا على السبب وكانا مثبتين ، والمطلق عند هذه الشرائط محمول على المقيد فيكون المقيد بياناً للمطلق

---

(١) بان يقال « يجب ولا يجب » (٢) افعلها في هذا المكان .

(٣) افعلها في هذا الزمن .

(٤) سورة الفاتحة ، سورة الانعام ، سورة الكهف ، سورة فاطر الأربعة .

(٥) المختار في الجمع بين دليلي البسملة والتحميد هو حمل الابتداء في الأولى على الحقيقي ، وفي التحميد على الاضافي عملاً بظاهر القرآن في السور الأربعة الآ نفة الذكر ، وعمل الأصحاب حيث يبدأون بالبسملة ثم التحميد ، بل عمل أهل البيت (ع) كان كذلك على أن دليل البسملة أقوى .

كذا قيل . وهذا إنما يقرب للحق ان اريد بالحمد الاتيان بمــا يدل على التعظيم مطلقاً ولو بغير لفظ الحمد ، فإتيان البسملة إتيان بالحمد ، وهـذا لا يخلو عن خفاء أيضاً .

بل الأقرب على هذا الطريق أن يجعل حديث كل منهما مطلقاً باعتبار ومقيداً باعتبار ويحمل إطلاق كل على تقييد الآخر له ، فيكون معنى الحديثين لا يبدأ ببسم الله أو الحمد لله . على نظير الاحتباك : « وهو حذف ما أثبت في نظيره ، وإثبات ما حذف في نظيره » [١] .

فإن قلت : سيذكر في الجهة الحديثية : ان الحديث في البسملة متعدد ورواته كذلك ، والحمد ليس كذلك فلِم لم يرجح حديث البسملة .

قلت : لا ترجيح بكثرة الدليل عندنا كما لا ترجيح بكثرة الشهود إجماعاً ، وكذا لا يرجح بكثرة الرواة ما لم تبلغ حد الشهرة وبالجملة الاعتبار عندنا بالقوة لا بالعدد [٢] .

وقيل : إن روايتي البسملة والحمدلة تعارضتا فسقط قيداهما .. ورجــع للمعنى الأعم وهو إطلاق الذكر المراد منه إظهار صفة الكمال .

وقيل : إن المراد في كل رواية الابتداء هو الابتداء بأحدهما أو بما يقوم مقامه ولو ذكراً آخر بقرينة تعبيره تارة بالبسملة وأخرى بالحمدلة وطوراً بغيرهما [٣] .

---

(١) الاحتباك : هو أن يجتمع في الكلام متقابلان ، ويحذف من كل واحد منهما مقابلة لدلالة الآخر عليه كقوله : « علفتها تبناً وماء بارداً » أي علفتها تبناً وسقيتها مـاء بارداً . التعريفات تأليف السيد الشريف الجرجاني، أقول المثل بـ « علفتها تبناً » لا ينطبق عليه تعريف الاحتباك إذ الحذف لم يكن من كل جانب ، ونتيجة القاعدة التخيير بينهما وهو غــير معهود إذ لم يعهد الابتداء بالحمد وترك التسمية أو تؤخر عن التحميد ، فتدبر .

(٢) النسخة الخطية عند التكلم على البسملة من حيث اصول الفقه .

(٣) تفسير روح المعاني ٦٣/١ .

سؤال : إنا نرى كثيراً من الامور يبدأ بالبسملة أو الحمدلة مع أنـه لا يتم ونرى كثيراً منها بالعكس أي بدون ذكرهما يكون تاماً .

يجاب عنه : ليس كل ما كان غير تام بنظر العبد غير تام عند الشرع ونفس الأمر ، ولا كل تام عنده تاماً عند الشرع المقدّس والواقع ، بل هو على حد قوله تعالى : « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم »[1] . أو ان التامية وعدمها ربما تتحقق بعد ذلك وليس حديث الابتداء ضامناً للمقارنة أو المقصود بالنظر إلى واقع الأمر لا بالنظر إلى الحس وبينهما عموم من وجه . وان اسم الله تعالى به تتم الكائنات . وكما قال بعض من مشكاة « بسم الله الرحمن الرحيم » تشرق على صفحات الأكوان أنوار البهاء :

ولو جليت سرّاً على أكمه غدا   بصيراً ومن راووقها تسمع الصمّ
ولو ان ركباً يمموا ترب أرضها   وفي الركب ملسوع لما ضره السم
ولو رسم الراقي حروف اسمها على   جبين مصاب جنّ أبرأه الرسم
وفوق لواء الجيش لو رقم اسمها   لأسكر مَنْ تحت اللوا ذلك الرقم[2]

سؤال : نشأ من حديث « ابدأوا بما بدأ الله » الذي تصافق على نقله عن النبي صلى الله عليه وآله الفريقان[3] . وتقريره : ان البسملة أول من بدأ بها هو الله عز وجل في أول سورة أنزلها على نبيه الأعظم سورة « إقرأ » كما جاء في الحديث رواه الكليني بسند متصل إلى أبي عبدالله عليه السلام قال : أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله بسم الله الرحمن الرحيم إقرأ باسم ربك إلى آخره ، وآخر سورة « إذا جاء نصر الله والفتح »[4] . وليس فيه حمد فضلاً عن الابتداء به ان اريد من حديث : « ابدأوا بما بدأ الله » ذلك .

---

(١) البقرة : ٢١٦ .   (٢) روح المعاني ١/٦٣ .
(٣) الوسائل ٨/١٥١ ، الجامع الصغير ١/٤ .
(٤) تفسير البرهان ١/٢٩ باب ١٥ في أول سورة نزلت الرقم ١ .

يجاب عنه : ان ليس في الحديث النبوي بيان لمورد الابتداء بالحمدلة ولا البسملة ، بل فيه الدلالة على مندوبية الابتداء بهما فحسب ، وأما تعيين ما ابتدأ به الله أي شيء فلم يتكفله الحديث الشريف ، نعم جاءت أحاديث في مواضع خاصة منها : السعي بين الصفا والمروة كما في صحيح معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام : ان رسول الله صلى الله عليه وآله حين فرغ من طوافه وركعتيه قال: «ابدأوا بما بدأ الله عز وجل به من إتيان الصفا ، ان الله عز وجل يقول : « ان الصفا والمروة من شعائر الله »[1] [2] .

حيث بدأ بالصفا قبل المروة في الذكر وعلينا العمل كذلك .

ومنها في باب الإرث كما في الحديث العلوي : « لو كنتم قدمتم من قدم الله وأخرتم من أخر الله وجعلتم الولاية والوراثة لمن جعلها الله ما عال ولي الله ولا طاش سهم من فرائض الله ولا اختلف اثنان في حكم الله ولا تنازعت الامة في شيء من أمر الله »[3] .

وربما أجيب عن السؤال المتقدم : بأن أول سورة نزلت هي الحمد قاله بعض المفسرين وهو باطل عندنا وعند أكثر الجمهور . وأجيب ثالثاً ان الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري نعمة كان أو غيرها على ما عرفه بعض العلماء ، ومن الواضح ان الآتي بالبسملة آتٍ بالحمد أي أنه مثن على الله تعالى إلا أن يدعي ان الندب إنما هو بمادة الحمد لا بغيرها .

سؤال : تقريره ان الله حكى عن قول أهل الجنة أنهم يحمدونه آخر أمورهم فكيف تكون الحمدلة للبداية ، وان الابتداء مندوب وهو قوله تعالى: « وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين »[4] . يدل على النهاية ، ويؤيد ذلك قول الطبرسي : « المراد أنهم يجعلون هذا آخر كلامهم في كل ما ذكروه »[5] . عند

---

(١) البقرة : ١٥٨ . (٢) الوسائل ٥١٧/٩ . (٣) الوسائل ٤٢٦/١٧ .
(٤) يونس : ١٠ . (٥) مجمع البيان د/٩٣ .

تفسير الآية . وكلام السيد الداماد : في الفاتحة كلمتان مضافتان إلى اسم الله : «بسم الله» و « الحمد لله » باسم الله لبداية الامور. والحمد لله لخواتيم الامور[١].
ويؤيده أيضاً روايات الأطعمة والأشربة الناصة على استحباب البسملة عند بداية الأكل وألوان الطعام والحمدلة عند نهايتها منها : ما رواه أبو القاسم الكوفي في كتاب الأخلاق قال : قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام : وقد قدمت المائدة إلى بين يديه : الحمد لله الذي جعل لكل شيء حدوداً . فقيل له : وما حدود المائدة ؟ قال : ان يذكر اسم الله على مبتدأها وأن يحمد الله وقت الفراغ منها [٢] .

ومنها الجعفريات : بإسناده الصحيح إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ما من رجل يجمع عياله ثم يضع مائدته فيسمون الله تبارك وتعالى أول طعامهم ، ويحمدون الله تعالى في آخره إلا لم يرفع المائدة حتى يغفر لهم [٣] .

ومنها القطب الراوندي في لب اللباب عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : ما اجتمع قوم على مائدة فسبق أحدهم إلى قوله: «بسم الله» إلا بورك في طعامهم، وكذلك لمن قال : « الحمد لله » عند الفراغ [٤] .

من جميع ذلك نكشف عن معارضة أخرى بين ما دلّ على استحباب الابتداء بالحمدلة وما دلّ على الانتهاء بها ، وبما ان الثاني أقوى دلالة سقط الأول ووجه القوة ، ان حديث الحمدلة عند انتهاء الشيء موافق للقرآن ، وقد ثبت وجوب الأخذ بما وافق وطرح ما خالفه [٥] من صحاح أهل البيت عليهم السلام .

الجواب عنه : ان ما دلّ من عقل ونقل معتبر على ثبوت شيء في حالة لا يدل على نفيه في حالة أخرى ، وعلى حدّ اللفظ المعروف : « إثبات شيء لا

---

(١) لطائف غيبية : ٣٢ .
(٢) مستدرك الوسائل ٣/٩٢ حديث ٩ .
(٣) الوسائل ٣/٩٢ حديث ٣ .
(٤) الوسائل ٣/٩٢ حديث ٦ .
(٥) جامع البروجردي ١/المقدمات ٦٤ .

ينفي ما عداه » . وليس في دعوى أهل الجنة ما ينفي الحمد في الابتداء ويقصره على الانتهاء ، بل غايتها الدلالة على حمدهم في حالة الانتهاء وانهم كانوا يحمدون الله عز وجل في كل آخر كلام وطعام وقيام وغيرها .

على ان في تفسير آخر : ان ذكر الله وحمده ألذّ شيء عند أهـــل الجنة فلا يتركونه أولاً وآخراً وفي كل حالاتهم .

وقـد قال بعض العلماء : الحمد أول الكلام وآخر الكلام ثم تلا : « وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين »[1] .

وقال آخر : وقد كان أول كلام تكلم بـــه أبونا آدم عليه‌السلام حين عطس : « الحمد لله » . وآخر الدعاء أيضاً كان ذلك ففيه إشارة إلى أن العبد لا بـدّ أن يكون مستغرق الذكر لا يغفل عن ربه الرؤوف الرحيم ، وقد قال تعالى : «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين »[2]. ولا ريب ان الحمد لله تعالى من أجلى مصاديق الذكر وأصدق مواقعه عند تذكر نعمه تعالى .

وقد سبق رواية الكليني عن أبي عبدالله عليه‌السلام انه قال: « كل دعاء لا يكون قبله تحميد فهو أبتر »[3] .

بهذا الجواب يظهر دفع ما أيد به .

بقي من حديث الابتداء أبحاث منها: ان الحديث هل المراد به الأمر المولوي الانشائي بصورة الاخبار الدال على آكدية الطلب كما قرر في محله .

قال الخادمي : ثم ان هذا الحديث من قبيل خبر الشارع في مقام الطلب فهو آكد من صريح الطلب لأنـه إذا حكم بثبوت أمر أو نفيه فيلزم الكذب عند عدم تحققه[4] .

---

(١) الدر المنثور ٣/٣٠١ .
(٢) الزخرف : ٣٦ .
(٣) اصول الكافي ٢/٥٠٤ .
(٤) نسخة خطية تعود إلى مكتبة الاستادي .

فإن قيل : ان اريد من الخبر الانشاء فمن أين يتصور الكذب على تقدير عدم الاتيان بالفعل .

قلت : نظراً إلى ظاهر صورة الخبر . كذا في التلويح فلعلّ وجهه أبلغية المجاز على الحقيقة هنا .

فإن قيل : الأصح ان الأمر للوجوب وإتيان البسملة ليس واجباً شرعياً .

قلت : هذا الحسن لنفسه ، وأما في الحسن لمعنى في غيره فقد أمر مع الغير ، والظاهر ان حسن إتيان الاسم لمعنى في القراءة وهو عدم الأبترية فيها فيتبع حكم الاتيان به حكم القراءة من وجوب أو استحباب .

أقول : من المحتمل قوياً ان الأمر بالابتداء بالبسملة ، وإن كان لأجل عدم الأبترية لما ابتدأت له إلا أن المصلحة الأقوى هي في نفس القراءة لينتقل العبد إلى ربه الرحيم في الامور ويجعله الأول قبل كل أول ، وعليه فلا منافاة في المطلوبية بين الذاتية والتبعية على حد قول القائل :

قد يرحل المرأ لمطلوبه والسبب المطلوب في الراحل

فإن قيل : الباء مشترك بين معان كثيرة فهو من قبيل الخفي وحكمه التوقف إلى أن يتبين المعنى المراد ، ولذا يقال : لا يجوز إرادة بعض معاني المشترك بلا قرينة معينة له فمن أين يصح إرادة الالصاق هنا .

قلت : لا نسلم الاشتراك ، بل هو للإلصاق فقط كما مرّ ولو سلم اشتراكه عند أهل العربية فلا يسلم عند الاصوليين ، بل الظاهر [1] انفراده بالالصاق عندهم والتبادر أقوى امارات الحقيقة ، ولا شك في تبادره والأصل عند كون اللفظ دائراً بين كونه مشتركاً بين معنيين ، وكونه حقيقة ومجازاً حمله على الثاني ،

---

(١) ليس للاصولي تأسيس على حده سوى استظهار المعنى من العرف العام ، فإن كان الباء للإلصاق عندهم أخذه وإلا فلا سبيل له إلى الاجتهاد في اللغة .

ولهذا يقال : « للمجاز خير من الاشتراك والنقل والحذف ».

فإن قيل : لا شك ان المقصود من مثـــل حديث الابتداء حصول التبرك ، وهذا إنمـا يفهم من الحديث بطريق مفهوم المخالفة . وهو أن يكون المسكوت عنه مخالفاً المذكور في الحكم وهو ليس معتبراً عندنا في الأدلة والنصوص .

قلت: لا نسلم كون المقصود ذلك لجواز كون المقصود الخلوص من البتر، ولو سلم يجوز كونه بطريق الكناية أو إشارة النص أو علم بدليل آخر ، وقــد قيل ان مفهوم الصفة معتبر عند صاحب الهداية كمفهوم العـــدد عنده وعند الشلجي أيضاً وكمفهوم الاستثناء والغاية ، لكن على كونهما من قبيل الاشارة .

وقيل : مفهوم الغاية متفق عليه .

أقول : أما عند الاصولي الامامي فغير متفق عليه .

فإن قيل : قول مبتدىء ذي بال « بسم الله » : افعل كذا اخبار عن إتيانه به أو وعد به فليس إتياناً باسم الله فلا يكفي في امتثال الحديث .

قلت : نمنع كونه إخباراً ، بـــل هو من الصيغ المنقولة في الشرع للإنشاء كصيغ العقود ولو سلم فالإخبار بالاتيان باسم الله ، إنما يتصور بذكر اسم الله كما ان الاخبار بأن « الله واحد » عين التوحيد .

واعلم : ان دلالة هذا الحديث على كون الأمر الذي لم يبدأ ببسم الله أبتر أو أقطع بطريق عبارة النص ان اعتبر كونه مسوقاً له ، وعلى كون الأمر الذي بدأ به أنفع وأتم وكثير الفائدة بطريق إشارة النص ، وعلى كون المؤثر في جميع الامور هو الله تعالى بطريق اقتضاء النص لكونه لازماً محتاجاً إليه كما في قوله : « للفقراء المهاجرين »[1] . لأن دلالته على وجوب السهم لهم عبـــارة ، وعلى

---

(١) الحشر : ٨ .

كونهم فقراء إشارة ، وعلى زوال ملكهم في دار الحرب اقتضاء والكل بطريق المنطوق ، ودلالته على عدم لزوم إتيان اسم الله في الابتداء في محقرات الامور بطريق المفهوم وإضافة اسم الله إن كانت استغراقية ليحصل التبرك بجميع الأسماء كما أشير إليه في النحو يكون لفظ اسم عاماً وهو ما له أفراد غير محصورة مستغرقاً لها .

فإن قيل : أسماء الله تعالى محصورة لقوله ﷺ : « ان لله تسعة وتسعين إسماً من أحصاها دخل الجنة »[1] فكيف يكون اسم الله عاماً .

قلت : قد يطلق العام على ما يشمل جمعاً من المسميات ولو لم يستغرقها ولو كانت محصورة على أن دلالة الحديث على عدم الزيادة بطريق مفهوم العدد وهو غير معتبر عند عامة مشايخنا في الأدلة كما اشير إليه آنفاً .

وفي المقاصد : يجوز كون قوله ﷺ « من أحصاها دخل الجنة » في محل الصفة فيكون الاسم الأعظم داخلاً فيها مبهماً لا يعرفه إلا الخاصة أو خارجاً ، وتكون زيادة لأشرفها بالنسبة لما عدّ الخ .

فإن قيل وقع في كلام الغزالي : ان أسماء الله تعالى وإن كانت غير متناهية لكنها راجعة إلى التسعة والتسعين .

قلت : يتم كون اسم الله عاماً بمنع حصر أسماء الله تعالى في التسعة والتسعين وجعل هذا سنداً له إذ فيه اعتراف بعدم تناهيها عدداً ، وهذا يكفي في تحقق العموم ، ان عدم الحصر المعتبر في مفهوم العام ليس بالنسبة لما في نفس الأمر ، بل بالنظر إلى المفهوم ولو انحصرت أفراده في نفس الأمر .

فإن قلت : فعلى أي تقدير ظاهر ان الشارع[2] لا يبتدىء بجميع أسمائه تعالى ، بل لا يمكن ذلك بوجه فيكون كذباً مخالفاً للواقع .

---

(١) الخصال ٢/٩٣ . (٢) أي الذي شرع بالبسملة .

قلت : لا نسلم كذبــه إذ الظاهر أنه إنشاء باعتبار المعنى الأصلي الذي مدار البحث عليه ويكفي فيه الاتيان بجميع الأسماء إجمــالاً بلا تفصيل كما في الايمان الاجمالي ، ويمكن أن يقال له حينئذٍ يجوز أن يكون من قبيل العام الذي خصّ البعض منه بشهادة العرف بل الحس ، لكن يرد أنه يلزم حينئذٍ عــــدم فائدة اعتباره عاماً بل اعتباره خاصاً أقوى لكون مدلوله قطعياً، وعدم احتياجه إلى كلفة التخصيص وان العام يكون قريباً إلى أن يكون مؤولاً بخلاف الخاص فإنه مفسر بل محكم .

فإن قيل: سواء اعتبر الاسم عاماً أو خاصاً ليس الابتداء « بسم الله » الذي هو مدلول الحديث ، بل بلفظ « بسم » وهو ليس اسم الله تعالى بل لفظ يعبر به عن أسماء غير الله تعالى من أسماء المخلوقين أيضاً ، و كون الاسم عين المسمى ليس المراد منه ما هو ملفوظ بل ما هو مدلول[1] كما سبق في الجهة الكلامية والكلام في الملفوظ .

يجاب عنه : بأن الباء الذي للابتداء باسم الله تعالى ، ولفظ اسم إنما جيء به لضرورة عموم البتر بجميع أسمائه تعالى ، لكن يرد عليه أنــه إنما يتم لو لم يكن الابتداء بدون ما ذكر ، وليس كذلك إذ يمكن أن يقال : الله ابتدىء باسمه أو اقرأ ، بل الظاهر على موجب الحديث أنه يكفي بقوله: الله أو بقوله الله الرحمن الرحيم مثلاً . على أن التقريب ليس بتام إذ الكلام باعتبار خصوص لفظ الاسم باقٍ . وأيضاً رعاية ما ذكره من عموم البتر ليس مما دل عليه الحديث ، ولو سلم دلالته عليــه فهو مستفاد من لفظ الجلالة لكونه مستجمعاً لجميع الصفات و كون الدلالة عليه على سبيل القصد ليس بلازم ، بــــل كونها بإشارة النص كافٍ ولا يضره عدم كون اللفظ مسوقاً له .

---

(١) قال هناك: الاسم والمسمى عندنا واحد أقول هذا باطل بأخبار أهل البيت (ع) وبالدليل العقلي وباقي البحث في محله الآتي في المقصد السادس .

وقد قال بعض المحققين أقسام الدلالة : المطابقة والتضمن والالتزام جارية في الاشارة كما في العبارة وان اشتهر تخصيص الاشارة بالالتزام ، لكن أورد عليه أنه يلزم على هذا ثبوت كثير من الأحكام بدون قصد من واضعها الشارع الحكيم إلا أن يفرق بين القصد من اللفظ والقصد من السوق ويجعل المنفي من الاشارة الثاني.

والحق في الجواب : ان النصوص يفسر بعضها بعضاً كما في بعض الروايات من قوله عليه الصلاة والسلام : « لم يبدأ ببسم الله » وفي البعض : « بالبسملة » . واسلوب القرآن يفسر ذلك ، فالامتثال إنما يتحقق بعين هذا الاسلوب [1]. هذه نبذة أبحاث حول حديث الابتداء سردناها ، وقد اهتم جمع من العلماء بها ، وان الابتداء ببسم الله تعالى في جميع الامور هو مصداق واقعي لذكر الله الذي حث عليه القرآن في مواضع كثيرة والعقل والفطرة ، وان النبي الأكرم ﷺ والأئمة الطاهرين (ع) كان لهم مزيد اهتمام بالذكر وان من أشرف الذكر البسملة الكريمة وإنما أمر المسلمون بها في قبال قريش من عبدة الأصنام حيث كانوا يبدأون بأسمائها وكانت النصارى تقول عند كل مناسبة « باسم الأب والابن وروح القدس » وهي الأقانيم الثلاثة عندهم جمع الأقنوم لفظ سرياني يستعمله النصارى ومعناه العربية : الاصل [2] . فعبروا عن الذات مع الوجود بأقنوم الأب ، وعن الذات مع العلم بأقنوم الابن ، وعن الذات مع الحياة بأقنوم روح القدس . فردّ الله عليهم ذلك بقوله تعالى : « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة » [3] [4] .

فأمر المسلمون تجاه النصارى ورداً للتثليث أن يقولوا : « بسم الله الرحمن الرحيم » ويتخذوه شعاراً لهم وإظهاراً لاعتقادهم بوحدانيته تعالى وأمروا أن يكرروا اسم الله جلّ ثناؤه في كل شيء لذلك ، وهذا وجه يجعل الابتداء

---

(١) إيضاح إبداع حكمة الحكيم نسخة خطية .

(٢) مجمع البحرين في لفظ « قنم » .

(٣) المائدة : ٧٣ .

(٤) المجمع مادة « ثلث » .

بالبسملة مطلوباً بالذات ولا منافاة بينه وذكرها عند الأخذ بأمر من الأمور لئلا يكون أبتر ويتم ببركة اسم الله تعالى. وان جماعة من قريش كانوا يبتدأون باسم الله عز وجل كما كانوا يذكرون أسماء آلهتهم على ما ورد في شأن الصحيفة القاطعة وما كتبوا فيها على بني هاشم أن لا يكلموهم ولا يزوجوهم ولا يتزوجوا إليهم ولا يحضروا معهم ولا يبايعوهم أو يسلموا إليهم رسول الله ﷺ وختم عليها أربعون خاتماً وعلقوها في جوف الكعبة ، واخبار رسول الله ﷺ عن الصحيفة القاطعة بأن الله تعالى قد بعث عليها دابة فلحست كل ما فيها غير اسم الله تعالى [1] .

كانت قريش تقول : «باسمك اللهم» ولا منافاة بين كفرهم وقولهم وكتابتهم لاسم الله عز اسمه لأنهم وان جحدوا الربوبية ولكنهم إذا سئلوا من خلق هذه الطباق السبعة قالوا : الله كما قال الله عز وجل حكاية عنهم : « ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله » [2] . وهذه هي الفطرة المعنية بقوله جل ثناؤه : «فطرة الله التي فطر الناس عليها» [3] أي التوحيد والدين الخالص .

تجد الناس يندفعون عند افتتاح أمر إلى قول: « يا فتاح » بدون شعور وأية معرفة بمن أزمة الامور طراً بيده ومفاتيحها بيد قدرته وهو الله تعالى كما ترى المسلمين يبدأون بالبسملة عند بداية شيء أو خوف منه أو لجلب منفعة أو دفع مضرة أو لمطلق الاستعانة من الله عز وجل ، وهكذا التحميد تلهج الألسن به عند دفع نقمة أو تجدد نعمة وعند فراغ من شيء دنيوي أو أخروي .

ولعلّ الوجه في ابتداء الحمد والأمر به تذكرة للنعم التي لا تحصى على العبد وإظهار لشكرها ، وتمجيد المنعم تعالى وتعظيمه . كما وفي البسملة والأمر بها تنبيه إلى جلائل النعم والآلاء لأجل الرحمة المطلقة المصرحة بها واستزادة منه تعالى عند التسمية واستعطاف واسترحام واستعانة وبيان لتجريد العبد عن الغير في الاعتقاد والعبادة والرزق والعون وغيرها ، والمصافاة في المعاملة معه تعالى وسيوافيك في المقصد الثامن كل ذلك إن شاء الله .

---

(١) السفينة ١/٦١٦ في « صحف » . (٢) الزمر : ٣٨ . (٣) الروم : ٣٠ .

البسملة

المقاصد الثمانية

الأول : روايات البسملة
الثاني : الاسم الأعظم
الثالث : البسملة أعظم آية وجزء من السور
الرابع : الباء في البسملة
الخامس : الاسم في البسملة
السادس : الله جلّ اسمه
السابع : الرحمن الرحيم
الثامن : الابتداء بالبسملة وأسرارها

المقصد الاول

روايات البسملة



١ - محمد بن مسعود العياشي في تفسيره عن صفوان الجمال قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ما أنزل الله من السماء كتاباً إلا وفاتحته «بسم الله الرحمن الرحيم» وإنما كان يعرف انقضاء السورة بنزول «بسم الله الرحمن الرحيم» ابتداء للاخرى [١] .

٢ - أحمد بن محمد أبو عبدالله السياري في كتاب التنزيل والتحريف عن عبيدالله بن أبي عبدالله في إسناد له عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما نزل كتاب من السماء إلا وفاتحته «بسم الله الرحمن الرحيم» ألا والرحمن ممدودة [٢] .

٣ - البرقي عن بعض أصحابنا عن الحسن بن علي بن يوسف عن هارون الخطاب التميمي عن صفوان الجمال عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما نزل كتاب إلا وأوله «بسم الله الرحمن الرحيم» [٣] .

أقول : لعلّ صفوان روى روايتين هذه والاولى .

٤ - المستدرك وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل : «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم» [٤] . «بسم الله الرحمن الرحيم» هو اسم الله الأكبر والسبع المثاني : الكتاب يثنى بها في كل صلاة [٥] .

---

(١) جامع البروجردي ٢/٢٧٧ .

(٢) المصدر/٢٧٧

(٣) المصدر/٢٧٧ .

(٤) الحجر : ٨٧ .

(٥) جامع البروجردي ٢/٢٧٦ .

٥ ــ عن اسماعيل بن مهران قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: ان «بسم الله الرحمن الرحيم» أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها [١] .

٦ ــ عن خالد بن المختار قال : سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول : ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها وهي: « بسم الله الرحمن الرحيم » [٢] .

٧ ــ جامع الأخبار عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله : من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم » . فإنها تسعة عشر حرفاً ليجعل الله كل حرف منها عن واحد منهم [٣] .

٨ ــ وقال النبي صلى الله عليه وآله : إذا قال المعلم للصبي : « بسم الله الرحمن الرحيم ». كتب الله براءة للصبي وبراءة لأبويه وبراءة المعلم [٤] .

٩ ــ محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن عمر بن عبدالعزيز عن جميل بن دراج قال: قال أبو عبدالله عليه السلام لا تدع: « بسم الله الرحمن الرحيم» وإن كان بعده شعر [٥] .

١٠ ــ محمد بن علي بن بابويه قال : حدثنا محمد بن القاسم المفسر المعروف بأبي الحسن الجرجاني رضي الله عنه قال : حدثنا يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد ابن سيار عن أبويهما عن الحسن بن علي عن أبيه علي بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه الرضا عن آبائه عن علي عليه السلام أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الله تبارك وتعالى قال : يا محمد « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم » [٦] . فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم .

---

(١) تفسير البرهان ١/٤٢ . (٢) =/٤٢ . (٣) =/٤٣ .
(٤) البرهان ١/٤٣ . (٥) نور الثقلين ١/٥ ــ ٦ .
(٦) الحجر : ٨٧ .

وان فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش ، وان الله عز وجل خصّ محمداً وشرّفه بها ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان عليه السلام فإنه أعطاه منها : « بسم الله الرحمن الرحيم » ألا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت : « إني ألقى إليّ كتاب كريم . إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد وآله الطيبين منقاداً لأمرهما مؤمناً بظاهرهما وباطنهما. أعطاه الله تعالى بكل حرف منها حسنة كل واحدة منها أفضل له من الدنيا وما فيها من أصناف أموالها وخيراتها . ومن استمع إلى قارىء يقرأوها كان له قدر ما للقارىء فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرّض لكم فإنه غنيمة لا يذهبن أوانه فيبقى في قلوبكم الحسرة [1] .

١١ – عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن محمد بن علي عن الحسن ابن علي عن يوسف بن عبد السلام عن سيف بن هارون مولى آل جعدة قال :قال أبو عبدالله عليه السلام : أكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » من أجود كتابك ولا تمدّ الباء حتى ترفع السين [2] .

١٢ – عنه عن علي بن الحكم عن الحسن بن السري عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم لفلان ، ولا بأس أن تكتب على ظهر الكتاب لفلان [3] .

١٣ – الزمخشري في ربيع الأبرار عن النبي صلى الله عليه وآله لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم ، فإن أمتي يأتون يوم القيامة وهم يقولون : بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم في الميزان ، فيقول الامم : ما أرجح موازين أمة محمد صلى الله عليه وآله فيقول : الأنبياء ان ابتدأ كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت في

---

(١) نور الثقلين ١/٥ .　　(٢) = ١/٥ – ٦ .　　(٣) = ١/٦ .

كفة الميزان ووضعت سيئات الخلق في كفة أخرى لرجحت حسناتهم [١] .

١٤ – وقـــال النبي ﷺ : إذا مرّ المؤمن على الصراط فيقول : بسم الله الرحمن الرحيم طفت لهب النار، تقول : جُزيا مؤمن فإن نورك قد طفى لهبي [٢].

١٥ – وروي عن النبي ﷺ قال : من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم بنى الله له في الجنة سبعين ألف قصر من ياقوتـــة حمراء في كل قصر ألف بيت من لؤلؤة بيضاء في كل بيت سبعون ألف سرير من زبرجدة خضراء فوق كل سرير سبعون ألف فراش من سندس واستبرق وعليه زوجة من حور العين ولهـا سبعون ألف ذوابة مكللة بالدر والياقوت مكتوب على خـدها الأيمن محمد رسول الله وعلى خـدها الأيسر علي وليّ الله وعلى جبينها الحسن وعلى ذقنها الحسين وعلى شفتيها بسم الله الرحمن الرحيم ، قلت : يا رسول الله لمن هذه الكرامة ؟ قال : لمن يقول بالحرمة والتعظيم بسم الله الرحمن الرحيم .

أقول: إن مثل هذا الحديث لا يفهمه كل إنسان فعليه أن يضعه في سنبلة [٣].

١٦ – وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله له بكل حرف أربعة آلاف حسنة ومحى عنه أربعة آلاف سيئة ورفع الله له أربعة آلاف درجة [٤] .

١٧ – عن سليمان الجعفري قـال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : إذا أتى أحدكم أهله فليكن قبل ذلك ملاطفة فإنه أبرّ لقلبها وأسلّ لسخمتها ، فـــإذا أفضى إلى حاجته ببسم الله ثلاثاً فـإن قدر أن يقرأ أي آية حضرته من القرآن فعل وإلا كفته التسمية ، فقال له رجل في المجلس فـــإن قرأ بسم الله الرحمن

---

(١) تفسير البرهان ١/٤٣ .

(٢) المصدر ٤٣ .

(٣) أيضاً تفسير البرهان ١/٤٣ .

(٤) تفسير البرهان ١/٤٣ .

الرحيم أو يجزيه ، فقال : وأي آية أعظم في كتاب الله فقال : بسم الله الرحمن الرحيم [1] .

١٨ – محمد بن الحسن الصفار من كتاب الدعاء بإسناده إلى معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام انه قال : بسم الله الرحمن الرحيم اسم الله الأكبر أو قال الأعظم [2] .

١٩ – رواية ابن عباس قال صلى الله عليه وآله : بسم الله الرحمن الرحيم اسم من أسماء الله الأكبر وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العين وبياضها [3] .

٢٠ – مستدرك الوسائل ٣١٢/١ ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من كتب «بسم الله الرحمن الرحيم » فجوّده تعظيماً لله غفر الله له [4] .

٢١ – قال الحسن بن خرزاد وروى عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا أم الرجل القوم جاء شيطان إلى شيطان الذي هو قريب الإمام فيقول : هل ذكر الله يعني هل قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، فإن قال نعم هرب منه ، وإن قال لا ركب عنق الامام ودلى رجليه في صدره فلم يزل الشيطان إمام القوم حتى يفرغوا من صلواتهم [5] .

أقول : إن صح الحديث فيحتمل التفسير بقوله : « يعني هل قرأ . . . » من الراوي ومن الإمام عليه السلام فيكون رداً على الذين لا يلتزمون بالبسملة مطلقاً أو في غير سورة الحمد . وأما الامامة فهم ملتزمون بها في الفرائض الخمس وغيرها إطلاقاً والمسألة محررة في محلها وفي المقصد الثالث من هذا الكتاب .

٢٢ – مستدرك الوسائل ٣١٢/١ ، وقال صلى الله عليه وآله : لو قرأت « بسم الله »

---

(١) تفسير البرهان ١/ص ٤٢ .

(٢) نور الثقلين ٦/١ – ٧ .

(٣) المصدر ٧/١.

(٤) الفضائل : ٢١٧ .

(٥) تفسير البرهان ٤٢/١ .

تحفظك الملائكة إلى الجنة وهو شفاء من كل داء ، وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام ان أكثر من قول : « بسم الله » وافتح امورك به ومن وافاني وفي صحيفته قبضة « بسم الله » أعتقه من النار قال وما قبضته « بسم الله » قال مائة مرة ، وان لقمان رأى رقعة فيها « بسم الله » فرفعها وأكلها فأكرمه بالحكمة [1] .

٢٣ – وفيه ٣١٦/١ وفي الخبر ان المذنبين من المؤمنين إذا دخلوا النار يقولون : «بسم الله» فتفرّ النار عنهم مسيرة أربعين سنة لفضل « بسم الله »[2].

٢٤ – وفي تفسير نفحات الرحمن ٤٧/١ وروى عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عن ميكائيل عن إسرافيل (ع) قال الله تعالى: يا اسرافيل بعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلاً بفاتحة الكتاب مرة واحدة فاشهدوا عليّ أني قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت له عن السيئات ولا أحرق لسانه بالنار وأجيره من عذاب يوم القيامة والفزع الأكبر [3] .

لا يخفى أن المعلوم من الأدلة أن الموكل على الوحي هو جبرائيل ثم الحديث وإن كان يناسب سورة الفاتحة ، ولكن يظهر منه ان لولا البسملة واتصالها بالحمد لما كانت الآثار من غفر ذنوب وقبول حسنات وتجاوز عن سيئات وغيرها ثابتة .

٢٥ – بحار الأنوار قال النبي صلى الله عليه وآله : إذا قال العبد عند منامه « بسم الله الرحمن الرحيم » يقول الله : ملائكتي اكتبوا نفسه إلى الصباح [4] .

٢٦ – فرات بن أحنف عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول : أول كل كتاب نزل من السماء « بسم الله الرحمن الرحيم » فإذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم فلا تبالي الا تستعيذ ، وإذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم سترتك فيما بين السماء والأرض [5] .

---

(١) القرآن وفضائله : ٢١٨ .

(٢) = ٢١٨ .

(٣) المصدر ٢١٩ .

(٤) المصدر : ٢١٣ .

(٥) الوسائل ٧٤٦/٤ .

٢٧ ــ عن أحمد بن محمد الكوفي عن علي بن الحسن بن علي عن عبد الرحمن ابن أبي نجران عن هارون عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال لي : كتموا بسم الله الرحمن الرحيم ، فنعم والله الأسماء كتموها [١] .

٢٨ ــ في التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام ان رجلاً قام إليه فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن « بسم الله الرحمن الرحيم » ما معناه ؟ فقال : إن قولك « الله » أعظم اسم من اسماء الله عز وجل وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمى به غير الله ولم يتسم به مخلوق [٢] .

٢٩ ــ روى الشيخ الطوسي في الصحيح عن محمد بن مسلم انه قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن السبع المثاني والقرآن العظيم أهي الفاتحة ؟ قال: نعم ، قلت: بسم الله الرحمن الرحيم من السبع المثاني ، قال : نعم لهي أفضلهن [٣] .

٣٠ ــ روى الصدوق في العلل والكليني في الكافي بأسانيد معتبرة عن جماعة من أجلاء أصحابنا عن الصادق عليه السلام في ذكر صلاة ليلة المعراج بطوله ، ثم ان الله عز وجل قال : يا محمد استقبل البحر الأسود ... وكبرني بعدد حجبي فمن أجل ذلك صار التكبير سبعاً لأن الحجب سبعة وافتتح القراءة عند انقطاع الحجب ، فمن أجل ذلك صار الافتتاح سنّة ... فلما فرغ من التكبير والافتتاح قال الله عز وجل : الآن وصلت إليّ فسم باسمي ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم فمن أجل ذلك جعل بسم الله الرحمن الرحيم في أول السورة [٤] .

هذا الحديث مشتمل على كلمة الوصول حيث قال تعالى: «الآن وصلت إليّ» ومعناه ارتفاع الحجب السبع بافتتاحه بالتكبيرات السبعة وفيه إشارة إلى فناء العبد عن أوصافه وأسمائه وهو حقيقة ذكر الله ويلزم ذكره تعالى الذهول عما

---

(١) الوسائل ٤/٧٤٦ .　　　(٢) توحيد الصدوق : ٢٣١ .
(٣) الوسائل ٤/٧٤٥ باب ١١ من أبواب القراءة .
(٤) = ٤/٦٧٩ باب ١ من أبواب أفعال الصلاة.

سواه ، ومن السوي نفس الذاكر فالمصلي إذا كبر سبعاً اندكت الحجب الطبيعية أي ذات العبد وصفاته وأفعاله البشرية بحيث ينسلخ عنها انسلاخاً كلياً . ولأهل المعرفة كلمات حول الوصول والحجاب يرجع بعضها إلى درجات معرفة العباد ومراتب إدراكاتهم الروحانية وغير ذلك، وبه يجمع بين أحاديث ثبوت الحجب له تعالى والروايات النافية لها [1] وإليك من النافية .

روى الحارث الهمداني عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه دخل السوق فإذا هو برجل موليه ظهره يقول : لا والذي احتجب بالسبع فضرب علي عليه السلام ظهره ثم قال : من الذي احتجب بالسبع ؟ قال الله : يا أمير المؤمنين ، قال : أخطأت ثكلتك امك ان الله عز وجل ليس بينه وبين خلقه حجاب لأنه معهم أينما كانوا ، قال : ما كفارة ما قلت يا أمير المؤمنين ، قال : ان تعلم ان الله معك حيث كنت ، قال : أطعم المساكين ، قال : لا إنما حلف بغير ربك [2] . وفي دعاء أبي حمزة الثمالي : « وإنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال [3] دونك » [4] . وفي دعاء عرفة وغيرها من الأدعية المأثورة ما ينفي الحجاب عنه تعالى ولتحقيق الأمر مقام آخر .

٣١ — وفي حديث الصادق عليه السلام قال : لا تدعها ولو بعدها شعر [5] . وفي المحاسن عنه عليه السلام قال: إذا توضأ أحدكم ولم يسمّ كان للشيطان في وضوئه شرك

---

(١) كما عن بعض العلماء المعاصرين وغيرهم .

(٢) تفسير الآلوسي ٥٥/١ البيتان :

توهمت قدماً ان ليلى تبرقعت	وان حجاباً دونها يمنع اللثما
فلاحت فلا والله ما ثم حاجب	سوى ان طرفي كان عن حسنها أعمى

والحديث في التوحيد ١٨٤ ، والبحار ٢٠٥/١٠٤ و٢٤٥.

(٣) في نسخة الآمال . (٤) دعاء سحر شهر رمضان .

(٥) اصول الكافي ٦٧٢/٢ .

وإن أكل أو شرب أو لبس وكل شيء صنعه ينبغي له أن يسمي عليه ، فإن لم يفعل كان للشيطان فيه شرك [1] .

٣٢ – في حديث طويل قال عليه السلام : ولربما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره بسم الله الرحمن الرحيم فيمتحنه الله عز وجل بمكروه لينبهه على شكره الله تبارك وتعالى والثناء عليه ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه قول بسم الله الرحمن الرحيم [2] . ولعله الذي تحت الرقم ٢٨ .

٣٣ – روى النيسابوري مرسلا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله أول ما أنزلت هذه الآية على آدم قال : أمن ذريتي من العذاب ما داموا على قراءتها ثم رفعت فانزلت على ابراهيم عليه السلام فتلاها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار برداً وسلاماً ، ثم رفعت بعده فما أنزلت إلا على سليمان وعندها قالت الملائكة : الآن تم والله ملكك ، ثم رفعت فأنزلها الله تعالى عليّ ثم يأتي امتي يوم القيامة وهم يقولون : بسم الله الرحمن الرحيم ، فإذا وضعت أعمالهم في الميزان ترجحت حسناتهم [3] .

٣٤ – مستدرك الوسائل ٢٨٦/١ عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام والصدوق في العيون في حديث تقسم الحمد بين الله عز وجل والعبد «إلى أن قال» إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله عز وجل : بدأ عبدي باسمي حق عليّ أن أتمّم له أموره وأبارك له في أحواله [4] .

٣٥ – في تفسير الإمام عليه السلام في حديث طويل وإلى أن قال عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام : أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله حدثني عن الله عز وجل أنه قال : « كل أمر ذي بال لم يذكر اسم الله فيه فهو أبتر » . فقلت : بلى بأبي

---

(١) المحاسن : ٣٦١ باب ٣٤ التسمية .
(٢) الفضائل : ٢٠٩ .
(٣) تفسير الاصبهاني : ١٢٤ .
(٤) القرآن وفضائله : ٢٢٧ .

أنت وأمي لا أتركها بعدها ، قال : إذا تحظى بذلك وتسعد ، ثم قال عبدالله بن يحيى : يا أمير المؤمنين ما تفسير بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال عليه السلام : ان العبد إذا أراد أن يقرأ أو يعمل عملاً ويقول : « بسم الله » أي بهذا الاسم أعمل هذا العمل ، فكل أمر يعمله يبتدىء فيه بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » فإنه مبارك له فيه [1] .

٣٦ - وفيه ان الله عزوجل قد فضّل محمداً بفاتحة الكتاب على جميع النبيين ما أعطاها أحداً قبله إلا ما أعطى سليمان بن داود عليه السلام من « بسم الله الرحمن الرحيم » فرآها أشرف من جميع ممالكه التي أعطاها ، فقال : يا رب ما أشرفها من كلمات إنها لآثر عندي من جميع ممالكي التي وهبتها لي ، قال الله تعالى : يا سليمان .. ما من عبد ولا امة سماني بها إلا أوجبت له من الثواب ألف ضعف ما أوجب لمن تصدق بألف ضعف ممالكك [2] . هذا الحديث وإن كان بصدد بيان فضائل الحمد إلا أن تشريك سليمان عليه السلام في البسملة وثوابها ناسب ذكره .

٣٧ - روي عن النبي صلى الله عليه وآله من قرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم » وكان مؤمناً سبّحت معه الجبال إلا انه لا يسمع تسبيحها [3] .

٣٨ - وقال أيضاً : إذا قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، قالت الجنة : لبيك اللهم وسعديك إلهي ان عبدك فلاناً ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم اللهم زحزحه من النار وأدخله الجنة [4] .

٣٩ - وروى عنه صلى الله عليه وآله ان من امتي قوماً يأتون يوم القيامة وهم يقولون : بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم على سيئاتهم ، فتقول الامم : سبحان الله ما أرجح حسنات امة محمد صلى الله عليه وآله ، فيقول أنبياؤهم: ان ذلك لأن كان ابتداء

---

(١) القرآن وفضائله ٢١١ .
(٢) = ٢٢٦ .
(٣) خزينة الأسرار : ١٠٠ .
(٤) المصدر : ١٠١ .

كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت في كفة الميزان ووضعت السماوات والأرضون وما فيهن وما بينهن في الكفة الثانية لرجحت عليها وهي بسم الله الرحمن الرحيم ثم قد جعلها أمناً من كل بلاء ودواء من كل داء وحرزاً من الشيطان الرجيم وأمنت هذه الامة من الخسف والقذف والغرق فألزموا تقريرها وتقرّبوا بها إلى ذي الجلال والإكرام [١] .

أقول : لعله نفس الحديث تحت الرقم ١٣ ثم صاحب الايضاح أثبت ما يتعلق بفضلها وشرفها من الأحاديث المروية المرتبطة بهـا لا مجال لذكرها بتفصيل وموجزها ما يلي : قال : والثاني ما يتعلق بفضلها وشرفها ، ولا يمكن الاحاطة بكل ما يتعلق بذلك لعدم حصره ولنذكر بعضه ، وإن لم يثبت عندنا شرط الرواية في بعض الأحاديث لأنها ليست بأقل عن احتمال كونها ضعيفة والأحاديث الضعيفة تجوز روايتها فيما يتعلق بالفضائل ، سيما إذا وافق القياس منها مـا في بعض المعتبرات .

٤٠ ــ عن النبي صلى الله عليه وآله انـه قال : « كل ما في الكتب المنزلة فهو في القرآن وكل ما في القرآن فهو في الفاتحة وكل مـا في الفاتحة فهو في بسم الله الرحمن الرحيم [٢] .

أقول : مـا ذكره من موافقة بعض الأحاديث الضعيفة بالقياس هو باطل عندنا بروايات أهل البيت (ع) الصحيحة المتواترة وإجماع أصحابنا وتمام البحث في محله .

٤١ ــ الجزائري في شرح العيون عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال : « كل العلوم تندرج في الكتب الأربعة وعلومها في القرآن وعـلوم القرآن في الفاتحة

(١) خزينة الأسرار ، ومخطوط يعود إلى مكتبة الاستادي دام علاه .

(٢) كتاب خطي عائد إلى مكتبة زميلنا الاستادي .

وعلوم الفاتحة في « بسم الله الرحمن الرحيم » وعلومها في باء « بسم الله » [١] .
هذا الحديث يشبه الحديث المتقدم وكأنه هو .

وفي سر البسملة للبوني قيل ان الله تعالى لما أنزل بسم الله الرحمن الرحيم اهتزت لها الجبال الراسيات وتزلزلت الأرضون السبع والسموات وازدادت الملائكة إيماناً والمخلوقات يقيناً وخرّت الجن على وجوهها وتحركت الأفلاك وذلت لعظمتها الأملاك وكانت مكتوبة على جبين آدم عليه السلام من قبل أن يخلق بخمسمائة عام وكانت على جناح جبرائيل عليه السلام يوم نزوله إلى ابراهيم عليه السلام فقال بسم الله الرحمن الرحيم : «يا نار كوني برداً وسلاماً» [٢]. وكانت مكتوبة على لسان عيسى عليه السلام يوم تكلم في المهد صبياً [٣] . وفي شمس المعارف قال : قال الحسن في قوله تعالى: « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً » [٤] . يعني بسم الله الرحمن الرحيم . وقيل في قوله تعالى : « وألزمهم كلمة التقوى » [٥] . إنها بسم الله الرحمن الرحيم .

٤٢ – وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام يقول له : يابن مريم أما علمت أي آية نزلت عليك ؟ فقال : بلى يا رب ، فقال له : يا عيسى انزلت عليك آية الأمان وهي بسم الله الرحمن الرحيم فالزم قراءتها في ليلك ونهارك وسرّك وإقبالك وقعودك وقيامك وأكلك وشربك وجميع أحوالك ، فإنه من جاء به يوم القيامة وفي صحيفته بسم الله الرحمن الرحيم ثمانمائة مرة وكان مؤمناً موقناً بربوبيتي أعتقته من النار وأدخلته الجنة دار القرار .

٤٣ – وقال عليه الصلاة والسلام : من كتب بسم الله الرحمن الرحيم غفر

---

(١) مصابيح الأنوار ١/٤٣٥ . (٢) الأنبياء : ٦٩ .
(٣) خزينة الأسرار : ١٠٣ . وظاهره مقول للقيل وليس بحديث إلا أن بعض معانيه ثابت.
(٤) الاسراء : ٤٦ . (٥) الفتح : ٢٦ .

له كما في الروضة ، وبالجملة ان عجائبها وفضائلها لا تنقضي انتهاءه ويكفي في قوة شرفها وفضلها كونهـا في أول كل سورة من كلام الحكيم الخبير و كونها أول وحيه لأفضل أنبيائه عليه أفضل الصلوات وأنمى التسليمات [1] .

أقول : حكى عن عارف أنـه كتب بسم الله الرحمن الرحيم وأوصى أن يجعل في كفنه فقيل له في ذلـك ، فقال : أقول يوم القيامة إلهي بعثت كتاباً وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم فعاملني بعنوان كتابك [2] .

(١) مخطوط .
(٢) تفسير المحقق الاصبهاني : ١٢٥ .

المقصد الثاني

الاسم الاعظم

قال المحقق الاصبهاني طاب ثراه : الاسم الأعظم هو الاسم الواحد الذي بوحدته يشمل جميع الأسماء ، وتكون تلك الأسماء بمنزلة الأجزاء والجزئيات والحروف من تلك الكلمة العينية ، وقد قال الإمام عليه السلام : إن البسملة أقرب إلى الاسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها كما في الرضوي [١] أو بين سواد العين وبياضها كما في الحديث الآخر [٢] .

والتعبير بأقربيتها إلى الاسم الأعظم لاعينه لكون بسم الله الرحمن الرحيم بجميع أجزائها مداليل لا تجمعها الوحدة المفهومية وإنما هي رابط لفظي ، والظاهر ان شيئاً منها ليس اسماً جامعاً على ما وصفناه فيشبه أن تكون البسملة تفصيل ذلك الاسم الأعظم وبمنزلة الحروف من تلك الكلمة المباركة الجامعة للمداليل الجمالية والكمالية المحيطة بكل ما لبقية الأسماء الإلهية ونسبتها إلى البقية نسبة سواد العين إلى بياضها ونسبة المتجلي إلى المتجلى فيه بحسب المعنى .

« إلى أن قال » إذا عرفت كيفية النسبة بين البسملة والاسم الأعظم في مقام الحقيقة صح لك اعتبارها بين لفظ البسملة ، وذلك الاسم اللفظي إذ نسب الألفاظ ها هنا تابعة للحقائق كتبعيتها إياه في وصفها بالكلية والجزئية والترادف والتباين كما ان بياض العين غير محيط من جميع الجوانب ، كذا لا تحيط البسملة بجميع الاسم الأعظم مطابقة إذ منها أسامي القهر والانتقام في مقام التفصيل

---

(١) تحت الرقم ٥ .

(٢) تحت الرقم ١٩ من روايات البسملة .

وهي غير مصرّحة فيها .. نعم يدل عليها من لفظ الجلالة على وجه إجمالي [1] .

أقول : لعـــلّ المستفاد من بعض الأحاديث ان لفظ « الله » هو المقصود بالاسم الأعظم .

ففي الحديث المتقدم : « ان رجلاً قـام إليه فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن بسم الله الرحمن الرحيم ما معناه ، فقال : ان قولـك « الله » أعظم اسم من أسماء الله عز وجل وهو الذي لا ينبغي أن يسمى به غير الله ويتسمّ به » [2] .

إشارة إليه حيث قـــال عليه السلام : « الله أعظم اسم » . وعليه لعلّ إضافة « بسم الله » في البسملة بيانية أي بالاسم الذي هو الله أفعل كذا ، ولم يقل بالله للتأدب أو لغـــير ذلك ويكون « الرحمن الرحيم » تفصيلاً للاسم الجامع لكل المعاني الاسمائية جمعـاً إجمالياً وهو « الله » وينطبق تعريف الاسم الأعظم الذي عرفه المحقق المتقدم عليـه إذ لفظ « الله » هو الذي بوحدته يشمل جميع الأسماء الحسنى دون باقي الاسماء لأنه العلم للذات المقدسة الذي لا يسوغ تسمية غيره تعالى به ، ولم يقع اختلاف في عدم التسمية به واسم الرحمن اسم خاص بـــه تعالى ورحمانية عامـــة تعم كل شيء كما نصت النصوص ، ولكن ليس كلفظ الجلالة اختصاصه به عز وجل بالاتفاق ، وفي قوله تعالى : « قـل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى » [4] . دلالة على ما كانوا عليه من عـدم التسوية بين الاسمين المباركين لديهم في الدعـاء ، فقال تعالى في مقام الرد عليهم ان الاسمين كبقية أسمائه الحسنى يدعى بها إذ المسمى في الكل هو الأحد الفرد العيني وهو الله جلّ جلاله . ولست اريد أن اسم الرحمن تصح التسمية به ، بل اريد أنه من حيث الدلالة ليس كلفظ الجلالة في الجامعية حتى مع دعوى العلمية

---

(١) تفسيره ص ١١٩ – ١٢٠ بتصرف ما .

(٢) التوحيد : ٢٣١ . (٣) تحت الرقم ٢٨ . (٤) الاسراء : ١١٠ .

بالغلبة لأن وصف الرحمة قبل العلمية مانع من الجامعية ، وأما المصداق فالكل سواء .

ولفظ « هو » بها الدلالة كدلالة «الله» عليه تعالى لأنه أقرب من باقي الأسماء في عدم سبق مفهوم مشترك بين الله وخلقه من المفاهيم : كلفظ قادر وعالم ورحيم وغيرها من أسمائه الحسنى ، وذلك لأن ضمير « هو » منبىء عن تمـام مدلوله مطابقة بدون سبق مفهوم مشترك دلالي .

نعم لو كان سبق فهو في المرجع العيني ولا يقـال « هو » إلا إذا كان معهوداً خارجاً أو ذهناً أو ذكراً ، ونجد أن لفظ الجلالة سالماً من هذا النوع من سبق مشترك بين الخارج والذهن والذكر أيضاً ، فلفظ « هو » من جهة الشركة في المصداق يشترك مع باقي الأسماء التي لهـا الشركة في المدلول ، ومن جهة كونه متمحضاً في المرجع و « هو » قريب من لفظ « الله » . ومن هنا جاء في الحديث أنه الاسم الأعظم .

روى الصدوق في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: رأيت الخضر عليه السلام في المنام قبل بدر بليلة فقلت له : علمني شيئاً أنصر به على الأعداء ، فقال : قل يا هو يا من لا هو إلا هو ، فلما أصبحت قصصتها على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي : يا علي علمت الاسم الأعظم .

فكان على لساني يوم بدر وان أمير المؤمنين عليه السلام قرأ قل هو الله أحد فلما فرغ قال : يا هو يا من لا هو إلا هو اغفر لي وانصرني على القوم الكافرين ، وكان علي عليه السلام يقول ذلـك يوم صفين وهو يطارد ، فقال عمار بن ياسر : يا أمير المؤمنين ما هذه الكلمات؟ قال: اسم الله الأعظم وعماد التوحيد الله لا إله إلا هو ثم قرأ شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وآخر الحشر ثم نزل فصلى أربع ركعات قبل الزوال [1] .

---

(١) التوحيد : ٨٩ .

أقول : من الحديث في النفس شيء إذ الخضر يعد تلميذاً لأمير المؤمنين عليه السلام في الواقع فكيف سيعلم منه، ثم إنما جعل لفظة « هو » الاسم الأعظم لخلوها عن سبق الذهن إلى المفاهيم الكمالية المتعددة مع عـــدم الخلو من كل كمال ربوبي وهو منطبق تماماً على ما عرفه المحقق الآنف الذكر ومعط ما أعطاه لفظ الجلالة لأن « هو » مؤلف من الهاء والواو ، فالهاء تنبيه عن المعنى الثابت والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس كما ان قولك « هذا » إشارة إلى الشاهد عند الحواس فيكون تمام المدلول عليه « هو » تمام المدلول عليه « الله » من هنا صح حمل أحدهما على الآخر بدون تأويل وتصرف عقلي ونقلي، قال الله تعالى : «قل هو الله أحد»[1].

بهذا البيان بان ما في جعل «هو» ضمير الشأن في الآية الكريمة ، والذي يثبت ما قلنا ما ورد في سبب نزول سورة الإخلاص : ان الكفار نبهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك ، فقالوا : هـذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعو إليـــه حتى نراه وندركه ولا نأله فيه ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « قل هو الله أحد » . فالهـاء تنبيه للثابت ، والواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار ، ولمس الحواس وأنه تعالى عن ذلك، بل هو مدرك الابصار ومبدع الحواس[2] . أي الله تعالى .

وأما حمل « هو » على « الله » يمكن الدلالة عليه بقوله تعالى : « الله لا إله إلا هو »[3] . وأيضاً مما يدل على الاسم الاعظم وأنه في البسملة ، ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : « بسم الله الأعظم في مقطع أم الكتاب »[4] . وقد كرر ذلك وأنـــه في مقطع أم الكتاب ، والمقطع بفتح الميم موضع القطع أو بالكسر أي : آلة القطع ويراد به الآية كما يراد بالمقاطع الآيات أي آخرها لأنه موضع اقتطاع قبلها عما بعدها ، والمقطع صادق على كل آية فيها اسم الله من أم

---

(١) الاخلاص : ١ .
(٢) التوحيد : ٨٨ .
(٣) البقرة : ٢٥٥ .
(٤) تفسير البرهان ١/٤١ .

الكتاب إلا أن المحتمل القوي أن يكون المقصود البسملة دون غيرها ، والابهام لموضع الاهتمام بالسورة المباركة لئلا تفوت المؤمن فوائدها الجمة التي وردت في روايات أهل البيت عليهم السلام . ويمكن أن يراد به الاقتطاع عن السورة لا الآية عن الآية فينطبق ذلك على البسملة من دون إبهام . وبعد هذا كله هنا حديث شريف رواه الصدوق بإسناده إلى الصادق عليه السلام يدل على أنه اسم مخزون محجوب عن الخلق من بين أسمائه الحسنى ، ومنه ينكشف سرّ عدم التصريح به في الرضوي الذي أشار إليه المحقق المتقدم والحديث تحت الرقم ٥ و١٩ أنها أقرب إلى الاسم الاعظم من سواد العين إلى بياضها وبين بياض العين وسوادها ، واكتفى بالتمثيل المذكور . وإليك نص الحديث : قال عليه السلام : ان الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف .. غير منعوت [1] . وباللفظ غير منطق وبالشخص غير مجسد وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ منفي عنه الاقطار مبعد عنه الحدود ، محجوب عنه حسّ كل متوهم ، مستتر غير مستور فجعله [2] كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر ، فأظهر منها ثلاثة أسماء [3] لفاقة الخلق إليها وحجب واحداً منها وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي أظهرت ، فالظاهر هو الله تبارك وتعالى [4] . وسخّر سبحانه لكل اسم من هذه أربعة أركان فذلك اثنا عشر ركناً ، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً فعلا منسوباً إليها فهو الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الحي ، القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، العليم ، الخبير ، السميع ، البصير ، الحكيم ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، العلي ، العظيم ، المقتدر ، القادر ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، البارىء ، المنشىء ، البديع

---

(١) في نسخة الوافي وغيره « غير متصوت » .

(٢) يعني فجعل ما خلق كما في المجمع .

(٣) كأنها الله ، العلي ، العظيم أو الله الرحمن الرحيم « المجمع » .

(٤) في نسخة فالظاهر هو الله ، وتبارك ، وسبحان . هامش التوحيد ١٩١ .

الرفيع ، الجليـــل ، الكريم ، الرزاق ، المحيي ، المميت ، الباعث ، الوارث ، فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حـتى تتم ثلاثمائة وستين اسماً فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهـذه الأسماء الثلاثة [١] . وذلك قوله عزّ وجل : « قـــل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى » [٢] [٣] . للحديث الشريف شروح وتفاسير .

قـــال صاحب الميزان : قوله عليه السلام : « إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوت » هذه الصفات المعدودة صريحة في ان المراد بهـذا الاسم ليس هو اللفظ ولا معنى يدل عليه اللفظ من حيث أنه مفهوم ذهني ، فإن اللفظ والمفهوم الذهني الذي يدل عليه لا معنى لاتصافه بالأوصاف التي وصفه بهـا وهو ظاهر .. فليس المراد بالاسم إلا المصداق المطابق للفظ لو كان هناك لفظ ، ومن المعلوم ان الاسم بهذا المعنى وخاصة بالنظر إلى تجزّيه بمثل : الله تبارك وتعالى ليس إلا الذات المتعالية .

قوله عليه السلام : « فالظاهر هو الله تبارك وتعالى » إشارة إلى الجهات العامـة التي تنتهي إليهـا جميع الجهات الخاصة من الكمال ويحتاج الخلق إليها من جميع جهات فاقتها ، وهي ثلاثة : جهة اجتماع الذات لكل كمال . وهي التي يدل عليها لفظ الجلالة ، وجهة ثبوت الكمالات ومنشأية الخيرات والبركات وهي التي يدل عليه اسم تبارك ، وجهة انتقاص النقائص وارتفاع الحاجات ، وهي التي يـدل عليه لفظ تعالى .

قوله عليه السلام : « وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب » : فإن الاسم المكنون

---

(١) فعلها الحكمة ، اقتضت ذلك كما حجب ليلة القدر ، وساعة الإجابة . مجمع البحرين في مادة « سما » .

(٢) الاسراء : ١١٠ . (٣) التوحيد : ١٩٠ – ١٩١ .

المخزون لما كان اسماً فهو تعينٌ وظهورٌ من الذات المتعالية ، وإذا كان مكنوناً بحسب ذاته غير ظاهر بحسب نفسه فظهوره عين عدم ظهوره وتعينه عين عدم تعينه وهو ما يعبر عنه أحياناً بقولنا : إنه تعالى ليس بمحدود بحد حتى بهذا الحد العدمي لا يحيط به وصف ولا نعت حتى هذا الوصف السلبي، وهذا بعينه توصيف منا والذات المتعالية أعظم منه وأكبر . ولازمه أن يكون اسم الجلالة الكاشف عن الذات المستجمعة لجميع صفات الكمال اسماً من أسماء الذات دونها ودون هذا الاسم المكنون المخزون وكذا « تبارك » و « تعالى » ، ثلاثة أسماء معاً سدنة وحجباً للاسم المكنون من غير أن يتقدم بعضها بعضاً ، وهذه الحجب الثلاثة والاسم المكنون المحجوب بها جميعاً دون الذات، وأما هي فلا ينتهي إليها إشارة ولا يقع عليها عبارة، إذ كلما تحكيه عبارة أو تومىء إليه إشارة اسم من الأسماء محدود بهذا النحو والذات المتعالية أعلى منه وأجلّ .

والرواية من غرر الروايات تشير إلى مسألة هي أبعد سمكاً من مستوى الأبحاث العامة والافهام المتعارفة ، ولذلك اقتصرنا في شرح الرواية على مجرّد الإشارات، وأما الايضاح التام فلا يتم إلا ببحث مبسوط خارج عن طوق المقام[1]

قبل شرحه دام ظله للرواية قدّم أبحاثاً حول الأسماء الحسنى في فصول ستة « إلى أن قال » في الفصل الرابع والخامس :

فللأسماء الحسنى عرض عريض تنتهي من تحت إلى اسم أو أسماء خاصة لا يدخل تحتها اسم آخر ثم تأخذ في السعة والعموم ، ففوق كل اسم ما هو أوسع منه وأعمّ حتى تنتهي إلى اسم الله الأكبر الذي يسع وحده جميع حقائق الأسماء وتدخل تحته شتات الحقائق برمتها وهو الذي نسميه غالباً بالاسم الأعظم، ومن المعلوم أنه كلما كان الاسم أعمّ كانت آثاره في العالم أوسع ، والبركات النازلة

---

(١) تفسير الميزان ٨/٣٦٤ - ٣٦٥ .

منه أكبر وأتمّ لمـــا أن الآثار للأسماء كما عرفت فيما في الاسم من حلل العموم والخصوص يحاذيه بعينه أثره ، فالاسم الأعظم ينتهي إليـه كل أثر ، ويخضع له كل أمر .

ما معنى الاسم الأعظم ؟

شاع بين الناس أنه اسم لفظي من أسماء الله سبحانه إذا دعى به استجيب ، ولا يشذ من أثره شيءٌ .

غير أنهم لما لم يجدوا هذه الخاصة في شيء من الأسماء الحسنى المعروفة ولا في لفظ الجلالة ، اعتقدوا أنـه مؤلف من حروف مجهولة تأليفاً مجهولاً لنا لو عثرنا عليه أخضعنا لإرادتنا كل شيء .

وفي مزعمة أصحاب العزائم والدعوات أنله لفظاً يدل عليه بطبعه لا بالوضع اللغوي غـــير أن حروفه وتأليفها تختلف باختلاف الحوائج والمطالب ولهم في الحصول عليه طرق خاصة يستخرجون بهـا حروفاً أولاً ، ثم يؤلفونها ويدعون بها على ما يعرفه من راجع فنّهم .

وفي بعض الروايات الواردة إشعار ما بذلك كما ورد ان « بسم الله الرحمن الرحيم » أقرب إلى اسم الله الأعظم من بياض العين إلى سوادها ، وما ورد أنـه في آية الكرسي وأول سورة آل عمران ، وما ورد أن حروفه متفرقة في سورة الحمد يعرفها الإمام ، وإذا شاء ألفها ودعا بها فاستجيب له .

وما ورد أن آصف بن برخيا وزير سليمان دعا بمـا عنده من حروف اسم الله الأعظم ، فأحضر عرش ملكة سبأ عند سليمان في أقل من طرفة عين ، وما ورد أن الاسم الأعظم على ثلاث وسبعين حرفاً قسم الله بـين أنبيائه اثنتين وسبعين منها واستأثر واحداً منها عنده في علم الغيب إلى غـير ذلك من الروايات المشعرة بأن له تأليفاً لفظياً .

والبحث الحقيقي عن العلة والمعلول وخواصها يدفع ذلك كله ، فـإن الثابت الحقيقي يدور مدار وجود الأشياء في قوته وضعفه ، والمسانخة بين المؤثر والمتأثر

والاسم اللفظي إذا اعتبرنا من جهة خصوص لفظه كان مجموعـة أصوات مسموعة هي من الكيفيات العرضية، وإذا اعتبر من جهة معناه المتصور كان صورة ذهنية لا أثر لها من حيث نفسها في شيء البتة، ومن المستحيل أن يكون صوت أوجدناه من طريق الحنجرة أو صورة خياليـة نصوّرها في ذهننا بحيث يقهر بوجوده كل شيء، ويتصرف فيما نريده على ما نريده فيقلب السماء أرضاً والأرض سماءً ويحول الدنيا إلى الآخرة وبالعكس، وهكذا وهو في نفسه معلول لإرادتنا .

والأسماء الإلهية واسمه الأعظم خاصة، وإن كانت مؤثرة في الكون ووسائط وأسباب لنزول الفيض من الذات المتعالية في هذا العالم المشهود لكنها إنمـا تؤثر بحقائقها لا بالألفاظ الدالة في لغـــة كذا عليها، ولا بمعانيها المفهومة من ألفاظها المتصورة في الأذهان، ومعنى ذلك ان الله سبحانه هو الفاعل الموجد لكل شيء بمـا له من الصفة الكريمة المتناسبة له التي يحويه الاسم المناسب لا تأثير اللفظ أو صورة مفهومة في الذهن أو حقيقة أخرى غير الذات المتعالية .

إلا أن الله سبحانه وعـد إجابة دعوة من دعاه كما في قوله : « أجيب دعوة الداع إذا دعان » البقرة : ١٨٦، وهذا يتوقف على دعاء وطلب حقيقي، وأن يكون الدعاء والطلب منه تعالى لا من غـــيره – كما تقدم في تفسير الآية – فمن انقطع عن كل سبب واتصل بربـه لحاجة من حوائجه، فقد اتصل بحقيقة الاسم المناسب لحاجته فيؤثر الاسم بحقيقته ويستجاب له، وذلك حقيقة الدعاء بالاسم فعلى حسب حال الاسم الذي انقطع إليه الداعي يكون حال التأثير خصوصاً وعموماً، ولو كان هذا الاسم هو الاسم الأعظم انقاد لحقيقته كل شيء واستجيب للداعي به دعاؤه على الاطلاق . وعلى هذا يجب أن يحمل ما ورد من الروايات والأدعية في هذا الباب دون الاسم اللفظي أو مفهومه .

ومعنى تعليمه تعـــالى نبياً من أنبيائه أو عبداً من عباده اسماً من اسمائه أو شيئاً من الاسم الأعظم هو أن يفتح له طريق الانقطاع إليه تعالى باسمه ذلك في

دعائه ومسألته ، فإن كان هناك اسم لفظي وله معنى مفهوم ، فإنما ذلك لأجل أن الألفاظ ومعانيها وسائل وأسباب تحفظ بها الحقائق نوعاً من الحفظ فإنهم ذلك [1] .

قال الحقي : ثم ان المختار ان كلمة « الله » هو الاسم الأعظم ، فـإن سأل سائل وقال : « من شرط الاسم الأعظم انه إذا دعى الله به أجاب ، وإذا سئل به أعطى فنحن ندعو به ونسأل فلم نر الإجابة في أكثر الأوقات » . قلنا : ان للدعاء آداباً وشرائط لا يستجاب الدعاء إلا بهـا كما ان الصلاة كذلك ، فأول شرائطه إصلاح الباطن باللقمة الحلال ، وقد قيل: « الدعاء مفتاح السماء وأسنانه لقمة الحلال » . وآخر شرائطه الاخلاص وحضور القلب كما قـال الله تعالى : « فادعوا الله مخلصين له الدين » [2] . فإن حركة الإنسان باللسان وصياحه من غير حضور القلب ولولة الواقف على الباب وصوت الحارس على السطح ، أما إذا كان حاضراً فالقلب الحاضر في الحضرة شفيع له،قال الشيخ مؤيد الدين الجندي ان للاسم الأعظم الذي اشتهر ذكره وطار خبره ووجب طيه وحرم نشره من عالم الحقائق والمعاني حقيقة ومعنى ، ومن عالم الصور والألفاظ صورة ولفظاً ، أما حقيقته فهي أحدية جمع جميع الحقائق الجمعية الكمالية كلها ، وأما معناه فهو الانسان الكامل في كل عصر وهو قطب الأقطاب حامل الأمانة الإلهية خليفة الله . وأما صورته فهي صورة كامـل ذلك العصر وعلمه كان محرّماً على سائر الامم لما لم تكن الحقيقة الانسانية ظهرت بعد في أكمل صورته ، بل كانت في ظهورها بحسب قابلية كامل ذلك العصر فحسب، فلما وجد معنى الاسم الأعظم وصورته بوجود رسول الله ﷺ باح العلم به كرامة له [3] .

---

(١) تفسير الميزان ٨/٣٥٤ - ٣٥٦ .　　(٢) غافر : ١٤ .

(٣) تفسير روح البيان ١/٨ .

ولبعض حول الاسم الأعظم بحث قال القائلون : بأن الاسم الأعظم موجود اختلفوا فيه على وجوه :

القول الأول : قول من يقول إن ذلك الاسم الأعظم هو قولنا : « ذو الجلال والإكرام» وورد فيه قوله عليه الصلاة والسلام: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام» وهـذا عندي ضعيف لأن الجلال إشارة إلى الصفات السلبية ، والاكرام إشارة إلى الصفات الاضافية وقـد عرفت ان حقيقته المخصوصة مغايرة للسلوب والاضافات .

القول الثاني : قول من يقول إنه هو « الحيّ القيوم » لقوله عليـه الصلاة والسلام لأبي بن كعب : ما أعظم آية في كتاب الله تعالى فقال : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » . فقال : « ليهنك العلم أبا المنذر » . وعندي أنـه ضعيف وذلك لأن الحي هو الدراك الفعال ، وهذا ليس فيه كثرة عظمة لأنه صفة، وأما القيوم فهو مبالغة في القيام ، ومعناه كونه قائمـاً بنفسه مقوماً لغيره ، فكونه قائماً بنفسه مفهوم سلبي وهو استغناؤه عن غيره وكونه مقوماً لغيره صفة إضافية فالقيوم لفظ دال على مجموع سلب وإضافة ، فـلا يكون ذلك عبارة عن الاسم الأعظم .

القول الثالث : قول من يقول: أسماء الله كلها عظيمة مقدسة ولا يجوز وصف الواحد منها بأنه أعظم لأن ذلك يقتضي وصف ما عداه بالنقصان . وعندي ان هذا ضعيف لأنا بينا ان الأسماء منقسمة إلى الأقسام التسعة،وبينا ان الاسم الدال على الذات المخصوصة بحيث أن يكون أشرف الأسماء وأعظمها ، وإذا ثبت هذا بالدلائل فلا سبيل فيه إلى إنكاره .

القول الرابع : ان الاسم الأعظم هو قولنا : « الله » وهـذا هو الأقرب عندي لأنا سنقيم الدلالة على أن هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه

سبحانه ، وإذا كان كذلك كان دالاً على ذاته المخصوصة [١] .

أقول : يقرب القول الرابع ما رواه الشيخ الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى الحسن العسكري « إلى أن قال » عليه السلام : وقام رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام حدثني أبي عن أخيه الحسن عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ان رجلاً قام إليه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن بسم الله الرحمن الرحيم ما معناه ؟ فقال : ان قولك: « الله » أعظم اسم من أسماء الله عزوجل وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمى به غير الله ولم يتسمّ به مخلوق [٢] .

فتجد التصريح فيه ان « الله » هو أعظم اسم من أسمائه تعالى ، وقد سبق ذكره عند سرد أحاديث البسملة تحت الرقم ٢٨ ، ولكن لا يبعد ما ذهب إليه الطباطبائي على ما سلف أنه أمر ليس بذلك الوضوح ، بل لا بدّ من موافقة الحال الداعي لذلك الاسم حتى يتحقق فيه كما احتمل الفرق بين القول « الله » هو أعظم اسم من أسمائه وبين القول بـ « الاسم الأعظم » .

ثم ان البعض الآنف الذكر قال قبل الأقوال الاربعة عند التكلم حول وضع الاسم الخاص لله تعالى دون الاوصاف الصادقة .. ما لفظه : بتقدير أن يكون وضع الاسم لتلك الحقيقة المخصوصة ممكناً وجب القطع بأن ذلك الاسم أعظم الأسماء ، وذلك الذكر أشرف الأذكار لأن شرف العلم بشرف المعلوم وشرف الذكر بشرف المذكور ، فلما كان ذات الله تعالى أشرف المعلومات والمذكورات كان العلم به أشرف العلوم وكان ذكر الله أشرف الأذكار ، وكان ذلك الاسم أشرف الأسماء وهو المراد من الكلام المشهور الواقع في الألسنة وهو اسم الله الأعظم وأتفق لملك مقرب أو نبي مرسل الوقوف على ذلك الاسم حال ما يكون قد تجلى له معناه لم يبعد أن يطيعه جميع العوالم الجسمانيات والروحانيات [٣] .

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١/١١٥ . (٢) التوحيد : ٢٣١ .

(٣) تفسير الفخر ١/١١٤ - ١١٥ .

ومن مجموع ما درسنا عرف أن الاسم الأعظم أمر مستتر بـــين أسماء الله الحسنى وما دلّ على أن البسملة أقرب إلى الاسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها كما تقـدم عند سرد أحاديثها تحت الرقم ٥ و١٩ دال على أنه من مقولة الأسماء الحسنى ، وهنا روايات تنص بأن الأئمة الهادين عليهم السلام هم الأسماء الحسنى كما في صحيح معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بهـا » [1] . قال : « نحن والله الاسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا » [2] .

وإذا ضممنا هذا مع الاول أُنتج أنهم عليهم السلام هم الاسم الاعظم ، وأيضاً لا شك أن الاسم الاعظم في مقطع أم الكتـاب وفي حروف القرآن المقطعة كما سبق في المباحث السابقة [3] .

وورد أن أمير المؤمنين عليه السلام عندما رفعت المصاحف يوم صفين قال : « إنا لم نحكم الرجال، وإنما حكمنا القرآن. هذا القرآن إنما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان ، ولا بدّ له من ترجمان وإنما ينطق عنه الرجال » [4] .

يقصد بالرجال نفسه وأهل بيته الطاهرين . فينتج أنه عندهم عليهم السلام ويؤيد ذلك صحيح جابر عن أبي جعفر عليه السلام قـــال : إن اسم الله الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالارض ما بينه وبـــين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الارض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الاسم الاعظم إثنان وسبعون حرفاً وحرف واحد عند الله تعالى استأثر بـــه في علم الغيب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [5] .

---

(١) الاعراف : ١٨٠ . (٢) اصول الكافي ١/١٤٣ - ١٤٤ .

(٣) تفسير البرهان ١/٤١ . وانظر إلى كلام صاحب الميزان .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٨/١٠٣ الخطبة ١٣٠ .

(٥) اصول الكافي ١/٢٣٠ ، أنظر الحديث رقم ١ و٢ و٣ باب « مـا أعطوا من الاسم الأعظم » .

والنصوص في هذا المقام مستفيضة فالامر من المقطوع به فما ذكره الحقي من كونــه ظاهراً في الرسول صلى الله عليه وآله والكامل في العصر حق ، ومن المكشوف أن الكمال كل الكمال بين جنب الائمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله .

قال السيد الشبر الحديث الرابع والثمانون ما رويناه عن المحـدّث الشريف الجزائري في شرح العيون عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال : كل العلوم تندرج في الكتب الاربعة وعلومها في القرآن وعلوم القرآن في الفاتحة وعلوم الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم وعلومها في باء بسم الله .

حكى عن الفاضل النيسابوري أنه قال في معنى هذا الحديث : وذلـك لأن المقصود من كل العلوم وصول العبد إلى الرب ، وهذه الباء الإلصاق فهي توصل العبد إلى الرب وهو نهاية الطلب وأقصى الأمد ، وفي رواية أخرى أنــه قال : « وأنا النقطة تحت الباء ». قيل ولعلّ معناه أنه عليه السلام يميّز العلوم ويبيّنها كما أن النقطة تحت الباء تميّزها عما يشاركها من التاء والثاء والياء ، ويمكن أن يكون المراد بالنقطة الوحدة والبساطة ، ويكون المعنى أنه هو الفرد الذي لا يشاركه أحد في علومه وغرائب أحواله ، وعلى ذلك يحتمل مــا ورد من أن العلم نقطة كثرها الجاهلون فتأمل [١] .

أقول : الرواية التي أشار إليها لعلها هي ما روى عنه عليه السلام في غرر الحكم أنه قال : « أنا النقطة » قد ذكر المحدّث الشريف الجزائري في توجيهه وجوهاً:

أحدها : أن يكون المراد من النقطة القدرة الإلهية التي هي الأصل .

ثانيها : أن العلوم والأخبار تنتهي إليه وعلمه ممتد إلى جميع الأئمة (ع) كما أن النقطة نهاية الخط وهو الإمتداد الطولي .

ثالثها : أن يكون إشارة إلى قول الامام عليه السلام « أنا الاول أنا الآخر أنا

---

(١) مصابيح الأنوار ١/٥٠٣؛ وفي خبر « أنا النقطة » . كما في نفس الكتاب ٢/٣٩٤ .

الظاهر أنا الباطن ». والسرّ في ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله من أنه قال: خلق الله نوري ونور علي وسبحنا فسبحت الملائكة، وهللنا فهللت الملائكة وكبرنا فكبرت الملائكة، وفي رواية أن الأمين جبرائيل قال: أتاني هذا الشاب في عالم الأنوار وقال لي: إذا قال لك ربك: « من أنا ومن أنت » فقل: أنت الرب الجليل وأنا الحقير جبرائيل، وقد روي أيضاً أنه قال: يا محمد ان الله بعث علياً مع الملائكة باطناً وبعثه معك ظاهراً وهو يرجع في القيامة الصغرى.

رابعها: أنه عليه السلام مركز دائرة الكون ومحيطها، ولولاه لما خلق الله شيئاً كما يظهر من بعض الروايات [1].

وعليه دارت القرون في الدنيا والآخرة.

خامسها: أنه عليه السلام صاحب رئاسة الإمامة التي هي منتهى الكمالات والاذعان بها واجب على جميع الموجودات وهي ممتدة منه عليه السلام إلى ولده صاحب العصر والزمان.

سادسها: أنه قد اجتمعت فيه أسرار النبوة.. والامامة العامة الممتدة [2].

إن صح الخبر تمّ المقصود وإلا فالعمدة ما تقدم من صحاح دالة على ان الاسم الأعظم عند أهل البيت عليهم السلام. دلّ على ذلك قوله تعالى مع التفسير المأثور عنهم عليهم السلام: « قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » [3]. وقد أشار إلى التفسير للآية السيد الطباطبائي [4] دام ظله ثم ان العلامة المجلسي عقد باباً للاسم الأعظم لا بأس بالتعرض لما عقده وهو كما يلي: باب ١١ الاسم الأعظم، الآيات: النمل: « قال الذي عنده علم من الكتاب

---

(١) لم أظفر عليه. (٢) مصابيح الأنوار ٢/٣٩٤ - ٣٩٥ الحديث ٢١٦.

(٣) النمل: ٤٠.

(٤) تفسير الميزان ٨/٣٥٥. وانظر اللفظ من هذا الكتاب المقصد الثاني.

أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك »[1] .

١ – نهج من الروايات بإسنادنا من الكتاب المشار إليه عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اسم الله الاعظم مقطع في أم الكتاب .

٢ – ومن الروايات فيه بإسنادنا من الكتاب المشار إليه عن عمر بن توبة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لبعض أصحابه : ألا أعلمك اسم الله الأعظم قال : إقرأ الحمد لله وقل هو الله ، وآية الكرسي ، وإنا أنزلناه ثم استقبل القبلة فادع بما أحببت .

٣ – ومن الروايات في اسم الله الأعظم مما رويناه[2] بإسنادنا إلى محمد بن الحسن الصفار إلى سليمان بن جعفر الجعفري عن الرضا عليه السلام قال : من قال بعد صلاة الفجر بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مائة مرة كان أقرب إلى اسم الله الاعظم من سواد العين إلى بياضها وانه دخل فيها اسم الله الاعظم .

٤ – ومن الروايات في اسم الله الاعظم بإسنادنا أيضاً إلى عبد الحميد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : بسم الله الاكبر « يا حيّ يا قيّوم » .

ومن الروايات في كيفية اسم الله الاعظم ما رويناه في كتاب البهي لدعوات النبي صلى الله عليه وآله تصنيف الحافظ أبي محمد الخزي عن عبد السلام بن محمد بن الحسن بن علي الخوارزمي الاندرستاني في عدة روايات .

٥ – فمنها : ما رواه أنس قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بأبي عياش زيد بن سامت أخي بني زريق وقد جلس قال : « اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إلا إلا أنت يا منان يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والاكرام». فقال صلى الله عليه وآله

---

(١) النمل : ٤٠ . (٢) الظاهر زيادة « من » الجارة من قوله « مما » .

لنفر من أصحابه : هل تدرون ما دعا به الرجل ، قالوا : الله ورسوله أعلم قال: لقد دعا الله بالاسم الاعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سأل به أعطى [١] .

٦ — ومنها برواية أسماء بنت زيد قالت : قال رسول الله ﷺ : اسم الله الاعظم الذيإذا دعي به أجاب:«قل اللهم مالك الملك إلى بغير حساب»[٢][٣].

٧ — وبرواية ابن عباس قال رسول الله ﷺ : اسم الله الاعظم في ست آيات من آخر الحشر [٤] .

٨ — ومنها : برواية أبي امامة قال رسول الله ﷺ: اسم الله الاعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور ثلاث : في البقرة ، وآل عمران ، وطه . قال أبو امامة في البقرة آية الكرسي [٥] . وفي آل عمران : « ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم » [٦] . وفي طه : « وعنت الوجوه للحي القيوم » [٧] [٨] .

٩ — ومنها : في حديث طويل قال : سمع رسول الله ﷺ رجلا يقول عشاء : « اللهم إني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » . فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سأل به أعطى وإذا دعي به أجاب [٩] .

١٠ — ومنها : برواية أنس قال ﷺ : ان يوشع بن نون دعا بهذا الدعاء فحبست له الشمس بإذن الله عز وجل : « اللهم إني أسألك باسمك الطهر الطاهر المطهر المقدس المبارك المكنون المخزون المكتوب على سرادق الحمد وسرادق المجد

---

(١) البحار : ٩٣/ : ٢٢ .

(٢) آل عمران : ٢٦ .

(٣) البحار : ٩٣/٢٢٤ .

(٤) الحشر : ٢٢ — ٢٤ .

(٥) البقرة : ٢٥٥ — ٢٥٧.

(٦) آل عمران : ١ .

(٧) طه : ١١١ .

(٨) البحار ٩٣ ص ٢٢٤ .

(٩) المصدر ص ٢٢٤ .

وسرادق القدرة وسرادق السلطان وسرادق السرائر ، أدعوك يا رب بـأن لك الحمد لا إله إلا أنت النور البار الرحمن الرحيم الصادق عالم الغيب والشهادة بديع السماوات والارض ونورهن وقيامهن ذو الجلال والاكرام حنان نور دائم قدوس حق لا يموت [١] .

١١ — وبرواية حمزة بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم إني أسألك باسمك العظيم وبرضوانك الأكبر » [٢] .

١٢ — ومنها : برواية ابن مسعود قـال ﷺ : « اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك التامات » [٣] .

١٣ — ومنها : بإسناده إلى يحيى بن مسلم بلغه ان ملك الموت استأذن ربـه تعالى أن يسلم على يعقوب عليه السلام فأذن له فأتاه فسلم عليه فقال له بالذي خلقك : هل قبضت روح يوسف ؟ قال : لا ، قال : ألا أُعلمك كلمات لا تسأل الله شيئاً إلا أعطاك ، قال : بلى ، قال قل : « يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبـــداً ولا يحصيه غيره » . قال : فما طلع الفجر حتى أتى بقميص يوسف عليه السلام [٤] .

١٤ — ورويت من تذييل محمد بن النجار في ترجمة أحمد بن محمد بن علي الحربي بإسناده عن أسماء بنت زيد قالت : قال رسول الله ﷺ : اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » [٥]. « وإلهكم إله واحد » [٦].

١٥ — ومن الروايات في اسم الله الأعظم ما رويناه بإسنادنا إلى محمد بن الحسن الصفار بإسناده إلى ابن الجارود عن زيد بن علي عليه السلام قال : ان ام سلمة سألت رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم فأعرض عنها فسكت ثم دخل عليها وهي

---

(١) البحار ٩٣/٢٢٥ .
(٢) البحار ٩٣/٢٢٥ .
(٣) نفس المصدر .
(٤) البحار ٩٣/٢٢٦ .
(٥) البقرة : ٢٥٥ من آية الكرسي . (٦) البقرة : ١٦٣ .

ساجدة تقول : « اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم ، وأسألك باسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت فإن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والاكرام » فقال لها : سألت يا ام سلمة باسم الله الأعظم [1] .

١٦ — ومن الروايات في الاسم الأعظم ما رويناه أيضاً بإسناده إلى محمد بن الحسن الصفار ، وبإسنادنا إلى ابن أبي قرة كتابة من التهجد ، وذكر ان الذي كان يدعو به تحت الميزاب وهو مولانا موسى بن جعفر عليه السلام ، وهذا أيضاً رواية محمد بن الحسن الصفار باسنادهما إلى سكين بن عمار قال : كنت نائماً بمكة فأتى آتٍ في منامي فقال لي: قم فإن تحت الميزاب رجلاً يدعو الله باسمه الاعظم ففزعت ونمت فناداني ثانية بمثل ذلك ففزعت ثم نمت ، فلما كان في الثالثة قال : قم يا فلان بن فلان فإن هذا فلان بن فلان يسميه باسمه واسم أبيه وهو العبد الصالح تحت الميزاب يدعو الله باسمه فقال: قمت واغتسلت ثم دخلت الحجر فإذا رجل قد ألقى ثوبه على رأسه وهو ساجد فجلست خلفه فسمعته يقول : « يا نور يا قدوس ، يا نور يا قدوس ، يا نور يا قدوس ، يا حيّ يا قيّوم ، يا حيّ يا قيّوم، يا حيّ يا قيّوم ، يا حيّ لا يموت ، يا حيّ لا يموت ، يا حيّ لا يموت ، يا حيّ حين لا حيّ ، يا حيّ حين لا حيّ ، يا حيّ حين لا حيّ ، يا حيّ لا إله إلا أنت ، يا حيّ لا إله إلا أنت ، يا حيّ لا إله إلا أنت أسألك بلا إله إلا أنت ، أسألك بلا إله إلا أنت ، أسألك بلا إله إلا أنت ، أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم العزيز المتين ثلاثاً » .

قال سكين : فلم يزل يردّد هذه الكلمات حتى حفظتها ثم رفع رأسه فالتفت كذا كذا فإذا الفجر قد طلع قال : فجاء إلى ظهر الكعبة وهو المستجار فصلى الفريضة ثم خرج .

---

(١) البحار ٩٣/٢٢٧ .

يقول علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن الطاووس مؤلف هذا الكتاب : ان الأخبار كثيرة من طرق أصحابنا وغيرهم مختلفة في اسم الله الأعظم فاقتصرنا على هذه الروايات ، وهذا أنا ذاكر حديثاً في اسم الله الأعظم وجدته غريباً .

١٧ – وهذا لفظه : «وفي رواية عطا ذكر أنه جرّب أنه اسم الله الأعظم» : « بسم الله الرحمن الرحيم يا الله يا الله يا الله يا رحمن يا رحمن يا نور يا نور يا ذا الطول يا ذا الجلال والاكرام [١] . دعاء فيه الاسم الأعظم .

١٨ – عن الربيع بن أنس وهي على التسعة وعشرين حرفاً التي ينطق بها العالم تقول بعد أن تصلي مهما أحببت مائتي مرة : « لا حول ولا قوة إلا بالله » ثم تدعو بهذا الدعاء .

« يا مهيمن يا متعال يا حيّ يا قيّوم يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام أسألك بحق اسمك الأعظم الأكبر الاجل الاعز الاكرم العدل النور وهو اسمك » ثم تدعو وتذكر الاسم الاعظم : « لا إله إلا الله ما أعظم الله لا إله إلا الله محمد رسول الله أهدني » .

تعبير كيفيته : « حفص لا برح صطفص ألم الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم لا إله إلا هو رب العرش العظيم » . ثم تدعو على اثر ذلك بهذه التسعة وعشرين اسماً تقرأه وأنت منتصب فتقول :

« اللهم إني أسألك أنك حيّ قيّوم رحمن ديان عظيم واحد سبحان ربي ورب العزّة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، اللهم أنت مجيد مؤمن مهيمن ملك مالك مليك متكبر صمد صدر مولى ملىء معطٍ مانع معزّ متعزز متعالٍ محسن مجمل منعم متفضل مسبّح ماجد مجيدٌ متحنّنٌ محيي مميت مبدىء معيد مقتدر مبين متين ، أسألك رضوانك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار .

---

(١) البحار ٩٣/٢٢٨ – ٢٢٩ .

اللهم وأنت حيّ حميد حليم حكيم حكم حاكم حق حفظ حافظ وحسب حسيب ، أسألك رضوانك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار ، اللهم وأنت سميع سامع سيد سند فاسمع دعائي ولا تعرض عني وسلمني من الشر كله ، وأسألك رضوانك والجنة وأعوذ من سخطك والنار . اللهم وأنت واسع وهاب والٍ وليّ وفيّ وافٍ وكيل وادٍ ودود وارث اجعلني من ورثة جنة النعيم ، أسألك رضوانك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار .

اللهم وأنت رحمن رحيم رؤوف رب رازق رقيب رافع رفيع فارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب ، أسألك رضوانك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار .

اللهم وأنت هادٍ فاهدني بهدايتك من الظلمات إلى النور ، فإنه لا هادي إلا أنت ، أسألك رضوانك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار .

اللهم وأنت ذاكر ذو العرش ذو الطول ذو الآلاء والمعارج والمن القديم ذو الجلال ذو القوة المتين فقوّني لعبادتك ، أسألك رضوانك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار .

اللهم وأنت نور ناصر نصير فتاح بالخيرات أعني على نفسي وانصرني على عدوك وعدوّي من الجن والإنس وانصرني على القوم الظالمين وعلى الشيطان الرجيم ، اللهم انصرني نصر عزيز مقتدر ، أسألك رضوانك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار .

اللهم أنت عالم عليم علام الغيوب عالٍ عليّ عظيم عزيز عفو عطاف عدل فاعف عني ما سلف من خطاياي وذنوبي ووفقني فيما بقي من عمري لطاعتك ، أسألك رضوانك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار [١] .

---

(١) البحار ٢٢٩/٩٣ – ٢٣٠ .

١٩ — صفوة الصفات : نقلاً من كتاب الدستور عن علي عليه السلام قال : إذا أردت أن تدعو الله تعالى باسمه الأعظم فيستجاب لك فاقرأ من أول سورة الحديد إلى قوله : « وهو عليم بذات الصدور » . وآخر الحشر من قوله : « لو أنزلنا هذا القرآن »[١] . ثم أرفع يديك وقل : « يا من هو هكذا أسألك بحق هذه الأسماء أن تصلي على محمد وآل محمد » وسل حاجتك .

٢٠ — ومنه : نقلاً من كتاب الفوائد الجلية أنه في هذا الدعاء: « اللهم أنت الله لا إله إلا أنت يا ذا المعارج والقوى أسألك ببسم الله الرحمن الرحيم ، وبما أنزلته في ليلة القدر أن تجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، وأسألك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تغفر لي خطيئة وتقبل توبتي يا أرحم الراحمين .

٢١ — ومنه : نقلاً من كتاب فضل الدعاء عن الصادق عليه السلام قال : اقرأ الحمد والتوحيد وآية الكرسي والقدر ثم استقبل القبلة وادع بما أحببت فإنه الاسم الأعظم .

٢٢ — ومنه : نقلاً من كتاب التبصرة أنه في الفاتحة ، وأنها لو قرأت على ميت سبعين مرّة ثم ردّت فيه الروح ما كان ذلك عجباً. «أي ان الاسم الأعظم في الفاتحة » .

٢٣ — ومنه : نقلاً من كتاب التحصيل أنه في هذا الدعاء وهو : « اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

٢٤ — ومنه : نقلاً من كتاب إغاثة الداعي أنه في هذا الدعاء وهو: « يا الله يا الله يا الله وحدك وحدك لا شريك لك أنت المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام وذو الأسماء العظام وذو العز الذي لا يرام وإلهكم إله واحد لا

---

(١) الحشر : ٢١ .

إله إلا هو الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله أجمعين » .

٢٥ – ومنه : نقلاً من كتاب التهجّد : أنه في هذا الدعاء تقول ثلاثاً : « يا نور يا قدوس » . وثلاثاً : « يا حيّ يا قيّوم » . وثلاثاً : « يا حياً لا يموت » . وثلاثاً : « يا حياً حين لا حيّ » . وثلاثاً : « يا حيّ لا إله إلا أنت ». وثلاثاً: « أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم العزيز المبين » [١] .

سردنا بعض ما نوّه بالاسم الأعظم فيما تقدم [٢] . ومن مجموع ما ذكره العلامة المجلسي وما روي في هذا الصدد دلّ على أن الاسم الاعظم اسم مستتر لا يعرف ولا يصاب حقيقته إلا من أراد الله جلّ جلاله تعريفه ، ولعلّ الداعي إذا دعا بما جاء من الاسماء الحسنى لم يصبه بمجرّده ما لم يكن على حالة خاصة ، وقد سبق ما مضمونه من السيد الطباطبائي دام بقاه ، ان الاسم الاعظم ليس من مقولة اللفظ فحسب ، بل لا بدّ من كون الداعي على حالة لو انضم إليها الدعاء بالمأثور فيه أصاب المراد دون ما لم تحصل تلك الحالة [٣] .

ومن سرّ الاختفاء أن الانسان ولع بما يحبه ولعله شيء لا يحبه الله عزّ وجل أو ما فيه هلاكه فلو كان عارفاً بالاسم الاعظم توصل إلى الهلاك من حيث لا يعلم أو وقع فيما لا يحمد عقباه فمن اللطف الخفي خفاؤه .

وقد حكي ان بعض الأولياء مات فقراً وعنده الاسم الاعظم لم يستعمله لرفعه فيعطي الله جلّ جلاله الاسم الاعظم الامين من عباده ويحرمه الباقون تجد الائمة الهداة عليهم السلام عندهم الاسم الأعظم، بل هو هم لا يعبأون بما فات من أمور الدنيا ومن هنا صاروا أمناء الدين والدنيا ، وفي العباد من هم على بعض صفاتهم ليس لذكرهم مجال وقد اطيل البحث في المقام ، وذلك لإشماله على ما لم تخل الفائدة لأهلها .

---

(١) البحار ٩٣/٢٣٠ – ٢٣٢ . (٢) تحت الرقم ٥ و١٨ و١٩ من روايات البسملة .
(٣) تفسير الميزان ٨/٣٥٤ – ٣٥٦ . وانظره في هذا الكتاب من هذا المقصد .

المقصد الثالث

البسملة أعظم آية وهي جزء من السور

تقدّم حديث الإمام الصادق عليه السلام حيث قال : « ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها وهي بسم الله الرحمن الرحيم »[1] . وحديث سليمان الجعفري عن أبي الحسن عليه السلام قال رجل فيه : « وأي آية أعظم في كتاب الله ، فقال عليه السلام : « بسم الله الرحمن الرحيم »[2]. وغيرهما من روايات البسملة[3] . ودلالتها على الأعظمية واضحة .

ثم بعد الاتفاق من جميع الامة على ان البسملة آية وجزء من سورة النمل وهي : « انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم »[4] . وعلى خلوّها من سورة التوبة لكونها آية رحمة والسورة مسوقة للنقمة على المشركين والكافرين ، اتفقت الإمامية منهم على الجزئية من كل سورة عدا ما عرفت وستعرف دليل ذلك ، أما الجمهور من السنّة فقد اختلفوا ، قال الآلوسي : اختلف الناس في البسملة في غير النمل إذ هي فيها بعض آية بالاتفاق على عشرة أقوال : الأول : انها ليست من السور أصلاً . الثاني : أنها آية من جميعها غير براءة . الثالث : انها آية من الفاتحة دون غيرها . الرابع : انها بعض آية منها فقط . الخامس : انها آية فذة انزلت لبيان رؤوس السور تبعاً وللفصل بينها . السادس : انه يجوز جعلها آية منها وغير آية لتكرر نزولها بالوصفين . السابع : انها بعض آية من جميع السور . الثامن : انها آية من الفاتحة وجزء آية من السور . التاسع :

---

(١) أنظر الرقم ٦ .
(٢) أنظر الرقم ١٧ .
(٣) المقصد الأول من هذا الكتاب .
(٤) الآية : ٣٠ .

عكسه . العاشر : انها آيات فـذة وان انزلت مراراً . فابن عباس وابن مبارك وأهل مكة كابن كثير وأهـل الكوفة كعاصم والكسائي وغيرهما سوى حمزة وغالب أصحاب الشافعي والإمامية على الثاني .

أقول : وراح يسرد الأقوال وأدلتها واختار هو الخامس – قائـــلا وهو المشهور من مذهبنا وعلى المرء نصرة مذهبه والذبّ عنه ، وذلك بإقامة الحجج على إثباته وتوهين أدلة نفاته وكنت من قبل أعدّ السادة الشافعية لي غزاة ولا أعدّ نفسي إلا منها ، وقـــد ملكت فؤادي غرّة أقوالهم كما ملكت فؤاد قيس ليلى العامرية فحيث لاحت لا متقدم ولا متأخر لي عنها :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلبـــاً خالياً فتمكنا

إلى أن كان ما كان فصرت مشغولاً بأقوال السادة الحنفية وأقمت منها برياض شقائق النعمان [1] . وردّ عليه أشد الرد صاحب المنار قال : وتصدى له الآلوسي محاولاً دحضها تقرّباً إلى الدولة وصرح بهـذا التعصب إذ قال هنا : « على المرء نصرة مذهبه والذبّ عنه » [2] . وصاحب المنار : هو ممن يرى أن البسملة آية من الفاتحة ، وأمـا غيرها فالأدلة متضاربة [3] . ولا يهمنا نقل الآراء والأدلة سوى رأي الإمامية ودليلهم والرد على المخالفين ولا معدل عما ذهب إليه أصحابنا لما دلت عليه الأدلة الآتية من الاجماع القطعي منا ولا يعبأ بما جنح إليه ابن الجنيد من أنها افتتاح في غير الفاتحة من السور ، ففي كتاب صلاة الجواهر عند قول المحقق الماتن : « ان البسملة جزء منها تجب قراءتها معها » . قال : والمشهور بين أصحابنا ، بل لا خلاف فيه بينهم كما عن المعتبر كونها آية من الفاتحة ، بل عن المنتهى أنه مذهب أهل البيت ، بل النصوص مستفيضة فيه إن لم يكن متواترة

---

(١) روح المعاني ١/٣٧ .

(٢) المنار ١/٩٠ .

(٣) المنار ١/٨٤ – ٨٨ .

كالإشاعات على ذلك، بل وعلى جزئيتها من كل سورة والنصوص دالة عليه أيضاً وإن لم تكن بتلك الكثرة والدلالة في الفاتحة .

نعم شذّ ابن الجنيد فذهب إلى انها افتتاح في غـير الفاتحة لبعض النصوص المحمول على التقية أو على إرادة عدم قراءة السورة مع الفاتحة أو غـــير ذلك انتهى [(١)] .

فهنا أمران الأول : أنها جزء من كل سورة ثبتت البسملة فيهـــا . الثاني : وجوب قراءتها من الفاتحة وغيرها. وقد عرفت التصريح بها والنصوص الواردة فيهما .

وفي المستمسك على العروة الوثقى عند قول المـــاتن طاب ثراه : « مسألة البسملة جزء من كل سورة فيجب قراءتها عدا سورة براءة » . قال السيد الحكيم (ره) إجماعاً كمـــا عن الخلاف ومجمع البيان ونهاية الأحكام والذكرى وجامع المقاصد وظاهر السرائر وغيرها ، وفي المعتبر نسبة إلى علمائنا ويشهد له جملة من النصوص كصحيح ابن مسلم . سألت أبا عبدالله عليه السلام عن السبع المثاني والقرآن العظيم أهي الفاتحة ؟ قـــال عليه السلام : نعم ، قلت : بسم الله الرحمن الرحيم من السبع ، قال عليه السلام : نعم هي أفضلهن [(٢)] . وخبر يحيى بن أبي عمران الهمداني كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك مـــا تقول في رجل ابتدأ ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاته وحده بام الكتاب ، فلما صار إلى غير ام الكتاب من السورة تركها ، فقال العباسي : ليس بذلك بأس فكتب بخطه : يعيدها مرتين على رغم أنفه ، يعني العباسي [(٣)] . نعم في بعض النصوص جواز تركها من السورة

---

(١) صلاة الجواهر ٩/٢٩٦ – ٢٩٧ .

(٢) الوسائل ٤/٥ ٧٤ الباب ١١ من أبواب القراءة الرقم ٢ .

(٣) الوسائل ٤/٦ ٧٤ ، الرقم ٦ .

وفي بعضها جواز تركها إلا في افتتاح القراءة من الركعة الاولى . وفي بعضها جواز تركها من الفاتحة في الاولى .

والجميع لا مجال للعمل به بعد حكاية الاجماعات القطعية على خلافه فليحمل على التقية انتهى لفظه [١] .

أقول : إليك النصوص التي أشار إليها ، النص الأول : صحيح محمد بن علي الحلبي عن أبي عبدالله عليه‌السلام أنهما سألاه عمن يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم حين يريد يقرأ فاتحة الكتاب قال: نعم إن شاء سراً وإن شاء جهراً، فقالا: فيقرأها مع السورة الاخرى فقال : لا [٢] . النص الثاني : صحيح محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : سألته عن الرجل يفتتح القراءة في الصلاة أو يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم قال : نعم إذا استفتح الصلاة فليقلها في أول ما يفتتح ثم يكفيه ما بعد ذلك [٣] . هذا النص مستند ابن الجنيد لما ذهب إليه من التفصيل الذي نقلناه من الجواهر .

النص الثالث : صحيح محمد بن مسلم قال : سألت أبا عبد الله عليه‌السلام عن الرجل يكون إماماً فيستفتح بالحمد ولا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فقال : لا يضره ولا بأس به [٤] . هذه هي النصوص المحمولة على التقية أو غيرها لعدم تكافؤها مع الآمرة بقراءتها والمنددة بتاركها ، وإن هذه المسألة من امهات المسائل القرآنية حتى أفردها جمع بالتأليف .

ولسيدنا الاستاذ الخوئي دام ظله بيان بعد عنوان «هل البسملة من القرآن»؟ قال: اتفقت الشيعة الامامية على أن البسملة آية من كل سورة بدأت بها، وذهب إليه ابن عباس وابن المبارك وأهل مكة كابن كثير وأهل الكوفة كعاصم

---

(١) الوسائل ٦/١٧٤ - ١٧٥ . (٢) الوسائل ٤/٧٤٨ باب ١٢ من أبواب القراءة الرقم ٢ .

(٣) الوسائل ٤/٧٤٨، الرقم ٣ .(٤) الوسائل ٤/٧٤٩ باب ١٢ من أبواب القراءة حديث ٥ .

والكسائي وغيرهما مـا سوى حمزة وذهب إليه غالب أصحاب الشافعي وجزم به قراء مكة والكوفة، وحكى هذا القول عن ابن عمر وابن الزبير وأبي هريرة وعطاء وطاووس وسعيد بن جبير ومكحول والزهري وأحمد بن حنبل في رواية عنه واسحاق بن راهوية وأبو عبيد القاسم بن سلام وعن البيهقي نقل هذا القول عن الثوري ومحمد بن كعب واختاره الرازي في تفسيره واختاره جـلال الدين السيوطي مدعياً تواتر الروايات عليه معنى، وقـال بعض الشافعية وحمزة : إنها من فاتحة الكتاب خاصة دون غيرها . ونسب ذلـك إلى أحمد بن حنبل كما نسب إليه القول الأول . وذهب جماعة منهم مالك وأبو عمرو ويعقوب إلى أنهـا آية فذة وليست جزءاً من فاتحة الكتاب ولا من غيرها، وقـد أنزلت لبيان رؤوس السور تيمناً وللفصل بين السورتين وهو مشهور بين الحنفية غير ان اكثر الحنفية ذهبوا إلى وجوب قراءتها في الصلاة قبل الفاتحة. وذكر الزاهدي عن المجتبى أن وجوب القراءة في كل ركعة هي الرواية الصحيحة عن أبي حنيفة . وأما مالك فقد ذهب إلى كراهة قراءتها في نفسها واستحبابها لأجل الخروج عن الخلاف .

وفي هذه المسألة أقوال أخر شاذة لا فائدة في التعرض لها، ولكن المهم بيان الدليل على المذهب الحق ويقع ذلك في عدة أمور :

١ - **أحاديث أهل البيت**: وهي الروايات الصحيحة المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام الصريحة في ذلك [١] وبها الكفاية عن تجسم أي دليل آخر بعد أن جعلهم النبي ﷺ عدلاً للقرآن في وجوب التمسك بهم والرجوع إليهم .

١ - عن معاوية بن عمار قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إذا قمت للصلاة إقرأ

---

(١) قال دام ظله في هامش البيان ١، وللاطلاع على الروايات المذكورة يراجع فروع الكافي باب قراءة القرآن ص ٨٦ . والاستبصار باب الجهر بالبسملة ج ١ ص ٣١١ ، والتهذيب باب كيفية الصلاة وصفتها ج ١ ص ١٥٣ ، ٢١٨ ووسائل الشيعة باب ان البسملة آية من الفاتحة ج ١ ص ٣٥٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب ، قال : نعم ، قلت : فـإذا قرأت فاتحة القرآن إقرأ بسم الله الرحمن الرحيم مع السورة ، قال : نعم [١] .

٢ – عن يحيى بن أبي عمران الهمداني قال كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام [٢] .

٣ – صحيحة ابن أبي اذينة « فلما فرغ من التكبير والافتتاح أوحى الله إليه سم باسمي فمن أجل ذلك جعل بسم الله الرحمن الرحيم في أول السورة [٣] .

٢ – أحاديث أهل السنة : وليس بإزاء هذه الروايات إلا روايتان دلتا على عدم جزئية البسملة للسورة، إحداهما: رواية قتادة عن أنس بن مالك قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر وعمر وعثمان فـلم أسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم [٤] .

ثانيهما : ما رواه ابن عبدالله بن مغفل يزيد بن عبدالله قـال : اسمعني أبي وأنا أقول بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : أي بني إياك ؟ قـال : ولم أرَ أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان أبغض إليه حدثاً في الاسلام منه، فإني قد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع أبي بكر وعمر ومع عثمان فلم أسمع أحداً منهم يقولها فلا تقلها إذا أنت قرأت فقل الحمد لله رب العالمين [٥] .

والجواب عن الرواية الاولى مضافاً إلى مخالفتها للروايات المأثورة عن أهـل البيت عليهم السلام : انها لا يمكن الاعتماد عليها من وجوه :

---

(١) الكافي ج ٣ ص ٣١٢ ط دار الكتب الاسلامية .

(٢) تقدم نقله عن المستمسك.

(٣) الوسائل ٤/٦٧٩. ولفظه غير لفظ المتن فراجع.

(٤) في الهامش مسند أحمد ج ٣ ص ١٧٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨. وصحيح مسلم باب حجة من لم يجهر بالبسملة ج ٢ ص ١٢ .

(٥) قال دام ظله مسند أحمد ج ٤ ص ٨٥ . ورواه الترمذي باختلاف يسير باب ما جاء في ترك الجهر بالبسملة ج ٢ ص ٤٣ .

الوجه الأول : معارضتها بالروايات المتواترة معنى المنقولة عن طرق أهـل السنة ، ولا سيما ان جملة منها صحاح الأسانيد فكيف يمكن تصديق هذه الرواية مع شهادة ابن عباس وأبي هريرة وام سلمة على ان رسول الله ﷺ كان يقرأ البسملة ويعدهـا آية من الفاتحة ، وان ابن عمر كان يقول لم كتبت إن لم تقرأ . وان علياً عليه السلام كان يقول : « من ترك قراءتها فقد نقص » وكان يقول : « هي تمام السبع المثاني »[1] .

الوجه الثاني : مخالفتها لمـا اشتهر بين المسلمين من قراءتها في الصلاة حتى ان معاوية تركها في صلاته في يوم من أيام خلافته فقـال له المسلمون : « أسرقت أم نسيت »[2] . ومع هذا كيف يمكن التصديق بأن رسول الله ﷺ ومن بعده لم يقرأها .

الوجه الثالث : مخالفتها لمـــا استفاض نقله عن أنس نفسه[3] . فالرواية موضوعة ما في ذلك شك .

والجواب عن الرواية وهي رواية ابن عبدالله بن مغفل يظهر ممـــا تقدم في الجواب عن الرواية الاولى على أنها تضمنت مـا يخالف ضرورة الاسلام فإنه لا يشك أحد من المسلمين في استحباب التسمية قبل الحمد والسورة،ولو بقصد التيمن والتبرك لا لأن البسملة جزء فكيف ينهي ابن مغفل عنها بدعوى أنها حـــدث في الإسلام .

٣ ـ سيرة المسلمين : لقـــد استقرت سيرة المسلمين على قراءة البسملة في أوائل

---

(١) قال دام ظله في الهامش انظر التعليقة رقم (١٤) .

(٢) أنظر التعليقة رقم (١٥) .

(٣) تقدم منا رواية الحديث تحت الرقم ٦ من روايات البسملة . أخذ دام ظله بعد ذكر الروايتين يعقب الاثبـــات لجزئية البسملة مضافاً إلى الروايات المثبتة بسيرة المسلمين كما في المتن وبرسم خط القرآن الكريم بثالث الامور ورابعها فلا تغفل .

السور غـــير سورة براءة وثبتت بالتواتر ان رسول الله ﷺ كان يقرأها ولو لم تكن من القرآن للزم على الرسول الأكرم ﷺ أن يصرّح بذلـك فإن قراءته وهو في مقام البيان ظاهرة في ان جميع ما يقرأ قرآن ولو لم يكن بعض ما يقرأ قرآناً ثم لم يصرّح بذلك لكان ذلك إغراء بالجهل وهو قبيح، وفي مـــا يرجع إلى الوحي الالهي أشد قبحاً ، ولو صرّح الرسول ﷺ بذلك لنقل إلينا بالتواتر مع أنه لم ينقل حتى بالآحاد .

٤ — مصاحف التابعين والصحابة مما لا ريب فيه ان مصاحف التابعين والصحابة قبل جمع عثمان وبعده كانت مشتملة على البسملة ، ولو لم تكن من القرآن لما أثبتوها في مصاحفهم ، فإن الصحابة منعت أن يدرج في المصحف ما ليس من القرآن حتى أن بعض المتقدمين منعوا عن تنقيط المصحف وتشكيله . فإثبات البسملة في مصاحفهم شهادة منهم بأنها من القرآن كسائر الآيات المتكررة فيه .

وما ذكرناه يبطل احتمال ان إثباتهم إياها كان للفصل بـين السور ، ويبطل هذه الدعوى أيضاً إثبات البسملة في سورة الفاتحة ، وعدم إثباتها في أول سورة براءة ولو كانت للفصل بين السور لاثبتت في الثانية ولم تثبت في الاولى ، وذلك يدلنا قطعاً على ان البسـملة آية منزلة في الفاتحة دون سورة براءة .

أدلة نفاة جزئية البسملة :

واستدل القائلون بأن البسملة ليست جزءاً من السورة بوجوه :

الوجه الاول : ان طريق ثبوت القرآن ينحصر بالتواتر فكل ما وقع النزاع في ثبوته فهو ليس من القرآن ، والبسملة مما وقع النزاع فيه .

والجواب أولاً : أن كون البسملة من القرآن مما تواتر عن أهل البيت عليهم السلام ولا فرق في التواتر بين أن يكون عن النبي ﷺ وبـين أن يكون عن

أهل بيته الطاهرين بعد أن ثبت وجوب إتباعهم .

وثانيا : ان ذهاب شرذمة إلى عـدم كون البسملة من القرآن لشبهة لا يضر بالتواتر مع شهادة جمـع كثير من الصحابة بكونها من القرآن ودلالة الروايات المتواترة عليه معنى .

وثالثا : انه قد تواتر ان النبي ﷺ قرأ البسملة حينما يقرأ سورة من القرآن وهو في مقام البيان ولم يبين انها ليست منه ، وهـــذا يدلّ دلالة قطعية على ان البسملة من القرآن نعم لا يثبت بهـذه انها جزء من السورة ويكفي لاثباته ما تقدم من الروايات فضلاً عمـا سواها من الأخبار الكثيرة المروية من الطريقين والجزئية ثبتت بخبر الواحد الصحيح ولا دليل على لزوم التواتر فيها أيضاً .

الوجه الثاني : ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : « الحمد لله رب العالمين » قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : « الرحمن الرحيم » قال : أثنى عليّ عبدي ، وإذا قال : « مالك يوم الدين » قال الله تعالى : مجدني عبدي ، وإذا قـــال العبد : « إياك نعبد وإياك نستعين » قال الله تعالى : هـذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل فإذا قال : « إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غـــير المغضوب عليهم ولا الضالين » . قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل [1] .

وتقريب الاستدلال في هذه الرواية أنها تدل بظاهرها على أن ما بعد آية : « إياك نعبد وإياك نستعين » يساوي ما قبلها في العدد ، ولو كانت البسملة جزء

---

(١) قال دام ظله في الهامش صحيح مسلم باب قراءة الفاتحة في كل ركعة ج ٢ ص ٦ وسنن أبي داود باب من ترك القراءة في صلاته ج١ ص ١٣٠ ، وسنن النسائي باب ترك قراءة البسملة ج ١ ص ١٤٤ .

من الفاتحة لم يستقم معنى الرواية ، وذلك لأن سورة الفاتحة كما عرفت سبع آيات ، فإن كانت البسملة جزءاً كان ما بعد آية : « إياك نعبد وإياك نستعين » آيتين ومعنى ذلك ان ما قبل هذه الآية ضعف ما بعدها ، فالفاتحة لا تنقسم إلى نصفين في العدد .

والجواب عنه أولاً : ان الرواية مروية عن العلاء ، وقد اختلف فيه بالتوثيق والتضعيف .

وثانيا : انه لو تمت دلالتها فهي معارضة بالروايات الصحيحة المتقدمة الدالة على أن الفاتحة سبع آيات مع البسملة لا بدونها .

وثالثا : أنه لا دلالة في الرواية على ان التقسيم بحسب الألفاظ ، بل الظاهر أنه بحسب المعنى ، فالمراد ان أجزاء الصلاة بين ما يرجع إلى الرب وما يرجع إلى العبد بحسب المدلول .

ورابعا : أنه لو سلمنا ان التقسيم إنما هو بحسب الألفاظ ، فأي دليل على أنه بحسب عدد الآيات فلعله باعتبار الكلمات ، فإن الكلمات المتقدمة على آية : « إياك نعبد وإياك نستعين » والمتأخرة عنها مع احتساب البسملة وحذف المكررات عشر كلمات .

الوجه الثالث : ما رواه أبو هريرة ان سورة الكوثر ثلاث آيات [١] . وان سورة الملك ثلاثون آية [٢] فلو كانت البسملة جزء منها لزاد عددهما على ذلك .

والجواب : ان رواية أبي هريرة في سورة الكوثر على فرض صحة سندها

---

(١) كتب في الهامش : لم أعثر على هذه الرواية في كتب الروايات .

(٢) مستدرك الحاكم ج ١ ص ٥٦٥ وصحيح الترمذي باب ما جاء في فضل سورة الملك ج ١١ ص ٣٠ . وكنز العمال فضائل السور ج ١ ص ٥١٦ ، ٥٢٥ .

معارضة برواية انس وقد تقدمت وهي رواية مقبولة روتها جميع الصحاح غير موطأ مالك [1] . فرواية أبي هريرة مطروحة أو مؤولة بإرادة الآيات المختصة فإن البسملة مشتركة بين جميع السور ، وهذا هو جواب روايته في سورة الملك ولتحقيق البحوث الجارية بتفصيل مقام آخر .

---

(١) البيان في تفسير القرآن ٤٦٧ – ٤٧٨ .

المقصد الرابع

الباء في البسملة



المستفاد من بعض الأحاديث أن الباء في البسملة للاستعانة كما في تفسير الامام العسكري عليه السلام في حديث طويل إلى أن قال قال الله جلّ جلاله :

«فقولوا : عند افتتاح كل أمر صغير أو عظيم « بسم الله الرحمن الرحيم » أي أستعين على هذا الأمر الذي لا تحقّ العبادة لغيره »[1] .

ولا ينافي ذلك كون الباء فيها للالصاق وتضمين الاستعانة والمصاحبة والابتداء ، ويكون المعنى بسم الله ألصق نفسي مستعيناً بـه مصاحباً مبتدىءً به كل هذه المعاني موجودة في نفس المؤمن عند التسمية كما لا مانع من تقدير مـا يناسب مـا يشرع فيه من أفعال كل بحسبه مثلاً إذا أراد تلاوة البسملة نفسها لا شيء سواها تقديره « بسم الله » أتلو واقرأ لأنه الذي يتلوه ويقرأوه .

وكما قال البعض: إن المسافر إذا حلّ أو ارتحل فقال: «بسم الله والبركات» كان المعنى بسم الله أحلُّ وبسم الله أرتحل ، وكذلك الذابح وكل فاعـل يبدأ في فعله «بسم الله» كان مضمراً ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل : « في تسع آيات إلى فرعون وقومـه »[2] . أي أذهب في تسع آيات ، وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس : « بالرفاه والبنين » . وقول الأعرابي : « باليمن والبركة » . بمعنى أعرست أو نكحت . ومنه قوله :

فقلت إلى الطعام فقال منهم   فريق نحسد الانس الطعاما[3]

---

(١) القرآن وفضائله : ٢١٢ . (٢) النمل : ١٢. (٣) تفسير الكشاف ١/٢.

هذا مقتضى الجمع بين الحديث والأصل في الباء وحديث الابتداء وقيل: الباء إما للاستعانة أو المصاحبة أو الالصاق أو الاستعلاء أو زائـــدة أو قسمية. والأربعة الأخيرة ليست بشيء وإن استؤنس لبعض ببعض الآيات. واختلف في الأرجح من الأولين فالذي يشعر بـــه كلام البيضاوي أرجحية الأول وأيد بأن جعله للاستعانة يشعر بأن له زيادة مدخل في الفعل حتى كأنه لا يتأتى ولا يوجد بدون اسم الله تعالى ولا يخلو عن لطف. ومن كلام الزمخشري أرجحية الثاني: وأيد بأن باء المصاحبة أكثر في الاستعمال من باء الاستعانة لا سيما في المعاني ومـا يجري مجراها من الأفعال، وبـأن التبرك باسم الله تعالى تأدب معه، وتعظيم له بخلاف جعله للآلة فإنها مبتذلة غير مقصودة بذاتها، وان ابتداء المشركين بأسماء آلهتهم كان على وجه التبرك فينبغي أن يرد عليهم في ذلك.

وان الباء إذا حملت على المصاحبة كانت أدلّ على ملابسة جميع أجزاء الفعل لاسم الله تعالى منها إذا جعلت داخلة على الآلة ويناسبه مـــا روى في الحديث تسمية الله تعالى في قلب كل مسلم يسمي أو لم يسم، وان التبرك باسم الله تعـالى معنى ظاهر يفهمه كل أحد ممن يبتدىء بـــه والتأويل المذكور في كونه آلة لا يهتدي إليه إلا بنظر دقيق، وان كون اسم الله تعالى آلة للفعل ليس إلا باعتبار أنه يوصل إليه ببركته فقد رجع بالآخرة إلى معنى التبرك.

وعندي ان الاستعانة أولى، بـل يكاد أن تكون متعينة إذ فيها من الأدب والاستكانة وإظهار العبودية ما ليس في دعوى المصاحبة، ولأن فيها تلميحاً من أول وهلة إلى اسقاط الحول والقوة، ونفي استقلال قدرة العباد وتأثيرها، وهو استفتاح لباب الرحمة وظفر بكنز «لا حول ولا قوة إلا بالله»، ولأن هذا المعنى أمسّ بقوله تعالى: «وإياك نستعين»، ولأنـه كالمتعين في قوله: «إقرأ باسم ربك»[1]. ليكون جواباً لقوله ﷺ: لست بقارىء على أتمّ وجه وأكمله.

---

(١) العلق: ١

وما ذكروه في تأييد المصاحبة كله مردود . أما الأول : فلأن دون إثبات الاكثرية خرط القتاد [1] . وأما الثاني : فلأنــه توهم نشأ من تمثيلهم في الآلة بالمحسوسات وليست كل استعانة بآلة ممتهنة ، ولا شك في صحة استعنت بالله ، وقد ورد في الشرع قال تعالى : « استعينوا بالله واصبروا » [2]. فهو إذن على أن جهة الابتدال ممـا لا تمر ببال والقلب قد أحاط بجهاته جهة أخرى . وأيضاً في تخصيص الاستعانة بالآلة نظر لأنها قد تكون بها وبالقدرة ، وقد سلم فأي مانع من الاشارة بها هنا إلىأنه كما هو المقصود بالذات فهو المقصود بالعرض إذ لا حول ولا قوة إلا به . وأما الثالث : فلأن المشركين إلى الاستعانة بآلهتهم أقرب إذ هم وسائطهم في التقرب إليه تعالى وهي أشبه بالآلة . وأما الرابع : فلأن الآلة لا بدّ منوجودها فيكل جزء إلىآخر الفعل وإلا لم يتم ولا نسلم اللزوم بينمصاحبة شيء لشيء وملابسته لجميع أجزائه. وما ذكره في الحديث فهو بالاستعانة أنسب لأنها مشعرة بتبريء العبد من حوله وقوته وإثبات الحول والقوة لله تعالى. وهذا من باب العقائد التي عقد عليها قلب كل مسلم يسمي أو لم يسم . وأما الخامس : فلأنـه إن أراد أن معنى المصاحبة التبرك فظاهره البطلان . « وقد رجع بخفي حنين » [3] . وإن أراد أنه يفهم منها بالقرينة فندعيه نحن بهـا إذا قصد الآلية لتوقف الاعتداد الشرعي عليها . وأما كون التبرك معنى ظاهراً لكل أحد فلا نسلم انه من خصوص المصاحبة. وأما السادس : فلأن الانحصار فيه ممنوع. وأما السابع فلأن ما يفتتح به الشيء لا مانع من كونه جزءاً ، فالفاتحة مفتتح القرآن وجزؤه ولو سلم فجعلها مفتتحاً بالنسبة إلى ما عداها قاله الشهاب. وأما الثامن:

---

(١) « دون ذلك خرط القتاد » الخرط قشرك الورق عن الشجرة اجتذاباً بكفك . والقتاد شجر له شوك أمثال الأبر . يضرب الأمر دونه مانع . مجمع الأمثال ٢٦٥/١ حرف الدال .

(٢) الاعراف : ١٢٨ .

(٣) مثل سائر يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة مجمع الأمثال ٢٩٦/٢ حرف الراء وله قصة معروفة مذكورة هناك .

فـلأن معنى الحديث أفعل كذا مستعيناً باسم الله الذي لا يضرني مع ذكر اسمه مستعيناً به شيء، إذ من أستعان بجنابه أعانه، ومن لاذ ببابه حفظه وصانه [١].

يريد بهـــذه التفاصيل والردود إثبات كون الباء في « بسم الله » للاستعانة دون غيرها من المعاني ، ولقد قلنا أنـــه لا مانع من جعل الباء لاحدى المعاني المذكورة لئلا يلزم استعمال اللفظ الواحد في أكثر من معنى مع تضمين البقية كما تقدم مثال الكل ، وكل هـــذه التفاصيل بلا طائل كما ان لهم أبحاثاً أخرى في المقام منها ان المقدر المتعلق به الجار هل هو فعل أو اسم،قيل ان الجار والظرف على الأغلب يكون مفعولاً منصوباً محلا وعليه يكون « بسم الله » مفعولاً لفعل مقدر وقيل انه خبر لمبتدأ محذوف تقديره ابتدائي بسم الله ، وقـــد أصرّ على ذلك الطبرسي (ره) [٢] .

وأيد بأن نسق تلاوة القرآن يدل على أن المضمر هو الفعل منه قوله تعالى : «إياك نعبد وإياك نستعين» أي قولوا : «إياك نعبد» . فكذلك قوله : «بسم الله الرحمن الرحيم » التقدير قولوا : « بسم الله » .

وقد سبق حديث الامام العسكري عليه السلام ما يثبت ذلك حيث قال: فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير أو عظيم « بسم الله » .

وقيل إضمار الاسم أولى لأنا إذا قلنا تقـدير الكلام بسم الله ابتداء كل شيء كان هذا إخباراً عن كونه مبدأ في ذاته لجميع الحوادث وخالقاً لجميع الكائنات سواء قاله قائل أو لم يقله ، وسواء ذكره ذاكر أو لم يذكره ، ولا شك أن هذا الاحتمال أولى [٣] .

وفلسفه آخر قال: هذا الجار خبر مبتدأ مضمر هو ابتداء العالم وظهوره لأن

---

(١) تفسير روح المعاني ١/٤٤ - ٤٥ .

(٢) مجمع البيان ١/٢٠ .

(٣) تفسير الرازي ١/١٠٢ .

سبب وجوده الأسماء الإلهية وهي المسلطة عليه كجعله متعلقاً بما بعده إذ لا يحمد الله تعالى إلا بأسمائه من باب الإشارة فلا ينظر إلى الظاهر ولا يتقيد بالقواعد[1].
ومنها البحث في التقديم والتأخير فذهب إلى كل فريق فقيل : كلاهما وارد في القرآن . أما التقديم فكقوله : « بسم الله مجراها ومرساها » [2] . وأما التأخير فكقوله : « إقرأ باسم ربك » [3] .

وقيل بتقديم « بسم الله » وتأخير المتعلق لوجوه : الأول : أنه تعالى قديم واجب الوجود لذاته ، فيكون وجوده سابقاً على وجود غيره والسابق بالذات يستحق السبق في الذكر . الثاني : قال تعالى : « هو الأول والآخر » [4] . وقال: « لله الأمر من قبل ومن بعد » [5]. الثالث : ان التقديم في الذكر أدخل في التعظيم . الرابع : أنه قال : « إياك نعبد » فها هنا الفعل متأخر عن الاسم فوجب أن يكون في قوله: «بسم الله» كذلك فيكون التقدير باسم الله ابتدىء. الخامس : عن المحققين قالوا ما رأينا شيئاً إلا ورأينا الله بعده ، فقال الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير : ذاك مقام المريدين ، أما المحققون فإنهم ما رأوا شيئاً إلا وكانوا قد رأوا الله قبله ، قال الرازي بعد ذلك : وتحقيق الكلام ان الانتقال من المخلوق إلى الخالق إشارة إلى برهان الإنّ ، والنزول من الخالق إلى المخلوق برهان اللم . ومعلوم أن برهان اللم أشرف ، وإذا ثبت هذا فمن أضمر الفعل أولاً فكأنه انتقل من رؤية فعله إلى وجوب الاستعانة باسم الله. ومن قال: «بسم الله» ثم أضمر الفعل ثانياً فكأنه رأى وجوب الاستعانة بالله ثم نزل منه إلى أحوال نفسه [6] .

وقيل بتقديم المتعلق ذهب إليه ذاهب ونسبة إلى الأكثرين قال : ان تقديره

---

(١) روح المعاني ١/٤٧ .
(٢) هود : ٤١ .
(٣) العلق : ١ .
(٤) الحديد : ٣ .
(٥) الروم : ٤ .
(٦) تفسير الفخر ١/١٠١ – ١٠٢ .

مؤخراً إمـا أن يقدر بعد الباء أو بعد اسم أو بعد اسم الله أو بعد البعد ، أما بعد الباء فـلا يقوله من عرف الباء ، وبعد الاسم يستلزم الفصل وبعد اسم الله لزوم الفصل بين الصفة والموصوف وبين الصفتين يشع الخرق وبعد التام به نقص دقيق لأن الوصف مشعر بالعلية ، فكان الرحمن الرحيم علة للزوم الابتداء ببسم الله فمثلاً اقرأ مستعيناً أو متبركاً بسم الله الرحمن الرحيم لأنـه الرحمن الرحيم [1] .

أقول : هذا الوجه كما ترى لا يعود إلى محصل لأن العلة لا تدور مدار اللفظ المقدر مقدماً أو مؤخراً لأن الله تعالى برحمته الواسعة خلق الممكنات وأفاض عليهم من فيض كرمه وكرمه دائم وفيضه لا ينقطع قدر شيء مقدماً أو مؤخراً ومن سعة الرحمة الأذان العـام وتوصيف نفسه المقدسة بالرحمة التي هي أصل كل خـير بقوله : « بسم الله الرحمن الرحيم » وجعلها عنوان كتابه العزيز وأمر بالابتداء ليتذكروا رحمته التي وسعت كل شيء يلهمهم ويعلمهم الطلب بشتى العناوين ليفيض عليهم من الجود والحنان والخير كله كما قال القائل :

لو لم ترد نيل مـا نرجو ونطلبه   من فيض جودك ما علمتنا الطلبا [2]

قال بعضهم من باب الاشارة : كسرت الباء في البسملة تعليماً للتوصل إلى الله تعالى والتعلق بأسمائه بكسر الجناب والخضوع وذل العبودية فلا يتوصل إلى نوع من أنواع المعرفة إلا بنوع من أنواع الذل والكسر كما أشار إليه ابن الفارض:

ولو كنت لي من نقطة الباء خفضة   رفعت إلى مـا لم تنله بحيلة

بحيث ترى أن لا ترى ما عددته   وان الذي أعددته غير عـدة

فإن الخفض يقابل الرفع فمن خفضه النظر إلى ذل العبودية ، رفعه القدر إلى مشاهدة عز الربوبية . ولا ينال هذا الرفع بحيلة ، بل هو بمحض الموهبة الإلهية

---

(١) روح المعاني ١/٤٧ .   (٢) تفسير روح المعاني ١/٨٨ .

الجليلة ومن تنزل ليرتفع فتنزله معلول وسعيه غير مقبول [١] .

وقال آخر : فإن قلت ما الحكمة والسر في ان الله تعالى جعل افتتاح كتابه بحرف الباء واختارها على سائر الحروف لا سيا على الألف فإنه أسقط الألف من الاسم وأثبت مكانه الباء في « بسم » فالجواب ان الحكمة في افتتاح الله بالباء عشرة . « وتاسعها » ان الباء حرف كامل في صفات نفسه بأنـــه للالصاق ، والاستعانة والاضافة مكمل لغيره بأن يخفض الاسم التابع له ويجعله مكسوراً متصفاً بصفات نفسه وله علو وقدرة في تكميل الغير بالتوحيد والارشاد كما أشار إليه سيدنا علي عليه السلام بقوله: «أنا النقطة تحت الباء» فالباء لهمرتبة الارشاد والدلالة على التوحيد . « وعاشرها » : ان الباء حرف شفوي تنفتح الشفة به ما لا تنفتح بغيره من الحروف الشفوية ، ولذلك كان أول انفتاح فم الذرة الانسانية في عهد « ألست بربكم » [٢] . بالباء في جواب « بلى » [٣] . فلمـا كان الباء أول حرف نطق به الانسان وفتح به فمه وكان مخصوصاً بهذه المعاني اقتضت الحكمة الإلهية اختياره من سائر الحروف [٤] .

لم نسرد لفظ البعض بأسره لأنـه من الامور التي لا يساعدها إلا المناسبات الذوقية ، وكذلك الآنف الذكر حيث قـال بهذا الصدد : بعد تقسيم الصفات إلى الجمالية والجلالية ، وان للأولى السبق كما يشير إليه حديث : « سبقت رحمتي غضبي » ان الباء إشارة إليها لأنها الواسطة في الإضافة والإفاضة ، وان الابتداء بها هنا تعجيل للبشارة ورمز إلى أن المدار هو الرحمة كما قـال ﷺ : « لن يدخل أحدكم الجنة عمله » قيل : حتى أنت يا رسول الله ؟ قال ﷺ : « حتى أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته » . وقـد تدرج سبحانه وتعالى بإظهارها فرمز بالباء

---

(١) روح المعاني ٤٨/١ . (٢) الاعراف : ١٧٢ .

(٣) الاعراف : ١٧٢ (٤) روح البيان ٧/١ .

وأشار بالله وصرح أتم تصريح بالرحمن الرحيم . واما إشارة إلى الحقيقة المحمدية والتعين الأول المشار إليه بقوله ﷺ : « أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ». وبواسطته حصلت الإفاضة كما يشير إليه : «لولاك ما خلقت الأفلاك». ولكون الغالب عليه الصلاة والسلام صفة الرحمة لا سيما على مؤمني الامة كما يشير إليه قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » [١]. وقوله تعالى : « بالمؤمنين رؤوف رحيم » [٢] . ناسب ظهور الكسر فيما يشير إلى مرتبته . وفي الابتداء بـه هنا رمز إلى صفة من أنزل عليه الكتاب والداعي إلى الله . وفي ذلك مع بيان صفة المدعو إليه بأنه الرحمن الرحيم تشويق تام وترغيب عظيم ، وقـد تدرج أيضاً جلّ شأنه في وصفه ﷺ بذلك في القرآن إلى أن قال سبحانه : « وإنك لعلى خلق عظيم » [٣] . واكتفى بالرمز ها هنا لعدم ظهور الآثار بعـــد . « وأول الغيث قطر ثم ينهمل ». وما من سورة إلا افتتحها الرب بالرمز إلى حاله ﷺ تعظيماً له ، وبشارة «لمن ألقى السمع وهو شهيد» [٤]. ولما كان الجلال في سورة براءة ظاهراً ترك الاشارة بالبسملة وأتى بباء مفتوحة لتغير الحـــال ، وارخاء الستر على عرائس الجمـــال ، ولم يترك سبحانه وتعالى الرمز بالكلية إلى الحقيقة المحمدية ، ولا يسعنا الافصاح بأكثر من هذا في هذا الباء خوفاً من قـال أرباب الحجاب [٥] . وخلفه سر جليل والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل [٦] .

ومن ذلك : ان كل العلوم مندرج في الكتب الأربعة وعلومها في القرآن وعلوم القرآن في الفاتحة وعلوم الفاتحة في « بسم الله الرحمن الرحيم » وعلومها في الباء من «بسم الله» قلت : لأن المقصود من كل العلوم وصول العبد إلى الرب

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .
(٢) التوبة : ١٢٨ .
(٣) القلم : ٤ .
(٤) ق : ٣٧ . بتغير فيه .
(٥) قال مصدر قال .
(٦) تفسير روح المعاني ٤٨/١ – ٤٩ .

وهذه الباء باء الالصاق فهو يلصق العبد بالرب فهو كمال المقصود [1] . وحديث ان العلوم كلها في نقطة الباء وانها أمير المؤمنين عليه السلام معروف عند بعض الشيعة والسنة . وهذا النوع من التأويل لا بـــدّ له من دليل عقلي أو نقلي صحيح كما تأتي الاشارة إليه [2] .

---

(١) تفسير الفخر ١/٩٩ ، ومصابيح الأنوار ٢/٢٩٤ و١/٤٣٥ .

(٢) في المقصد الثامن من الكتاب .



المقصد الخامس

الاسم في البسملة



التكلم على الاسم يتم في أمرين : في حقيقته واشتقاقه، أما حقيقته فقد روى الشيخ الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى محمد بن سنان قال : قال سألت الرضا عليه السلام عن الاسم ما هو، قال : « صفة لموصوف »[1].

الصفة معرفة الشيء بوجه لعله عليه السلام يريد بقوله : « صفة لموصوف » ما يشمل لمعرفة الذات بوجه ما سواء كان بحد تام أو ناقص أو رسم كذلك، وكان من مقولة القول أو الفعل أو الصفة، ومن ثم يقال : اسم فعل، واسم صفة، واسم ذات أياً ما كان فقد صدق القول بأنه صفة لموصوف، والاسم هو ما دلّ على مسمى له كلفظ خشب وزيد الدال على ذات مسماة بهما أو معنى كالعلم والفرح فلفظ الاسم، اسم لهذا النوع من اللفظ، ومن هنا يعلم ان الاسم شيء يدلك على أمر ما فهو غير المسمى لا محالة .

وقد تصدى جمع لتعريفه ونفي عينية الاسم والمسمى، قال رشيد رضا : وقد أخطأ من نسب إلى سيبويه غير هذا كما قال ابن القيم، بل قال في كتابه « بدائع الفوائد » : ما قال نحوي قط ولا عربي، ان الاسم عين المسمى، وان معنى: « سبّح اسم ربك الأعلى »[2] . سبّح ربك ذاكراً اسمه الأعلى . ومعنى: « فسبّح اسم ربك العظيم »[3] . سبحه ناطقاً باسمه العظيم ومنشأ الاشتباه عند بعضهم ان الله تعالى أمرنا بذكره وتسبيحه في آيات ويذكر اسمه وتسبيح اسمه في

---

(١) نور الثقلين ١/٨ .
(٢) الأعلى : ١
(٣) الواقعة : ٧٤، و٩٦ . الحاقة : ٥٢ .

آيات أخرى ، فقال تعالى : « ٧٣ : ٨ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا * ٧٦ : ٢٣ ، واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا * ٢٢ : ٤٠ ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً * ٦ : ١١٨ ، فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ١١٩ ، وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه * ٢٢ : ٣٦ ، فاذكروا اسم الله عليها صواف » أي البدن عند نحرها ، وقال تعالى :

«٢٣ : ٤٠ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ، ٤١ وسبحوه بكرة وأصيلا *٢:١٢٧ فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم ـ فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً * ٣ : ١٩٠ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً ، وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض * ٤ : ١٠٢ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم » . وقال تعالى في التسبيح :

« ٧ : ٢٠٥ ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحون وله يسجدون » أي يسبحون ربك فعدى التسبيح بنفسه إلى ضمير الرب كما عداه بنفسه إلى اسم الرب في قوله تعالى : « ٨٧ : ١ سبح اسم ربك الأعلى » وبالباء في قوله : « ٥٦ : ٦٦ فسبح باسم ربك العظيم » وقال : « ٥٧ : ١ سبح لله ما في السماوات والأرض » ومثله كثير . وقال تعالى : « فتبارك الله * ٢٥ : ١ تبارك الذي نزل الفرقان » كما قال : « ٥٥ : ٧٨ تبارك اسم ربك » .

رأى بعضهم أن يجمع بين هذه الآيات بجعل الاسم عين المسمى ، وان ذكر الله وذكر اسمه وتسبيحه وتسبيح اسمه عين ذاته ، وان هذا خير من القول بأن لفظ « اسم » مقحم زائد .

والصواب : ان الذكر في اللغة ضد النسيان وهو ذكر القلب ، ولذلك قرنه بالتفكر في سورة آل عمران « ٣ : ١٩٠ » وهما عبادتان قلبيتان وقال : « ١٨ : ٢٤ واذكر ربك إذا نسيت » ويطلق الذكر على النطق باللسان لأنه دليل على ذكر القلب وعنوان وسبب له ، وإنما يذكر اللسان اسم الله تعالى كما يذكر من كل الأشياء أسماؤها دون ذوات مسمياتها ، فإذا قال: « نار » لا يقع جسم النار

على لسانه فيحرقه ، وإذا قال : الظمآن (ماء) لا يحصل مسمى هـذا اللفظ في فيه فينقع غلته ، فذكر الله تعالى في القلب هو تذكر عظمته وجلاله وجماله ونعمه وورود التصريح بالأمر بذكر نعمة الله وآلاء الله ، وذكر باللسان هو ذكر أسمائه الحسنى وإسناد الحمد والشكر والثناء إليها. فالقلب يسبحه باعتقاد كماله وتذكر تنزيهه عما لا يليق به ، واللسان يسبحه بإضافة التسبيح إلى أسمائه من غير ذكر للفظ الاسم . روى أحمد وأبو داود وابن ماجة والحاكم في مستدركه وابن حبان في صحيحه عن عقبة بن عامر قال لما نزلت : « فسبح باسم ربك العظيم » قال لنا رسول الله ﷺ : « اجعلوها في ركوعكم » ، فلما نزلت : « سبح اسم ربك الأعلى » قال : « اجعلوها في سجودكم » [١] .

والمراد أن يقولوا : « سبحان ربي العظيم » لا سبحان اسم ربي العظيم . عن حذيفة قال : صليت مع النبي ﷺ فكان يقول في ركوعه : « سبحان ربي العظيم » وفي سجوده : « سبحان ربي الأعلى » . فعلم من هذا التحقيق ان الاسم غير المسمى ، وان ذكر الاسم مشروع وذكر المسمى مشروع والفرق بينهما ظاهر كالصبح ، وكذلك التسبيح والتبارك فكما يعظم الله يعظم اسمه الكريم فيذكر مقروناً بالحمد والشكر والثناء والتقديس .

وقد صرحوا : بأن تعمّد إهانة أسماء الله تعالى في اللفظ والكتابة كفر لأنه لا يمكن أن يأتي من مؤمن . وقال : عندما تقول إني أذكر اسم الله تعالى كالعزيز والحكيم لا تعني أنـك تذكر لفظ « اسم » فلو كان قولهم ان المراد من الابتداء بالكلمة : « بسم الله » التبرك باسم الله هو الصواب لكان ينبغي أن يكون قولك « بالله الرحمن الرحيم » مثل « بسم الله الرحمن الرحيم » . وقد قال بعضهم : ان الإضافة ههنا للبيان أي افتتح كلامي باسم الله ، ولكن يقتضي أن يكون لفظ:

---

(١) الوسائل ٤/٩٤٤ .

« الرحمن الرحيم » وارداً على اللفظ وهو غير صحيح ، وإرادة ان الأسماء الثلاثة هي المبينة للفظ الاسم تمحل ظاهر [1] .

إنما ذكرنا كلامه بطوله لدفع القول بأن الاسم والمسمى واحد وذووه شرذمة لا يستأهلون رداً ، ومع ذلك وردت نصوص عن أهـل البيت عليهم السلام في إبطال مذهبهم منها صحيح هشام بن الحكم إنـه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله عز وجل واشتقاقها فقال : « الله » مشتق من إله وإله يقتضي مألوهاً والاسم غير المسمى فمن عبد الاسم دون المعنى فقـد كفر ولم يعبد شيئاً ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد الاثنين ، ومن عبد المعنى دون الاسم فذلـك التوحيد أفهمت يا هشام ، قال : قلت زدني ، قال : لله عز وجل تسعة وتسعون اسماً ، فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها هو إلهاً ، ولكن الله عز وجل معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره .

يا هشام الخبز اسم للمأكول ، والماء اسم للمشروب ، والثوب اسم للملبوس ، والنار اسم للمحرق . أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتنافر أعداءنا والملحدين في الله والمشركين مع الله عز وجل غيره . قلت : نعم [2] . وفي صحيح آخر قـال عليه السلام : « اسم الله غير الله وكل شيء وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله والله يسمى بأسمائه وهو غير أسمائه والأسماء غيره [3] .

حكم الامام عليه السلام بإلحاد القائلين بعينية الاسم والمسمى وشركهم والحديث يناسب بحث الأسماء الحسنى واشتقاق لفظ الجلالة وغيره . ولكن لما كان فيه ما يمس صلب الموضوع ذكرناه . وقال الراغب الاصبهاني : الاسم ما يعرف به ذات الشيء [4] . وفي حديث طويل عن أبي الحسن عليه السلام : « فأمـا في الأسماء فهي

---

(١) تفسير المنار ١/٤١ - ٤٣ .
(٢) التوحيد : ٢٢١ .
(٣) المصدر : ١٩٢ .
(٤) المفردات : ٢٤٤ في مادة الاسم .

واحدة وهي دلالة على المسمى »[1] .

ومن كلامه عليه السلام يعلم تعريف الاسم وهو الدلالة على المسمى . ثم إنا صدرنا التعريف له بأي شيء دلّ على المسمى وجعلنا اللفظ أحد موارده من دون اختصاص به كما صنعه المعرفون ، وذلك لما ورد عن أهل البيت عليهم السلام أنهم أسماء الله كما في صحيح معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « نحن والله الأسماء الحسنى »[2] .

ولا مازم لحمل الاسم عليهم (ع) حملاً مجازياً كما ورد نظيره في حمل الكلمة على النبي عيسى عليه السلام ، قال جلّ جلاله : « ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم »[3] . وله نظائر في الكتاب والسنة ولا داعي للقول بالتجوز واختصاصه باللفظ كما لا يخفى على الخبير .

ولا نريد من الاسم هنا ما اصطلح عليه في النحو الذي عرّفه القوم : بالذي يصح الاخبار عن معناه تارة فيورد عليه بعدم المانعية من الفعل والحرف إذ يصح الاخبار عنهما وانه رسم لا حدّ. وأخرى « بالذي يصح أن يأتي فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً » ويورد عليه بما أورد على الأول . وثالثه : ان الاسم « كلمة تستحق الاعراب في أول الوضع » . ورابعه : الاسم « ما دلّ على معنى في نفسه دلالة مجرّدة عن الاقتران » وانتقض بالعقد والخط والاشارة مع أنها ليست أسماء « وهو كما ترى » وبغيره مما انتقض به . وخامسه : الاسم كلمة دالة على معنى مستقل بالمعلومية منغير أن يدل على الزمان المعين الذي وقع فيهذلك المعنى[4].

وقد اتضح أنه أوسع من اللفظ ، وإن كان الغالب عليه ذلك وأشمل من المعنى المصطلح لأن هيئات الفعل والحرف هي أسماء لمسمياتها، فالاسم علم الجنس

---

(١) التوحيد : ١٨٥ .

(٢) اصول الكافي ١٤٣/١ - ١٤٤ .

(٣) آل عمران : ٤٥ .

(٤) تفسير الفخر ٣٤/١ - ٣٥ .

لكل ما دلّ على مسماه اسماً كان أو فعلاً أو حرفاً من أنواع مندرجة تحته ، كما اتفقوا على ان الأجناس لها أعلام مثل « أسامة » و « أسد » ثم ان الاسم يعم الذوات والصفات والأفعال ، كما ويعم الأعلام والأجناس فاسم « الله » علم له تعالى وسيمر التكلم عليه إنشاء الله تعالى . والقدير اسم صفة والخالق اسم فعل له جلّ جلاله فما دلّ على الذات والصفة والفعل أسماء لا محالة مضافة إليها ، وهي علامات تحكي عن معلومها الواحد الأحد كما في الله تعالى والأكثر في غيره فالتعميم المذكور للاسم إنما نشأ من قبل المسمى وهنا تقسيمات لكل من الأنواع المسميات .

قسموا الاسم إلى العلم ، والكنية ، واللقب فإنها أسماء للملقب عنه ، والمكنى عنه والمعلوم كما قسموا العلم إلى ما كان بالكنية كأبي طالب عليه‌السلام فإنه كنى بابنه طالب . وأبي الحارث الأسد وأبي الفضل العباس بن علي عليه‌السلام وابن الرضا للامام العاشر عليه‌السلام وأم الأئمة فاطمة الزهراء (ع) واللقب وهو كثير . وفي الاسم وتقسيماته أبحاث ضربنا عنها صفحاً لعدم الجدوى .

ولسيدنا الطباطبائي ما يلي : وأما الاسم فهو اللفظ الدال على المسمى .. فالذي يعرفه[1] منه اللغة والعرف هو اللفظ الدال ويستلزم ذلك أن يكون غير المسمى ، وأما الاسم بمعنى الذات مأخوذاً بوصف من أوصافه فهو من الأعيان لا من الألفاظ وهو مسمى الاسم بالمعنى الأول كما ان لفظ العالم « من أسماء الله تعالى » اسم يدل على مسماه وهو الذات مأخوذة بوصف العلم وهو بعينه اسم بالنسبة إلى الذات الذي لا خبر عنه إلا بوصف من أوصافه ، ونعت من نعوته والسبب في ذلك أنهم وجدوا لفظ الاسم موضوعاً للدال على المسمى من الألفاظ. ثم وجدوا أن الأوصاف المأخوذة على وجه تحكي عن الذات وتدل عليه حال،

---

(١) اللفظ الصحيح هكذا « فالذي نعرفه من اللغة والعرف » .

اللفظ المسمى بالاسم في أنها تدل علىذوات خارجية فسموا هذه الأوصاف الدالة على الذوات أيضاً أسماء فأنتج ذلـــك ان الاسم كما يكون أمراً لفظياً كذلك يكون أمراً عينياً ، ثم وجدوا ان الدال القريب على الذات ويكون هو الاسم بالمعنى الثاني المأخوذ بالتحليل .

وان الاسم بالمعنى الأول إنمـا يدل على الذات بواسطته ولذلك سموا الذي بالمعنى الثاني اسماً ، والذي بالمعنى الأول اسم الاسم ، هذا ولكن هذا كله أمر أدى إليه التحليل النظري ، ولا ينبغي أن يحمل على اللغـة فالاسم بحسب اللغة ما ذكرناه [1] .

وربما أجيب عن دعوى كون الاسم بالمعنى الثاني من الأعيان لا من الألفـاظ وانه مسمى الاسم بالمعنى الأول ليصح قول من يقول ان الاسم عين المسمى ، بأن ذلك لا يخرجه عن مقولة الألفاظ لأن « العالم » الذي هو اسم للذات بوصف العلم وفي نفس الوقت هو مسمى للاسم ليس من الأعيان فإن العين هو الذات الخارجي الذي وقع عليه لفظ العالم كما ان الاسم اسم لهذا المسمى أي العالم من باب الاضافة ومن المكشوف أن المغايرة لا بدّ منها في بابها فلا عينية بالمعنيين ، وقد أشار إلى بعض ذلك الرازي قال :

اعـلم أنّا استخرجنا لقول من يقول الاسم نفس المسمى تأويلاً لطيفاً دقيقاً وبيانه : ان الاسم اسم لكل لفظ دلّ على معنى من غير أن يدلّ على زمان معين ، ولفظ الاسم كذلك .

فوجب أن يكون لفظ الاسم اسماً لنفسه ، فيكون لفظ الاسم مسمى بلفظ الاسم ، ففي هذه الصورة الاسم نفس المسمي إلا أن فيه إشكالاً .

وهو أن كون الاسم اسماً للمسمى من باب المضاف ، وأحد المضافين لا بـدّ وأن يكون مغايراً للآخر [2] .

---

(١) تفسير الميزان ١/١٧ .

(٢) التفسير الكبير ١/١٠٩ .

وكلامه ناظر إلى نفي العينية المزعومة الحشوية الكرامية الأشعرية لا العينية الخارجية المذكورة في كلام الطباطبائي دام ظله .

وقد أقام جمع من الشيعة والسنة منهم الرازي وغيره على بطلان عينية الاسم والمسمى المزعومة البراهين وجعلوا بطلانها من البديهيات وهو كذلك ، وقـــد تقدمت النصوص الصريحة الدلالة الرادة عليهم فراجع .

في اشتقاق الاسم

من قـال ان أصل الاسم السمو مصدر سما يسمو من باب دعا يدعو أو سما يسمي كرمى يرمي » بمعنى العلو والظهور لظهور المسمى بـه بعد خفائه استدل بجمعه « أسماء وأسام . وتصغيره : سمي كدعي ورمي » . والجمـع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها . والأمر من الاسم اسم مثل ادع أو اسم نحو ارم على وزن « افع » .

وقيل : اللفظ معرف المعنى ومعرف الشيء متقدم عليه وله العلو فـلا جرم كان الاسم عالياً على المعنى قاله الرازي [1] .

إن كان علو الاسم على معناه لأجل تقدمه عليه فهو موجود على القول باشتقاقه من السمة بمعنى العلامة أيضاً فإنها متقدمة على ذيها .

والاسم عند البصريين من الأسماء العشرة التي بنيت أوائلها على السكون وهي : « ابن وابنة وابنم واسم واست واثنان واثنتان وامرؤ وامرأة وأيمن الله أو أيم الله » إذا نطقوا بها زادوا همزة لبشاعة الابتداء بالساكن إذ كان دأبهم أن يبتدأوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ، وإذا

---

(١) التفسير الكبير ١/١٠٩ .

وقعت في الدرج لم يفتقر إلى زيادة شيء، ومنهم من استغنى بها بتحريك الساكن فقال: « سَمْ وسِم » . قال : باسم الذي في كل سورة سمه [١] .

والاسم من الكلمات المحذوفة الاعجاز: كيد ودم حذفت الواو تخفيفاً لكثرة الدوران وتصريفه إلى أسماء ، وسمي دون أوسام ووسيم شاهد بأنه مشتق من السمو وعليه فهو تنويه بالمسمى ، وإشارة بذكره . وفيه ثماني عشرة لغة كما في النظم التالي :

سم سمة اسم سماة كذا سما ... سماء بتثليث لأول كلها [٢]

واكتفى بعض بعشرة ناظماً لها فيما يلي :

لغات الاسم قد حواها الحصر ... في بيت شعر وهو هذا الشعر
اسم وحذف همزه والقصر ... مثلثات مع سماة عشر [٣]

وروي في قوله تعالى : « باسم ربك » رسم الخط في كتابة الألف دون الدرج وحذفت خطاً وقراءة في « بسم الله » لكثرة الاستعمال الشائع فيها دون غيرها ، وقيل : طوّلت الباء عوضاً من الطرح ، قيل : الكاتب طوّل الباء وأظهر السين ودوّر الميم [٤] .

وقد ذهب الكثير من شيعي وسني إلىهذا الاشتقاق منالأول الشيخ الطبرسي قال : الاسم مشتق من السمو وهو الرفعة أصله سمو بالواو لأن جمعه أسماء مثل قنو وأقناء وصنو وأصناء ، وقيل : أنه مشتق من الوسم والسمه والأول أصح الخ [٥] .

---

(١) القائل الزاجر وبعده : قد وردت على طريق تعلمه .
(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني لشارحه ١/٥٧ .
(٣) نفس الحاشية على الشرح لمحشيه ١/٥٧ .
(٤) تفسير روح المعاني ١/٤٩ ، وتفسير الكشاف ١/٤ .
(٥) تفسير مجمع البيان ١/١٩ .

وقيل: والقائل الكوفيون انه مشتق من السمة بمعنى العلامة أصل اسم وسم ثم حذف منه الواو ثم زيد عوضاً عن الواو ألف الوصل كما عوّض عنها الهاء في العدة والصفة والزنة فوزنه « أعل ».

أقول : يشهد لهـذا القول تفسير الإمام الرضا عليه السلام روى الشيخ الصدوق بإسناده إلى علي بن الحسن بن علي بن الفضال عن أبيه قال : سألت الرضا علي بن موسى عليه السلام عن « بسم الله » قال: معنى قول القائل « بسم الله » أي اسم على نفسي سمة من سمات الله عز وجل وهي العبادة ، قال : فقلت ما السمة ؟ فقال: العلامة [1] .

والعلامة لها المناسبة الماسة بالاسم لكونه كالعلامة التي لا تفارق المسمى بحال فمن الجهة المعنوية يقوى مـــا ذهب إليه الكوفيون ، ومن حيث القواعد الفنية يؤيد ما جنح إليه البصريون ، فالحديث الرضوي أقوى شاهد للجهة الاولى .

والحديث الشريف مستفيض النقل وموثق . والسمة كما فسرها الامام عليه السلام هي العلامة وجعل مصداقها هنا العبادة لله عز وجل ، ليكون العبد ذا علامـة يعرف بها ربما يجعل لما يراد اختصاصه بأحدهم علامة حاكية عن الاختصاص كما هو معروف في الخيل المختص ببعض القبائل يجعلون له علامة الكي إمـــا لعدم الضياع أو الدلالة على صاحبه أو لغير ذلك ، والمقصود أن يكون العبد ذا علامة عبادية تدل على أنه مؤمن بالله تعالى ويعرف بهـــا في الدنيا والآخرة أو لأجل التشرف المضاف إلى الله جلّ جلاله ، فإن الانتساب إليه من أسنى انتساب أو ان العبادة في نفسها سعادة للعبد المؤمن ، وربما يروى أنها جوهرة كنهها الربوبية كمـا في بعض التفاسير [2] . وكيف كان تسمية العبد عند ابتداء كل شيء يسم

---

(١) التوحيد : ٢٢٩ - ٣٠٠ وفي هامشه أي سمة الله التي يسم بهـا العبد نفسه في كل أمر هي العبادة حقيقة لا مجرد القول والعمل وتلك السمة علامة بينه وبين ربه يعرف بها الحق والباطل.

(٢) المحقق الاصفهاني ٩٧ .

نفسه بسمة الله عز وجل يصبح ذلك الشيء مصبوغاً بصبغة الله كما قال تعالى : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »[1] .

وفي الآية تأييد لتفسير السمة بالعبادة كما لا يخفى على المتدبر في آخرها أي لفظ « عابدون » . ثم ان إضافة « بسم » إلى « الله » بيانية ان جعلنا البسملة مطلوبة لذاتها بصيغتها الخاصة ، ولكن يشكل جري صفة الرحمة للفظ الجلالة لأن الله تعالى هو الرحمن الرحيم لا اسمه المبارك إلا أن تكون الصيغة قد صيغت لمطلق الاسم الشامل لكل تمجيد له تعالى .

وعليه فالاضافة لامية أي باسم من أسمائه تعالى اسم نفسي واللامية هي الأظهر من سياق العبادة ، ونظير ذلك ما ورد ما مضمونه : « لا يمس اسم الله جنب »[2] . فإنه ان اريد لا يمس الاسم الذي هو لفظ « الله » كانت الاضافة بيانية ، وعليه فلا يدل الحديث على حرمة من الجنس لبقية أسماء الله تعالى وتكون مقصورة على مس لفظ « الله » . وأما لو جعلت الاضافة لامية عمت الاسماء كلها ومنها لفظ الجلالة ، فهي في الحديث مرآة لسائر أسمائه تعالى ينظر إليها بها لا إليها فافهم ذلك ، والبسملة من هذا القبيل مع التجمد على الابتداء بها لكونها مطلوبة لذاتها ولزيادة الايضاح تأمل قوله تعالى : « ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم »[3] . فالمشار إليه القرآن ان اريد غير هذه الآية المباركة منه كما هو سوق الكلام المتعارف عند المحاورة خرجت الآية عن هدايتها إلى الطريق الاقوم ، وإن عمّ المشار إليه حق لنفسها من باب صدق الكلي على أفراده طبعاً ثبت المقصود ، ولا بدّ من التعميم في هذه المقامات لئلا يفوت الغرض الذي سيق الكلام من أجله .

من البيان المتقدم يظهر بطلان قول أبي عبيد بأن ذكر الاسم في قوله تعالى:

---

(١) البقرة : ١٣٨ .

(٢) الوسائل ٤٩٢/١ باب ١٨ من أبواب الجنابة .

(٣) الاسراء : ٩

« بسم الله » صلة زائدة والتقدير « بالله » قـــال : وإنما ذكر إما للتبرك ، وإما ليكون فرقاً بينه وبـــين القسم على ما نقله الرازي وتصدى لابطاله قائلا : والمراد من قوله : « بسم الله » قوله : ابدأوا بسم الله ، وكلام أبي عبيد ضعيف لأنا لما أمرنا بالابتداء فهذا الامر إنمـا يتناول فعلا من أفعالنا ، وذلك الفعل هو لفظنا وقولنا فوجب أن يكون المراد ابدأ بذكر الله ، والمراد ابدأ ببسم الله ، وأيضاً : فالفائدة فيه انه كما ان ذات الله تعالى أشرف الذوات، فكذلك ذكره أشرف الاذكار ، واسمه أشرف الاسماء ، فكما انـه في الوجود مقدم على كل ما سواه وجب أن يكون ذكره سابقاً على كل الاذكار ، وأن يكون اسمه سابقاً على كل الاسماء ، وعلى هـــذا التقدير فقد حصل في لفظ الاسم هذه الفوائد الجليلة [1] .

---

(١) التفسير الكبير ١/١٠٢ – ١٠٣ .

المقصد السادس

الله جلّ اسمه

قبل البحث عن خواص كلمة « الله ». والعلمية أو الاشتقاق. معرفة الطريق إليه تعالى :

أول ما نفتح أعيننا ونشاهد من مناظر الوجود ما نشاهده يقع إدراكنا على أنفسنا وعلى أقرب الامور منا وهي روابطنا مع الكون الخارج من مستدعيات قوانا العاملة لإبقائنا فأنفسنا وقوانا ، وأعمالنا المتعلقة بها هي أول ما يدق باب إدراكنا، لكنا لا نرى أنفسنا إلا مرتبطة بغيرها ولا قوانا ولا أفعالنا إلا كذلك فالحاجة من أقدم ما يشاهده الإنسان يشاهدها من نفسه ومن كل ما يرتبط به من قواه وأعماله والدنيا الخارجة ، وعند ذلك يقضي بذلك ما يقوم بحاجته ويسد خلته وإليه ينتهي كل شيء وهو الله سبحانه ويصدقنا في هذا النظر والقضاء ، قوله تعالى : « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني »[1] . وقد عجز التاريخ عن العثور على بدء ظهور القول بالربوبية بين الأفراد البشرية ، بل وجده وهو يصاحب الانسانية إلى أقدم العهود التي مرّت على هذا النوع ، حتى أن الأقوام الوحشية التي تحاكي الانسان الأول في البساطة لما اكتشفوهم في أطراف المعمورة كقطان امريكا واستراليا ، وجدوا عندهم القول بقوى عالية هي وراء مستوى الطبيعة ينتحلون بها وهو قول بالربوبية ، وإن اشتبه عليهم المصداق فالاذعان بذات ينتهي إليها أمر كل شيء من لوازم الفطرة الانسانية لا يحيد عنه إلا من انحرف عن إلهام فطرته لشبهة عرضت له كمن يضطر نفسه على الاعتياد

---

(١) فاطر : ١٥ .

بالسم وطبيعته تحذّره بإلهامها وهو يستحسن ما ابتلى به [1] .

إن الله جلّ جلاله نوّه باسم الجلالة « الله » في ألفين وستمائة وسبع وتسعين موضعاً من القرآن الكريم بما فيه من ستة آلاف وفوق مائتين آية ، ومن مائة وأربع عشرة سورة مع أسماء صفات الجلال والجمال وأفعالهما لم يأت بها للاستدلال على إثبات الذات المقدسة ووجوده العيني إلا في آية هي قوله تعالى : « أفي الله شك فاطر السماوات والأرض » [2] .

بل لم يزل جلّ جلاله يأتي بالأسماء والصفات والأفعال الجميلة وبمظاهر الكون بما فيه من جميل الصنع وما خلق الله من شيء لدلالة العباد على أنواعهم وأجناسهم على ذاته المتعالية من طريق الجلال والجمال ، ذلك بأن الذات بما هي هي لن تقع عليها الأوهام ولا تنالها لطائف الأفكار وعقول العقلاء ، وأما الاذعان بالله تعالى فأمر فطري هي : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » [3] . لا يفتقر إلى برهان بأكثر من مثل ايقاظ النائم أو تنبيه الغافل ، كيف لا وكثير من آيات القرآن دلت على أن الكافرين كانوا معترفين بأن ليس للكون خالق إلا الله تعالى ، منها قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله » [4] .

ان الفطرة الانسانية تجعل الانسان يعترف فيما هو خارج عن القدرة البشرية بوجود القادر على الاطلاق وهذه معرفة إجمالية بالله جلّ جلاله ، وإنما السر في مجيئي الأنبياء والرسل عليهم السلام وإنزال الكتب والشرائع السماوية هو لأجل تفصيل لتلك المعرفة الاجمالية وإلا لم يمكن إذعان بالشيء الفاقد له بالمرة ولا يتأتى القبول من غير القابل كالجمادات ، على ان كل شيء يسبح بحمده كل بحسب حاله ولسانه ، وإنما جئنا بهذا البيان هنا لأن البسملة المباركة تضمن تلك المعرفة الفطرية بشيء من تفصيل بالتدليل من تقديم اسم الذات المتعالية لأنها المبدأ

---

(١) تفسير الميزان ٨/٣٤٩ – ٣٥٠ .
(٢) ابراهيم : ١٠ .
(٣) الروم : ٣٠ .
(٤) لقمان : ٢٥ .

الوحيد لخلق الخلق وهو الاسم الجامع لصفات الكمال كله ثم اسمه الرحمن الرحيم والرحمة أصل كل الخيرات والعلة الغائية كما قال تعالى : « ولذلك خلقهم »[1] . فالتسمية لها الدلالة على الذات والصفات والأفعال بإجمال وتفصيل .

وجعل جلّ جلاله عنوان كتابه العزيز من بدئه إلى ختامه دليلاً على نفسه المقدسة على كمالها بإجمال وعلى جمالها بتفصيل ، فلفظ الجلالة له الدلالة على المبدأ الذي تحسر العقول عن الوصول إلى معرفته بالكنه دون أن ترجع خائبة خاضعة معترفة بالعجز : «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير»[2].

ويراد من الأبصار البصائر على ما جاء في تفسير الآية : في الكافي بإسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله : « لا تدركه الأبصار » قال: إحاطة الوهم ألا ترى إلى قوله : « قد جاءكم بصائر من ربكم »[3] . ليس يعني من البصر بعينه « ومن عمى فعليها » ليس يعني عمي العيون ، إنما عني إحاطة الوهم كما يقال : فلان بصير بالشعر ، وفلان بصير بالفقه ، وفلان بصير بالدراهم ، وفلان بصير بالثياب الله أعظم من أن يرى بالعين[4] . وللبحث بقية مرهونة والغرض منه الموجز .

---

(١) هود : ١١٩ .
(٢) الأنعام : ١٠٣ .
(٣) الأنعام : ١٠٤ .
(٤) تفسير الميزان ٧/٣٠٩ .

العلمية والاشتقاق

قبل التكلم على علمية اسم الجلالة نقول : هـل الاسم المبارك عربي أم عبراني أم سرياني [1] ؟ قيل : إنه غير عربي . فإنهم يقولون : «إلهاً رحماناً ومرحياناً». ولما عرّب جعل : « الله الرحمن الرحيم » . وكان قبل التعريب « لاهاً » ومعناه ذو القدرة . وقيل إنـــه عربي لعدم الدليل على ما ذكر من التعريب واستعمال اليهود والنصارى لا يقوم دليلاً إذ احتمال توافق اللغات قائم على قدم وساق مع ان قولهم : « تأله واله » . يأبى ذلك على ان دخول « أل » عليه وحذف المدة وجعله بهذا الوصف دليل على أنـــه لم يكن علماً في غير العربية ، ولا يلزم من المشابهة الحاصلة بين اللغتين الطعن في كون هـذه اللفظة عربية أصيلة ، والدليل عليه قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله » [2] .

وقال تعالى : « هل تعلم له سمياً » [3] . واطبقوا على أن المراد منه « لفظة

---

(١) العبراني لغة بني اسرائيل، والسرياني لغة آدم ، قال ابن حبيب : كان اللسان الذي نزل به آدم من الجنة عربياً ثم حرف وصار سريانياً وهو منسوب إلى أرض سريانة جزيرة كان بهـا نوح « ع » وقومه قبل الغرق وهو يشاكل العربي، إلا أنه محرف وكان لسان جميع من في الأرض إلا رجلاً واحداً يقال له : « حر » فلسانه عربي قـاله ابن الأنباري وهم يلحقون ألفاً في أواخر الكلم يقولون : « لاهاً رحماناً » كما في الفارسية ، انظر هامش روح المعاني ٣/١، .

(٢) لقمان : ٣٥ . (٣) مريم : ٦٥ .

الله » أي في الآية الكريمـة الثانية لا الأولى لأن جواب الكفار في تعيين الخالق هو المسمى [1] . لا الاسم المبارك في الآية الاولى ، ويشهد للثانية بعض الروايات فقد روى الشيخ الصدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام تأويله : هـل تعلم أحداً اسمه « الله » غير الله [2] . ولا ينافي اختصاص لفظ الجلالة به تعالى البحث عن العلمية أو الاشتقاق كما هو غير خفي على من له إلمام بالمصطلحات العلمية .

---

(١) تفسير الفخر ٨٦/١ .

(٢) تفسير الصافي ٥٠/٢ .

العلمية بالأصالة أو بالغلبة

نسب إلى الأكثر ان اللفظة المباركة علم لله جلّ جلاله بالأصالة وأنها عربية، فإن صحت النسبة فقد خلصوا عن البحوث السابقة واللاحقة، أما المنكرون للعلمية رأساً أو العلمية بالأصالة فهم بين ذاهب إلى الاشتقاق ويسمى بحثه بتفصيل، وإلى العلمية بالغلبة.

قال السيد الطباطبائي : ومما يدل على كونه علماً أنه يوصف بجميع الأسماء الحسنى وسائر أفعاله المأخوذة من تلك الاسماء من غير عكس فيقال : « الله الرحمن الرحيم » ويقال : « رحم الله وعلم الله ورزق الله » ولا يقع لفظ الجلالة صفة لشيء منها ولا يؤخذ منه ما يوصف به شيء منها. ولما كان وجوده سبحانه وهو إله كل شيء يهدى إلى اتصافه بجميع الصفات الكمالية كانت الجميع مدلولاً عليها به بالالتزام . وصح ما قيل إن لفظ الجلالة اسم للذات الواجب المستجمع لجميع صفات الكمال، وإلا فهو علم بالغلبة لم تعمل فيه عناية غير ما يدل عليه مادة « إله »[1] .

واستدل على العلمية له تعالى بوجوه :

---

(١) تفسير الميزان ١٨/١ .

الأول : لو كان مشتقاً لكان معناه كلياً لا يمتنع فرض صدقه على كثيرين ، وإن انحصر في الفرد الخارجي وهو الله تعالى لأن الانحصار لا يمنع من صدق مفهوم المشتق كلياً ، وعليه فلا يكون قولنا : «لا إله إلا الله» توحيداً حقاً مانعاً من وقوع الشركة فيه، وحيث أجمع العقلاء وأهل جميع الشرائع على كونه كلمة التوحيد ، فعلم ان قولنا : « الله » اسم علم موضوع لتلك الذات المقدسة، وليس من اللفظ المشتق في شيء .

الثاني : أنه يوصف ولا يوَصف به لأن من أراد أن يذكر ذاتاً معينة ويصفها بصفات فإنه يذكر اسمه أولاً ثم يعقبه بصفات نحو زيد الفقيه من دون عكس إلا لغرض آخر غير التوصيف ، وعليه فمن أراد أن يذكر الله تعالى بالصفات فيذكر أولاً «الله» ثم يذكر عقبه صفات المدح فيقول: «الله العالم القادر الحكيم». وأما قوله تعالى : « إلى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السماوات وما في الارض »[1] .

فعلى قراءة الرفع يزول السؤال فإن لفظ « الله » مبتدأ وخرج عن كونه صفة لما قبله . وعلى الجر كما هو الاشهر فإنه بيان لما قبله لا صفة نظير قولك : (هذه الدار ملك للفاضل العالم زيد) فليس زيد هنا إلا عطف بيان لما قبله لأنه بعد سماع الأوصاف يشك أنه من الموصوف فيقال زيد لرفع الشك .

الثالث : قال تعالى: « هل تعلم له سمياً »[2]. وليس المراد من الاسم الصفة وإلا لكان كذباً فوجب أن يكون اسم علم ، وكل من قال بالعلم قال هو لفظ « الله » .

الرابع : لا بدّ من اسم يجري عليه صفاته ، فإن كل شيء يتوجه إليه الأذهان. يحتاج إلى التعبير عنه وقد وضع له اسم توقيفي أو اصطلاحي،فكيف

---

(١) ابراهيم : ٣ . (٢) مريم : ٦٥ .

يهمل خالق الأشياء ومبدعها ولم يوضع له اسم يجري عليه ما يعزى ولا يصلح مما يطلق عليه سواه [١] .

هذه وجوه العلمية وهنا ردود منها الاستبعاد أن يكون لفظ «الله» اسم علم لقوله تعالى : « وهو الله في السماوات » [٢] . وقوله تعالى : « هو الله الذي لا إله إلا الله » [٣]. فإن لفظ « الله » لا بدّ وأن يكون صفة لهو، ولا يجوز أن يكون اسم علم إذ لا يجوز « هو زيد في البلد » . ويجوز « هو العـالم الزاهد في البلد » . ومن هنا يرد على النحويين المانعين من وقوع الضمير صفة أو موصوفاً ، وهنا وقع موصوفاً والله صفة له فلا يكون اسم علم .

وأيضاً : ان اسم العلم يقوم مقام الإشارة ، والاشارة ممتنعة في حق الله تعالى فيكون القائم مقامها ممتنعاً أيضاً .

وأيضاً : إنما يصار إلى العلم لتمييز شخص عن شخص آخر يشبهه في الحقيقة ، وإذا كان المشابهة ممتنعة في حقه تعالى كان إثبات اسم العلم ممنوعاً في حقه .

والجواب عن الأول [٤] : لم لا يكون « الله » في الآيتين مبتدأ ثانياً وما بعده خبره والجميع خبر لهو . أو لم لا يجوز أن يكون جارياً مجرى القول « هذا زيد الذي لا نظير له في العلم والزهد » .

والجواب عن الثاني : إنمـــا يوضع لتعيين الذات المعينة كانت مشاراً إليها بالحس أم لا .

وهذا هو عين الجواب عن الثالث : بأن كانت المشابهة في الحقيقة موجودة ، أم لم يكن كما بالنسبة إلى الله تعالى [٥] إلى آخر مـا ذكره المنكر للعلمية يطول المقام بذلك .

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١/٨٣ .

(٢) القصص : ٧٠ .

(٣) الأنعام : ٣ .

(٤) قيل هو مبتدأ الله خبر والجملة صفة له.

(٥) تفسير الفخر الرازي ١/٨٣ .

خواص كلمة « الله » عزّ اسمه

منها عدم جواز التسمية بها ولم يسمع من أحد أنه سمي بذلك ، وقد تقدم في الحديث العلوي أنه قـال عليه السلام : « ان قولك « الله » أعظم اسم من أسماء الله عزوجل وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمى به غير الله ولم يتسمّ به مخلوق»[1].

دلّ بوضوح أن من خواص كلمة الجلالة عدم جواز تسمية المخلوق بها وسبق، عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى : « هل تعلم له سمياً »[2]. انه قال عليه السلام : تأويله هل تعلم أحداً اسمه « الله » غـير الله[3] . والحديث كما صح أن يكون إخباراً عن عدم تحقيق التسمية من أحد بهـا صح جعله نهياً عن التسمية أيضاً كما جاء ذلك في إفادة الأمر في صحيح محمد بن مسلم قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الرجل يصلي لا يدري واحدة صلى أم اثنتين ، قـال : يستقبل حق يستيقن أنه قد أتم[4] أي فليستقبل صلاته وهو كثير في الاستعمال المحاوري .

ومنها : أنه لم يكن في أسماء الله الحسنى اسم جامع لجميع الصفات والأفعال مع الدلالة التامة على ذاته المقدسة غير لفظ الجلالة . فإذا قال العبد : « يا الله »

---

(١) تحت الرقم ٢٨ من روايات البسملة .

(٢) مريم : ٦٥ .

(٣) ص : ١٠٢ ، تفسير الصافي ٢/٥٠ .

(٤) الوسائل ٥/٣٠٠ .

فقد دعـــاه بكل أسمائه الحسنى وأفعاله المحمودة ، ولم يبق من الكمال والجلال والجمال إلا وقد قاله .

ومنها : أنه أدل اسم على الربط بين الخالق والمخلوق وأقربه إلى إثارة المحبة في القلوب والوفاء والحياء والتقوى وغيرها من اصول الفضائل ، لا سيما إذا قلنا ان أصله « إله » فدخل عليـــه « أل » أي المعبود وهو يقتضي وجهة العبد إلى سيده والعابد إلى معبوده والربط بينهما وغاية التكوين العبادة ، وقـد قال جلّ جلاله : « وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون » (١) .

قال بعض المفسرين : ان هذا الاسم يختص بخواص لم توجـد في سائر أسماء الله تعالى ، ونحن نشير إليها :

الخاصية الاولى

انك إذا حذفت الألف من قولك « الله » بقي الباقي على صورة « لله ». وهو مختص بـه سبحانه كما في قوله : « ولله جنود السماوات والأرض » (٢) . « ولله خزائن السماوات والأرض » (٣) .

وإن حذفت عن هذه البقية اللام الاولى بقيت البقية على صورة « له » . كما في قوله تعالى : « له مقاليد السماوات والأرض » (٤) . وقوله : « له الملك وله الحمد » (٥) . فإن حذفت اللام الباقية كانت البقية هي قولنا : « هو » (٦). وهو

---

(١) الذاريات : ٥٦ .
(٢) الفتح : ٤ و٧ .
(٣) المنافقون : ٧ .
(٤) الزمر : ٦٣ .
(٥) التغابن : ١ . قال زميلنا الشيخ المعزي دام عزه : ان « له » في الآية ركبت من حرفين لام الاختصاص وضمير الغائب ، وأين هذا من بقية اسم في « الله » .
أقول : لعله يريد المشاكلة في الصورة لا الأصل ليرد عليه الايراد .
(٦) الباقي بعد الحذف « ه » لا « هو » فإن الواو في اللفظ لا الكتابة .

أيضاً يدل عليه سبحانه كما في قوله : « قل هو الله أحد »[1] . وقوله : « هو الحي لا إله إلا هو »[2] . والواو زائدة بدليل سقوطها[3] في التثنية والجمع ، فإنك تقول : (هما) ، (هم) . فلا تبقى الواو فيهما ، فهذه الخاصية موجودة في لفظ « الله » غير موجودة في سائر الأسماء ، وكما حصلت هذه الخاصية بحسب اللفظ فقد حصلت أيضاً بحسب المعنى ، فإنك إذا دعوت الله بالرحمن فقد وصفته بالرحمة ، وما وصفته بالقهر ، وإذا دعوته بالعليم فقد وصفته بالعلم ، وما وصفته بالقدرة ، وأما إذا قلت : « يا الله » فقد وصفته بجميع الصفات لأن الاله لا يكون إلهاً إلا إذا كان موصوفاً بجميع هذه الصفات فثبت أن قولنا : « الله » . قد حصلت له هذه الخاصية التي لم تحصل لسائر الأسماء .

الخاصية الثانية

إن كلمة الشهادة وهي الكلمة التي بسببها ينتقل الكافر من الكفر إلى الاسلام لم يحصل فيها إلا هذا الاسم فلو ان الكافر قال : أشهد أن لا إله إلا الرحمن أو إلا الرحيم أو إلا الملك أو إلا القدوس لم يخرج من الكفر ولم يدخل في الاسلام ، أما إذا قال : «أشهد أن لا إله إلا الله» فإنه يخرج من الكفر ويدخل في الاسلام وذلك يدل على اختصاص هذا الاسم بهذه الخاصية الشريفة[4] .

---

(١) الاخلاص : ١ . (٢) غافر : ٦٥ .

(٣) قال شيخنا المعزي : ليست الواو زائدة كما زعمه قوم ، بل هي نتيجة الاشباع في اللفظ فسرى به من اللفظ إلى الكتابة بصورة الواو .

أقول : لا ينافي القول بالاشباع القول بالزيادة .

(٤) تفسير الفخر الرازي ١/٨٦ - ٨٧ . ولم يذكر من الخواص إلا اثنتين فالجمع على حد آية « إذ تسوروا المحراب » ص : ٢١ .

أقول : دلت أحاديث أهل البيت عليهم السلام على هذه الخاصية منها مـا رواه ابن طاووس بإسناده عن موسى بن جعفر عليه السلام في تلقين رسول الله صلى الله عليه وآله إسلام علي عليه السلام وخديجة (ع) ، فقال صلى الله عليه وآله : «ان جبرائيل عندي يقول لكما: ان للاسلام شروطاً ومواثيق فابتدأه بما شرطه الله عليكما لنفسه ولرسوله أن تقولا : « نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له » [1] . ونبوي يا أحمـد الاسلام عشرة أسهم ، وقد خاب من لا سهم له فيها أولها : شهادة أن لا إله إلا الله وهي الكلمة ... » [2] .

وصادقي موثق قـال عليه السلام : ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسير في بعض سيره فقال لأصحابه : يطلع عليكم من بعض هذه الفجاج ليس له عهد بإبليس منه منذ ثلاثة أيام فما لبثوا ان أقبل أعرابي قد يبس جلده على عظمه ، وغارت عيناه في رأسه واخضرت شفتاه من أكل البقل فسأل عن النبي صلى الله عليه وآله في أول الزقاق حتى لقيه ، فقال : أعرض لي الاسلام ، فقال قل : « أشهد أن لا إله إلا الله وأنى محمد رسول الله » [3] .

وظاهر هذه الروايات وهي كثيرة الجمود على الصيغة المذكورة فيها كلمة « الله » جلّ اسمه ، وان الشهادة لم تتحقق إلا بما اشتمل عليها ولولاها لتنظر في الخاصية الثانية بإمكان القول بخروج العبد من الكفر ودخوله في الاسلام بأن يقول : « وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً ومـا أنا من المشركين » [4] . فقد أقرّ بـه تعالى واعترف بالتوحيد له جلّ جلاله ونفى الشريك بدون ذكر كلمة « الله » جلّ اسمه هذه الشهادة الاولى ، أمـا الشهادة

---

(١) جامع البروجردي ١٤٤/١ المقدمات .

(٢) جامع البروجردي ١٤١/١ المقدمات .

(٣) جامع البروجردي ١٣٨/١ المقدمات ، اصول الكافي ٢١/٢ – ٣٣ .

(٤) الأنعام : ٧٩ .

بالرسالة فبأن يقول : أشهد برسالة محمد خاتم الأنبياء وأنـــه رسول رب العالمين ابتعثه للناس جميعاً، وأشهد أن علي بن أبي طالب وأحد عشر من ولده المعصومين خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وهل ترى أن المعترف بهذه الصيـغ لا يكون مسلماً مؤمناً بلى انه من المؤمنين إلا أن النصوص بالخصوص وما عليه الأصحاب الامامية وغيرهم تمنع ذلك [١] .

---

(١) ولبعض زملائنا السادة انه قد تكون النصوص لبيان أقل ما يؤدي المعنى لا خاصاً به.

الاشتقاق

قال الكوفيون : أصل هــــذه اللفظة « إلاه » فأدخلت الألف واللام عليها للتعظيم فصار « الالاه » فحذفت الهمزة استثقالاً لكثرة جريانهــــا على الألسنة فاجتمع لامان فادغمت الاولى فقالوا : « الله » . والبصريون قالوا أصله : « لاه » فألحقوا بها الألف واللام وأنشدوا :

كحلفة من أبي رباح　　　　يسمعها لاهه الكبار

والتفصيل كما يلي قيل : إنه مشتق من « ألهت إليه » أي سكنت إليه والله تعالى تسكن العقول والقلوب والأرواح إليه، ولا تعرج إلا بمعرفته، وبيان ذلك ان الكمال محبوب لذاته وما سوى الحق تعالى فهو ناقص لذاتــه لكونه ممكناً ، والممكن من هو معدوم والعـــدم أصل النقصان والناقص لا يكمل إلا بتكميل الكامل لذاته وهو الله تعالى . وأيضاً ان الممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاد الموجد له والموجد هو الواجب لذاته تعالى ، فـإذا كان في الوجود الخارجي كذلك كان في الوجود العقلي كذلك، فالعقول تسكن إلىعتبة رحمته والقلوب تطمئن بذكره « ألا بذكر الله تطمئن القلوب »[1] .

---

(١) الرعد : ٢٨ .

٢ - أو انه مشتق من « أله » كفرح إذا تحير لتحير العقول في كنه ذاته وصفاته ، وقد أورد على هـذا الاشتقاق بأن ساحته تعالى مقدسة من التحير . واجيب بأنه تعالى وإن كان منزّهاً عن ذلك ، ولكن سبب للحيرة لأن العقول تنتهي عند درجة الحيرة في معرفة الله تعالى ، ولا يستطيع الوصول إلى حقيقته حتى أن الملاحدة الماديين لما بحثوا في أصل الموجودات وارتقوا إلى معرفة البسائط التي تركبت منها الكائنات قالوا : انه لا بدّ أن يكون لها منشأ وحدة مجهول الذات ذو قوة وحياة [١] .

فالإنسان إذا تفكر في الله تعالى تحير إذ كل ما وقع عليه خياله وفكرته فالله تعالى بخلافه كما ورد في الحديث ما مضمونه كل ما صورتموه في أدق معانيه فهو مخلوق لكم مردود إليكم [٢]. فيقع الانسان في حيرة فإن أنكره كذّبته نفسه إذ كل ما سوى الله تعالى الذي هذا المتفكر منه محتاج والمحتاج بدون محتاج إليه من المحال العقلي فـلا سبيل إلى إنكار وجوده تعالى ، وكل شيء يقع عليه الحس والخيال فامارات الحدوث ظاهرة فيـه ، وهنا العقل لا سبيل له إلا الاقرار بالوجود الكامل الغني والاعتراف بالعجز عن إدراكه ، ويدرك أنـه لا يدرك وإدراك عدم الادراك غاية معرفة العبد وهـذا موقف عجيب تحيرت العقول واضطربت الألباب فيه .

٣ - أو انه مشتق من الوله وهو ذهاب العقل . واعـلم ان الخلق قسمان واصلون إلى ساحة بحر معرفته . ومحرومون ، فالمحرومون قد بقوا في ظلمات الحيرة وتيه الجهالة فكأنهم فقدوا عقولهم وأرواحهم . وأما الواجدون فقـد وصلوا إلى عرصة النور وفسحة الكبرياء والجـلال فتاهوا في ميدان الصمدية ، وبادوا في عرصة الفردانية . فثبت ان الخلق كلهم والهون في معرفته فلا جرم كان

---

(١) تفسير المنار ١/٤٥ .

(٢) كشكول البهائي ٢/٣٥١ و٢٨٢ عن الباقر (ع) ط ايران لاجوردي . والوافي ١/٨.

إله الحق للخلق هو هو . وبعبارة أُخرى وهي ان الأرواح البشرية تسابقت في ميدان التوحيد والتحميد فبعضها تخلفت وبعضها سبقت ، فالتي تخلفت بقيت في ظلمات الغبار ، والتي سبقت وصلت إلى عالم الأنوار . فالأولون بادوا في أودية الظلمات والآخرون طاشوا في أنوار عالم الكرامات [1] .

وعليه فالإله بمعنى الذاهب بالعقول لأنها ضلت وتاهت فيه ، والسبب لهذا الضلال والتيه عدم اكتناه ذات الله المتعالية وعدم الوصول إلى الحقيقة الربوبية .

ليكون لفظ « الله » هذا من « ولاه » فقلبت الواو ألفاً لاستثقال الكسرة عليها كإعاء وإشاح أصلها وعاء ووشاح ، وأورد على ذلك بجمع إله على آلهة ، دون « أولهة » كأوعية وأوشحة وبمخالفة القياس في قلب الواو إذا لم تتحرك ، وعدم دفع توهم أصالة الهمزة بكون ذلك خلاف الظاهر وكيف كان ، فقد بان صحة المعنى إن جعل لفظ الجلالة مشتقاً منه .

٤ — أو أنـــه مشتق من « لاه يليه ليهاً » بمعنى الارتفاع وهو المرتفع عن إدراك الخيال .. وقرأ شاذاً : « وهو الذي في السماء لاه » [2] .

وقول ميمون بن قيس الأعشى :

كحلفة من أبي رباح يشهدها لاهه الكبار [3]

وهو البيت الذي ذكرنا في صدر البحث . والحق سبحانه وتعالى هو المرتفع عن مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات لأن الواجب لذاتـــه ليس إلا هو ، والكامل لذاته ليس إلا هو والأحد الحق في هويته ليس إلا هو ، والموجد لكل ما سواه ليس إلا هو ، وأيضاً فهو تعالى مرتفع عن ان يقال ان ارتفاعه بحسب المكان لأن كل ارتفاع حصل بسبب المكان فهو للمكان بالذات ، وللمتمكن

---

(١) التفسير الكبير ١/١٥٩ .
(٢) الزخرف : ٨٤ .
(٣) روح المعاني ١/٥٣ .

بالعرض لأجل حصوله في ذلك المكان ، وما بالذات أشرف مما بالغير فلو كان هذا الارتفاع بسبب المكان لكان ذلك المكان أعلى وأشرف من ذات الرحمن ، ولما كان ذلك باطلاً علمنا انه سبحانه وتعالى أعلى من أن يكون علوه بسبب المكان وأشرف من أن ينسب إلى شيء مما حصل في عالم الامكان [1] .

٥ – أو انه مشتق من « لاه يلوه » إذا احتجب ، قيل معنى كونه محتجباً من وجوه :

الأول : أنه بكنه صمديته محتجب عن العقول .

الثاني : لو قدر بأن الشمس كانت واقفة في وسط الفلك غير متحركة كانت الأنوار الباقية على الجدران غير زائلة عنها ، فحينئذٍ كان يخطر بالبال ان هذه الانوار الواقعة على هذه الجدران ذاتية لها إلا لما شاهدنا ان الشمس تغيب وعند غيبتها تزول هذه الانوار عن هذه الجدران ، فبهذا الطريق علمنا ان هذه الانوار فائضة عن قرص الشمس ، فكذا ههنا الوجود الواصل إلى جميع عالم المخلوقات من جناب قدرة الله تعالى كالنور الواصل من قرص الشمس ، فلو قدرنا أنه كان يصح على الله تعالى الطلوع والغروب والغيبة والحضور لكان عند غروبه يزول ضوء الوجود عن الممكنات ، فحينئذٍ كان يظهر ان نور الوجود منه لكنه لما كان الغروب والطلوع عليه محالاً لا جرم خطر ببال بعض الناقصين ، ان هذه الاشياء موجودة بذواتها ولذواتها فثبت انه لا سبب لاحتجاب نوره إلا كمال نوره ، فلهذا قال بعض المحققين : « سبحان من احتجب عن العقول بشدة ظهوره واختفى عنها بكمال نوره » [2] . وإذا كان كذلك ظهر ان حقيقة الصمدية محتجبة عن العقول ، ولا يجوز أن يقال محجوبة لأن المحجوب مقهور والمقهور

---

(١) تفسير الرازي ١/١٦٠ .

(٢) قال السبزواري في الحكمة المنظومة ه :

يا من هو اختفى لفرط نوره   الظاهر الباطن في ظهوره

يليق بالعبد أمـا الحق فقاهر ، وصفة الاحتجاب صفة القهر ، فالحق محتجب والخلق محجوبون [1] .

٦ ـ أو أنه مشتق من « أله الرجل » إذا فزع من أمر نزل بـــه فألهه أي أجاره، وعليه فقيل: والمجير لكل الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه وتعالى. « وهو يجير ولا يجار عليه » [2] . ولأنــه هو المنعم لقوله تعالى : « وما بكم من نعمة فمن الله » [3]. ولأنه هو المطعم لقوله تعالى: « وهو يطعِم ولا يُطعَم »[4]. ولأنه هو الموجد لقوله تعالى : « قــل كل من عند الله » [5] . فهو سبحانه وتعالى قهار للعدم بالوجود والتحصيل جبار لهـــا بالقوة والفعل والتكميل ، فكان في الحقيقة هو الله ولا شيء سواه [6] .

٧ ـ أو أنه من «أله» بمعنى عبد فهو مألوه أي معبود ككتاب بمعنى مكتوب فهو صفة مشبهة بمعنى اسم المفعول فأله يأله وإله وألوهة والوهية مثل عبد يعبد عبادة وعبودة وعبودية ، لا أنه مصدر كا توهم .

٨ ـ أو أنـــه مشتق من « أله الفصيل » إذا ولع بامه والخلائق مولوعون بالتضرع إليه في الشدائد كلها طوعاً أو كرهاً . قيل ويدل عليه أمور :

الأول : ان الانسان إذا وقع في بلاء عظيم ، وآفـــة قوية فهنالك ينسى كل شيء إلا الله تعالى بقلبه ولسانه فيقول : « يا رب يا رب »، فإذا تخلص عن ذلك البلاء وعاد إلى منازل الآلام والنعماء أخـــذ يضيف ذلك الخلاص إلى الأسباب الضعيفة والأحوال الخسيسة،وهذا فعل متناقض لأنه ان كان المخلص من الآفات، والموصل إلى الخيرات غير الله وجب الرجوع في وقت نزول البلاء إلى غير الله .

---

(١) تفسير الفخر ١/٨٥ .

(٢) المؤمنون : ٨٨ .

(٣) النحل : ٣٥ .

(٤) الأنعام : ١٤ .

(٥) النساء : ٧٨ .

(٦) تفسير الفخر ١/٨٦ .

وإن كان مصلح المهمات هو الله تعالى في وقت البلاء وجب أن يكون الحال كذلك في سائر الأوقات،وأما الفزع إليه عند الضرورات والاعراض عنه عند الراحات فلا يصلح بأرباب الهدايات .

الثاني : ان الخير والراحة مطلوب من الله .

الثالث : ان المحسن في الظاهر إما الله أو غيره ، فإن كان غيره فذلك الغير لا يحسن إلا إذا خلق الله في قلبه داعية الاحسان ، فالحق سبحانه وتعالى هو المحسن في الحقيقة والمحسن مرجوع إليه في كل الأوقات والخلق مشغوفون بالرجوع إليه .

شكا بعض المريدين من كثرة الوسواس ، فقال الاستاذ : كنت حدّاداً عشر سنين ، وقصاراً عشرة أخرى ، وبواباً عشرة ثالثة ، فقالوا : ما رأيناك فعلت ذلك ، قال : فعلت ولكنكم ما رأيتم ، أما عرفتم ان القلب كالحديد فكنت كالحداد ألينه بنار الخوف عشر سنين، ثم بعد ذلك شرعت في غسله عن الأوضار والأقذار عشر سنين. ثم بعده هذه الأحوال جلست على باب حجرة القلب عشرة أخرى سالاً سيف لا إله إلا الله فلم أزل حتى يخرج منه حب غير الله ولم أزل حتى يدخل فيه حب الله تعالى ، فلما خلت عرصة القلب عن غير الله وقويت فيه محبة الله سقطت من بحار عالم الجلال قطرة من النور فغرق القلب في تلك القطرة وفنى عن الكل ولم يبق فيه إلا محض سر لا إله إلا الله (١) .

٩ ـ أو ان أصله على ما قيل : الكناية لأنها للغائب وهو سبحانه الغائب عن أن تدركه الأبصار أو تحيط به الافكار ، وأيضاً الهاء يخرج مع الانفاس فهو المذكور وإن لم تشعر الحواس ومتى انقطع خروجه انقطعت الحياة وحلّ بالحيّ الممات فيه وباسمه قوام الارواح والابدان واستقامة كل متنفس من الحيوان فزيد

---

(١) تفسير الفخر ١/٨٥ .

عليها « لام الملك » ثم مدّ بها الصوت تعظيماً ثم ألزم اللام واستأنس لهـــذا ان الاسم الكريم إذا حذفت منه الهمزة بقي « لله » [١] .

أقول : تقدم التكلم على خواص لفظ الجلالة نظير الحذف الآنف الذكر [٢] وهذا الوجه لم يقل به لعله أحد ، بل مجرّد احتمال ذوقي ، وان لام « الله » للملك هذه هي الاقوال ومحتملات الاشتقاق وما ذكروه في علمية اللفظة المباركة فهل الحق الاشتقاق أو العلمية ، ومما يدل على الاول :

صحيح هشام بن الحكم انــه سأل أبا عبدالله عليه‌السلام عن أسماء الله واشتقاقها وان « الله » مما هو مشتق قال : فقال لي : « يا هشام الله مشتق من (إله) والاله يقتضي مألوها » [٣] .

وإذا تجمد على ظاهر كلمة الاشتقاق المذكورة في الحديث الشريف كان القول به قريباً وينطبق عليه كثير من المحتملات المتقدمة .

ولكن من المحتمل في الحديث جعل الاشتقاق كنايــــة عن إرادة النوع من المعاني يقال : « هذا مشتق من هــذا » . أي من هذا المعنى دون المعاني الاخر ، فتأمل تعرف الكناية التي سار بها الركبان وجرى على كل لسان .

وعليه فدعوى العلمية الاصيلة دون أن تكون بالغلبة قريبة جداً وهو الموافق لكلمات الفقهاء والاصوليين وكثير من المحققين . والله جلّ جلاله هو العالم بحقيقة اسمه المبارك والحقائق كلها ، ولا سبيل إلى الوصول إليه كما لا سبيل إلى ذاتـــه المقدسة فتعالى عن أن ينالها العلم مهما كان .

---

(١) تفسير روح المعاني ١/٥٣ .

(٢) وهو الخاصية الاولى من الرازي .

(٣) اصول الكافي ١/٨٧ .

المقصد السابع

الرحمن الرحيم

قبل كل ما قيل أو يقال حول الاسمين الكريمين من لغة وتفسير نقدم عرضاً موجزاً لآيات وروايات ، جاء فيهما الأسمان . ثم ذكر بعض كلمات المفسرين فهنا أمور ثلاثة : آيات ، وروايات ، وكلمات .

الأول : الآيات

جاء اسم « الرحمن » في ١٦٩ موضعاً من القرآن الكريم منها ١١٤ في البسملات ، و٤ منضماً إلى اسم «الرحيم» ، وإلى لفظ « الله » في موضع واحد . وهو قوله تعالى : « قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن »[1] و٥٠ موطناً منفرداً .

وذكر اسم « الرحيم » ٢٢٦ مرة منها ١١٤ في البسملات ، و٤ منضماً إلى « الرحمن » و١٠٨ منفرداً .

ولفظ « الرحمن » في موضع الانضمام تغلب عليـــه الوصفية إلا آية التسوية الآنفة الذكر فإنه هو والجلالة سيان بحسب سبب النزول من اعتراض المشركين على الرسول ﷺ وهو بمكة وكان من دعائه «يا الله يا رحمن» . قالوا : انظروا إلى هـــذا الصابي ينهانا أن ندعو إلهين فنزلت آية التسوية بأن « الله والرحمن » اسمان له تعالى وأنهما سيان في الدلالة على الله تعالى على رواية ابن عباس .

---

(١) الاسراء : ١١٠ .

وقيل سبب النزول إن أهل الكتاب من اليهود قالوا للرسول ﷺ : إنك لتقل ذكر « الرحمن » وقد أكثر الله تعالى في التوراة هذا الاسم فنزلت فعلى الأول ترد الآية على المشركين من تخيل إلهين بالاسمين وانهما لله وحده . وعلى الثاني من من سبب النزول من توهم أحسنية « الرحمن » من « الله » دلت على التسوية بين الاسمين من الناحية التي توهمها اليهود بـــأن له الاسماء الحسنى التي منها هذان الاسمان لا تغاير بينهما لأنها جميعاً يدلان على الحسن والجمال الثابت له تعالى (١) . وهنا وجـه ثالث وهو أن لفظ « الرحمن » كان يسمى بـه مُسيلمة ، وقول بني حنيفة فيه انه رحمن اليمامة وراح شاعرهم يقول :

سموت بالمجـد يا ابن الأكرمين أباً   وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

وهو جرأة بتسمية مخلوق باسمه خالقه وكفر بين (٢) .

وقـد شيب الأذهان الكافر وقت ذاك فدفعاً لها عن البطلان آذنت الآية بأنه اسم له تعالى على حدّ اسم الله وباقي أسمائه الحسنى .

وكونه اسماً علمياً له تعالى على حد لفظ الجلالة يتجلى بوضوح عند الانفراد تماماً ، قال تعالى : « الرحمن علم القرآن » (٣). « الرحمن على العرش استوى » (٤) « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً » (٥) . « وعبـاد الرحمن الذين يمشون » (٦) . وباقي المواضع تجد بها الدلالة الكاملة على الذات المقدسة كدلالة الجلالة التي تعطى العلمية جلياً بدون خفاء ، وأمـا عند الانضمام إلى « الله » في غير آية التسوية مثل «بسم الله الرحمن الرحيم» أو إلى «الرحيم» في غير البسملات مثل قوله تعالى « تنزيل من الرحمن الرحيم » (٧) . « هو الرحمن الرحيم » (٨) .

---

(١) تفسير الآلوسي ١٥/١٧٧ .
(٢) المصدر ١/٥٦ .
(٣) الرحمن : ١ .
(٤) طه : ٥ .
(٥) الزخرف : ٣٦ .
(٦) الفرقان : ٦٣ .
(٧) فصلت : ٢ .
(٨) الحشر : ٢٢ .

فإن الغالب على لفظ « الرحمن » الوصفية دون العلمية على ما ذكرناه آنفاً، وإنما كررنا تطبيقاً الآيات فتدبر ذلك .

هذا كله بالنسبة إلى لفظ « الرحمن » في موضع العلمية أو الوصف بانضمامه إلى اسم آخر أو انفراده ، ولا يخلو حـال انفراده من الاشعار بالوصف أيضاً ، وما يقال ان العلمية لا تجتمع مع الوصف،إنما هو فيغيره تعالى من فقد الاوصاف الجميلة مرة والاتصاف بها أخرى اتصافاً عارضياً لا الوصف الإلهي الذاتي الذي لا يتصور هنالك زوال وفقدان ، وأمـا اسم « الرحيم » ففي المواضع كلها هو الوصف الذاتي له تعالى تجده إذا تلوت الآيات التي فيها الاسم المبارك ، ولم يوجد موضع من القرآن ذكره منفرداً دون الانضمام إلى اسم الرب أو اسم الغفور أو الودود كبقية أسمائه الحسنى المنضم بعضها إلى بعض مثل قوله: «ما غرك بربك الكريم »[1] فهو كمثل آيـة : « إن الله غفور رحيم »[2] . « وان ربك لهو العزيز الرحيم »[3] . « بـلدة طيبة ورب غفور »[4] . والآيات متماثلة في الجهة الوصفية والدلالة عليه تعالى بالانضمام إلا في صورة النداء أو الاستغاثة أو اليمين أو غيرها ممـا له الانطباق الذاتي عليه تعالى كقولك : « يا رب » « يا رحيم » « اقسم بربي » وغير ذلك . وهذا التحليل إنمـا هو من باب ظهور الاسماء والأوصاف ، وأمـا التحقيق الواقعي وبالذات فالكل ينتهي إليه تعالى لا يبقى لأحدٍ من جمـال ونوع حسن إلا ويرجع إلى الله وحده ، وللبحث صلة والعرض بهذا المقدار كاف .

ونحن لم نذكر الآيات التي بها اسم « الرحمن الرحيم » كلها خوفاً من الاطالة أما الدلالة على الفرق بين الأسمين الشريفين فلعله من الواضحات : إذ لولا أن اسم « الرحمن » علـماً كما دلت عليه آية التسوية ، كدلالة « الله » على الذات الجامعة

---

(١) الانفطار : ٦ .
(٢) النور : ٦٢ .
(٣) الشعراء : ٩ .
(٤) سبأ : ١٥ .

لصفات الكمال وأفعاله الجميلة ، لما انفك عن القرائن ولمـا دل حال الانفراد على ذات الباريء تعالى ، وأما لفظ « الرحيم » فيدل عليه تعالى تماماً بالتحليل العقلي وبالانضمام أو النداء أو الاستغاثة أو لام العهد أو الإضافة وغيرهـا من أسباب .
ومن هنا جاء الفرق بـين الاسمين لأن اسم العلم ، وإن كان من باب الغلبة كلفظ « الرحمن » دال على الذات الالهية الجامعة لكل رحمة بما لها من مفهوم ومصداق ولسائر النعوت الكمالية ، وأما لفظ « الرحيم » فله الدلالة الوصيفة الصرفة إلا أن يكنى به عن ذات الباريء تعالى وهــذه الجهة لا تختص به ، بل تعم جميع الأسماء الحسنى ، فإن المسمى بها الله تعالى لا سواه فتكون الدلالة على الذات من كل الجهات دون جهة وجهة التي جاءت من قبل المباديء الوصفية .

ومما يرشدك إلى الفرق المذكور أنك لا تجد في القرآن في موضع منه جيء باسم (الرحمن) لسواه تعالى ، بل في كل مواضع استعماله عني به نفسه المتعالية ، وأما اسم (الرحيم) . فقد وصف به رسوله الأكرم ﷺ ، قـال تعالى : (حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) [1] . ووصف به المؤمنين أيضاً في موضع قال جلّ جلاله : (رحماء بينهم) [2] . وهو جمع رحيم كشرفاء جمع شريف . فجاز توصيف سواه به ، وكذا تسميته دون اسم (الرحمن) فإنه لا يجوز التسمية لغير الله تعالى، وهذا مستفاد من نفس آيات ذكر فيها الاسمان ونطقت الروايات بذلك أيضاً كما تأتي الاشارة إليها .

وقيل : الفرق بينهما هي ان هيئة (فعلان) دالة على عموم الفعـل وهيئة (فعيل) تـدل على ان المبدأ فيها من الغرائز والسجايا غير المنفكة عن الذات وقيل بفروق أخر تمرّ بعد ذكر الروايات ، فليكن الفرق المستفاد من الآيات على البال وهو الذي تسكن إليه النفس لولا الدليل على خلافه .

---

(١) التوبة : ١٢٨ . (٢) الفتح : ٢٩ .

الثاني : الروايات

١ – عن الصدوق بإسناده إلى الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام في رواية عنه .. الرحمن : الذي يرحم ببسط الرزق علينا، الرحيم بنا في أدياننا ودنيانا وآخرتنا وخفف علينا الدين وجعله سهلاً خفيفاً وهو يرحمنا بتمييزنا من أعدائه [١] .

٢ – في رواية ثانية عنه عليه السلام في تفسير الرحمن: العاطف على خلقه في الرزق لا يقطع عنهم مواد رزقه وإن انقطعوا عن طاعته [٢] .

٣ – في صحيح عبدالله بن سنان .. والله إله كل شيء ، الرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة [٣] .

٤ – في رواية صفوان بن يحيى إلى أبي عبدالله عليه السلام إلى أن قال : قلت الرحمن قال : بجميع العالم ، قلت : الرحيم قال بالمؤمنين [٤] .

٥ – في تفسير الإمام عليه السلام .. الرحيم بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم طاعاته وبعباده الكافرين في الرزق وفي دعائهم إلى موافقته [٥] .

٦ – وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال : الرحمن اسم خاص بصفة عامة ، والرحيم اسم عام بصفة خاصة [٦] .

٧ – قال الطبرسي : روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله ان عيسى بن مريم قال : الرحمن رحمن الدنيا ، والرحيم رحيم الآخرة [٧] .

---

(١) التوحيد : ٢٣٢ .
(٢) الصافي ١/٥١ .
(٣) التوحيد : ٢٣٠ ،
(٤) التوحيد : ٢٣٠ .
(٥) الصافي ١/٥١ .
(٦) نور الثقلين ١/١٢ . الصافي ١/٥١ .
(٧) تفسير نور الثقلين ١/١٢ .

٨ – عن عيون الأخبار بإسناده عن الرضا عليه السلام أنه قال في دعائه : « يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما صلّ على محمد وآل محمد » [١] .

٩ – عن الصحيفة السجادية : « يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما » [٢] .

١٠ – في نهج البلاغة : رحيم لا يوصف بالرقة [٣] .

بعد سرد طائفة من روايات المقام علينا أن نعرف منها الفرق بين الاسمين الشريفين : هل أن « الرحمن » دال على عموم الرحمة و « الرحيم » دال على خصوصها من ناحية هيئة « فعلان » و « فعيل » أو من جهة الدليل العقلي الذي كشفت عنه روايات الباب بأن عمومية رحمانيته تعالى للخلق برهم وفاجرهم وزيادتها للمؤمنين دون الكافرين لسبقهم بالإيمان بالله تعالى المستلزم لتلك الزيادة، إنما هي لحكم العقل بمقتضى العدل والحكمة وعموم كرمه أو الفرق بينهما بالفعل والصفة المدلول على الأول بهيئة « الرحمن » وعلى الثانية بالثانية لتكون الدلالة على العموم والخصوص دلالة لفظية لقواعد الأدب الدالة على كونهما صفتين مشبهتين بنيتا لإفادة المبالغة بعد، فقل « رحم » مكسور العين إلى « رحم » مضمومها وجعل الفعل المتعدى لازماً ، وهذا مطرد في باب المدح والذم على ما هو المشهود وعليه فالعموم جاء من ناحية وضعها ، وهذا احتمال ثالث أي كونهما صفتين مشبهتين ، والاحتمال الثاني كون صيغة « فعلان » تدل على وصف فعلي فيه معنى المبالغة الذي جاء منه عموم الرحمة وهو في استعمال اللغة للصفة غير الذاتية كعطشان وغضبان وكون صيغة « فعيل » للمعاني الثابتة من السجايا والخلقية كعليم وجميل وحليم. وعليه فلفظ « الرحمن » دال على من يفعل الرحمة فعلاً عاماً من إفاضة جلائل النعم من خلق ورزق وما به قوام العالم و « الرحيم » دال على منشأ هذه الإفاضة العامة كما دلّ على أنه صفة ذاتية ثابتة ، وعليه يكون الفرق

---

(١) نور الثقلين ١٢/١ .

(٢) تفسير المحقق الاصبهاني ١١٤ .

(٣) نور الثقلين ١١/١ .

واضحاً والرحمانية فعل صادر عن صفته الرحمية التي هي بمنزلة العـلة للفعل ، ولا بـد من ذكر الثاني وانضمامه بالأول للتدليل على أن هذه الانعامات دائمية عامة لعامة العالم.لأن منشأها صفة دائمية ثابتة ومقتضى ثبوت العلة ثبوت المعلول وبدوامها دوامه . ويرد عليه أنه لا بدّ من انضمام دائمي ليدل تلك الصفة الثابتة على عموم الانعام الثابت وإلا لاحتمل الانقطاع ، وقـد تقدم ان (الرحيم) و (الرحمن) جاءا منفردين ومنضمين في القرآن .

والذي تدل عليه الروايات المتقدمة :

كونهما صفة لله تعالى والفرق في جواز التسمية وعدمـه كما في رواية الصادق عليه السلام (الرحمن) صفة عامة واسم خاص و (الرحيم) اسم عـام وصفة خاصة فالقول بأنهما صفتان مشبهتان يشبه أن يكون حقاً،وهنا احتمال آخر بأن يكون (الرحمن) صفة خاصة له تعالى ولأجلها لم يجز التسمية به لدلالته ، على أن صدور مثل هذه الآثار الهامة والانعامات العامة وهي لا تكون إلا من الله دون غـيره بخلاف (الرحيم) فإنه لفظ يدل على فعل يمكن صدوره من غـيره تعالى ، ومن هنا جاز التسمية به وقد وصف رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم [1] والمؤمنين في القرآن كما تقدم [2] .

وهذا الاحتمال ليس ببعيد من الروايات وإن كان في النفس منه شيء .

وفي المقام بحث متسع الجوانب والموجز منه ان أسماء الله تعالى أقسام : منها اسم للذات المتعالية وعلماً كلفظ الجلالة ، و (الرحمن) على ما تقدمت الإشارة إليه . ومنها : ما هو اسم لأفعال الله تعالى كالخالق والمحيي والمميت والمريد على مذهب أهل البيت (ع) خلافاً لجمع من الحكماء والمتكلمين القائلين بأن الارادة من صفات الذات المقدسة مع تصريح النص الصحيح : إنما إرادته تعالى فعله [3] .

---

(١) التوبة : ١٢٨ . (٢) الفتح : ٢٩ .

(٣) التوحيد : ١٤٧ .

ومنها : مـا هو اسم صفة كالقادر والسميع والعليم والحي وغيرها فلله تعالى أسماء دالة على ذاته المقدسة ، وأسماء دالة على أفعاله ، وأسماء دالة على صفاتـه تعالى [١] .

(والرحمن والرحيم) من الأسماء الدالة على الرحمة وهي صفته تعالى التي يراد بهـا آثارها من أنواع الانعامات من باب (خذ الغايات واترك المبادىء) [٢] . فإن مبدأها الانفعال المحال عليه تعالى من رقة القلب وانكساره الموجب للعطف على من انكسر عليه .

ثم إن الروايات دلت على ثبوت الفرق بين الاسمين من عمومية الرحمة المدلول عليها بالرحمانية ، وخصوصية الرحمة المدلول عليها بالرحيمية . وعليـه تنتفي التسوية بينهما فلا مجال للاحتمال بأن أحدهما تأكيد للآخر فتدبر جيداً .

الثالث : كلمات المفسرين

نجد في كتب التفسير أو الحديث تفسير الاسمين الشريفين، ونجد نوع اضطرب فيه من الفريقين من الشيعة والسنة ، نقتصر على نقل بعض الكلمات :

قـال الشيخ الصدوق : (الرحمن) معناه الواسع الرحمة على عباده يعمهم بالرزق، والانعام عليهم. ويقال: هو اسم من أسماء الله تبارك وتعالى في الكتب لا سمي له فيه . ويقال للرجل رحيم القلب ولا يقال : الرحمن لأن الرحمن يقدر

---

(١) قال زميلنا الشيخ المعزي دام عزه : على القول بأن الصفات عين الذات لا مجال للتفريق بين الأسماء .

أقول : التفريق إنما هو بين المفاهيم لا في العين ومرحلة الذات وهو واضح .

(٢) هذا مثل سائر على ألسن العلماء من الفقهاء والحكماء والأصل فيه الأمر العقلي .

على كشف البلوى ولا يقدر الرحيم من خلقه على ذلك، وقد جوّز قوم أن يقال للرجل رحمن وأرادوا به الغاية في الرحمة ، وهـذا خطأ والرحمن هو لجميع العالم والرحيم بالمؤمنين .

(الرحيم) : معناه أنه رحيم بالمؤمنين يخصهم في عاقبة أمرهم كما قـال الله عز وجل : (وكان بالمؤمنين رحيماً) [١] .

(والرحمن والرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة على وزن (ندمان) و (نديم). ومعنى الرحمة : النعمة والراحم المنعم كما قال الله عز وجل لرسوله ﷺ : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [٢] يعني نعمة عليهم .

ويقال للقرآن هـدى ورحمة ، وللغيث رحمة يعني نعمة ، وليس معنى الرحمة الرقة لأن الرقة عن الله عز وجل منفية. وإنما سمي رقيق القلب من الناس رحيماً لكثرة ما توجد الرحمة منه. ويقال : (ما أقرب رحم فلان) إذا كان ذا مرحمة وبر ، والمرحمة الرحمة ويقال : رحمته مرحمة ورحمة [٣] .

وظاهره جعل الفرق بين الاسمين المباركين نفس الفرق فيالروايات منعمومية الرحمة وخصوصيتها ، وعـدم جواز التسمية (الرحمن) لغيره تعالى لا من جهة دلالة هيئة (الرحمن) على الفعل وهيئة (الرحيم) على الصفة ، بـــل هما عنده صفتان كوزن (ندمان ونديم) وهما كأنه من الصفات الثابتة، إذ لا يقال لشخص نديم لفلان إلا إذا دامت صحبته وثبتت وما ذكره عبارة أخرى لما قدمناه .

وربما يتوهم من تمثيل وزن (ندمان ونديم) التسوية بـــين الاسمين وتأكيد أحدهما للآخر بدون معنى زائد بين (الرحمن الرحيم) فإنه وهم إذ التنظير ناظر إلى جهة الوصفية ، وعليه فلا تأكيد ولا تكرار .

قال الشيخ الطوسي : (الرحمن الرحيم) هما مشتقان من الرحمة وهي النعمة

---

(١) الأحزاب : ٤٣ .　　(٢) الأنبياء : ١٠٧ .　　(٣) التوحيد : ٢٠٣ .

التي يستحق بها العبادة وهما موضوعان للمبالغة، وفي رحمن خاصة مبالغة يختص الله بها ، وقيل إن تلك المزية من حيث فعل النعمة التي يستحق بهـــا العبادة لا يشاركه في هذا المعنى سواه . وقيل في معنى (الرحيم) لا يكلف عباده جميع ما يطيقونه ، فإن الملك لا يوصف بأنه رحيم إذا كلف عبيده جميع مـــا يطيقونه ذكره أبو الليث . وإنمـــا قدم الرحمن على الرحيم لأن وصفه بالرحمن بمنزلة اسم العلم من حيث لا يوصف بـــه إلا الله تعالى فصار بذلك كاسم العلم في أنه يجب تقديمه على صفته ، وورد الأثر بذلك روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ ان عيسى بن مريم قال : (الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الآخرة) [١] .

وروي عن بعض التابعين أنه قال: (الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين خاصة) [٢] . ووجه عموم الرحمن بجميع الخلق هو إنشاؤه إياهم وجعلهم أحياء قادرين وخلقه فيهم الشهوات وتمكينهم من المشتهيات وتعريضهم بالتكليف لعظيم الثواب .

ووجه خصوص الرحيم بالمؤمنين فعل الله تعالى بهم في الدنيا من الألطاف التي لم يفعلها بالكفار وما يفعله بهم في الآخرة من عظيم الثواب فهذا وجه الاختصاص.

وحكي عن أبي عبيدة أنه قـــال : رحمن ذو الرحمة ورحيم معناه أنه راحم وكرر لضرب من التأكيد كما قالوا : ندمان ونديم، وإنما قدم اسم الله لأنه الاسم الذي يختص بـــه من يحق له العبادة ، وذكر بعده الصفة ولأجل ذلك أعرب بإعرابه وبدأ بالرحمن لما بينا أن فيه المبالغة .

وما روي عن ابن عباس من (أنهما اسمان رقيقان أحدهمـــا أرق من الآخر ، فالرحمن : الرقيق والرحيم العطف على عباده بالرزق) [٣]. محمول على أنه يعود

---

(١) تقدم تحت الرقم ٧ . (٢) تقدم تحت الرقم ٤ من الروايات .

(٣) الدر المنثور ٩٠/١ تفسير الطبري ٤٤/١ .

عليهم بالفضل بعد الفضل وبالنعمة بعد النعمة لأنه تعالى لا يوصف برقة القلب . ودلت هـذه الآية على التوحيد لأن وصفه بالرحمن يقتضي مبالغة في الوصف بالرحمة على وجه يعم جميع الخلق، وذلك لا يقدر عليها غير الله القادر لنفسه[1] وذلك لا يكون إلا واحداً ولأن وصفه بالإلهية يفيد أنه يحق له العبادة ، وذلك لا يكون إلا للقادر للنفس وهي تدل على العدل لأن وصفه بالرحمة التي وسعت كل شيء يعم كل محتاج إلى الرحمة من مؤمن وكافر وطفل وبالغ من كل حي ، وذلك يبطل قول المجبرة الذين قالوا : ليس لله على الكافر نعمة ولأنها صفة مدح تنافي وصفه بأنه يخلق الكفر في الكافر ثم يعذّبه عليه لأن هذا صفة ذم [2] .

ولا يخفى ما في كلامه أخيراً ولردّ مذهب الجبر محل آخر ، ونحن إنما سردنا ألفاظه لعلك تفهم منها ما لا أفهمه تجد بهـا استدلالاً يسيل جمالاً إذ ما من شيء إلا وله مقتضيات عقلية لا تخفي على من له إلمـام بالمعاني وأساليب الكلام ومواد اللغات ، لأن الرحمة على ما لهـا من تفسير بإحسان أو نعمة أو غيرها بطبعها لا تلائم المنافرات وإلا لكانت نقمة بدل أن تكون رحمة إلا من باب « عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » [3] . فإذا كان في القول بمادته ما يدل على الرحمة وبهيئته الخاصة على سعتها المنطلقة ويتكررها على تنوعها ، فهل يبقى مجال لتوهم ما ينافيها كلا ثم كلا فليتحكم الكل عقله ثم ليقل مـا شاء فلو كان المراد منها ، التوصيف بالرحمة فحسب لقال : « بسم الله الراحم » ونجده أنه تعالى لم يكتف بهـذه الدلالات دون أن خص نفسه المتعالية باسم الرحمن في مواضع كثيرة من القرآن كما خصها باسم الله وهما سيان في كونهما اسم علم كما تقدم بيانه. قال تعالى:

---

(١) يريد القدرة الذاتية .

(٢) التبيان ١/١١ – ١٢ .

(٣) البقرة : ٢١٦ .

« الرحمن علم القرآن » [١] . « الرحمن على العرش استوى » [٢]. « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً» [٣]. على حد قول: «ما غرّك بربك الكريم»[٤]. أي من كان رحماناً وكريماً لا ينبغي الإعراض عنه ولا الاغترار إياه .

وقد ورد « ان لله عز وجل مائة رحمة أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسّمها بين خلقه ، فبها يتعاطفون ويتراحمون وأخّر تسعاً وتسعين لنفسه يرحم بهـــا عباده يوم القيامة » [٥]. وروي « ان الله قابض هذه إلى تلك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيامة » [٦] .

وكل ما ورد إنما هو أمر تقريبي ، فـإن ما لا نهاية له لا يحده عدد وصفات الله تعالى عين ذاته التي لا يحيط بهـا إلا هو ومن أعظم الرحمة هو رسول الامة والأئمة الطاهرون عليهم آلاف التحيات ، وإلى هذه الرحمة تنتظر الآية : «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » [٧] . « حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » [٨] . وفي الزيارات والأدعية المأثورة عنهم (ع) أنهم أبواب الرحمة للامة .

وأما ما ذكره مندلالة التوصيف بالرحمن الرحيم على التوحيد لأجل عمومية الرحمة لجميع الخلق التي لا يقدر عليها أحـــد ، فهو كذلك إذ انحصار العموم يكشف ان لا راحم غير الله تعالى كما أنه يكشف أنه لا يستحق العبادة إلا الله بنفس عمومية الرحمة أيضاً ، ولعـل التوصيف في البسملة بالرحمن الرحيم نفسه المتعالية لترغيب البدأ به وأنه لا يسوغ إلا باسمه المبارك لأنه الرحمن الرحيم ولا الاستعانة إلا منه تعـــالى لنفس التعليل ، فالبسملة دالة على توحيده في الرزق

---

(١) الرحمن : ١ — ٢ .
(٢) طه : ٥.
(٣) الزخرف : ٣٦ .
(٤) الانفطار : ٦ .
(٥) تفسير الصافي ١/٥١ .
(٦) المصدر ١/٥١ .
(٧) الأنبياء : ١٠٧ .
(٨) التوبة : ١٢٨ .

والعبادة والاستعانة به فضلاً عن الدلالة على الذات المقدسة .

ومن المفسرين من قال : الرحمن والرحيم مشتقان من الرحمة وهي معنى يلم بالقلب فيبعث صاحبه ويحمله على الإحسان إلى غـــيره وهو محال على الله تعالى بالمعنى المعروف عند البشر لأنه في البشر ألم في النفس [1] شفاؤه الإحسان .

والله تعالى منزّه عن الآلام والانفعالات ، فالمعنى المقصود بالنسبة إليه من الرحمة أثرها وهو الإحسان ، وقد مشى الجلال في تفسيره وتبعه الصبان : على أن « الرحمن الرحيم » بمعنى واحد وأن الثاني تأكيد للأول .

ومن العجيب أن يصدر مثل القول عن عالم مسلم وما هي إلا غفلة نسأل الله أن يسامح صاحبها . قـــال : وأنا لا أجيز أن يقول في نفسه أو بلسانه أن في القرآن كلمة تغاير اخرى ثم تأتي لمجرّد تأكيد غيرها بدون أن يكون لها في نفسها معنى تستقل به ، نعم قد يكون في معنى الكلمة ما يزيد معنى الاخرى تقريراً أو إيضاحاً ، ولكن الذي هو أن يكون معنى الكلمة هو عــين معنى بالمترادف في عرف أهل اللغة ، فـإن ذلك لا يقع إلا في كلام من يرمي في لفظه إلى مجرّد التنميق والترويق .

وفي طرق للتأكيد ليس هـــذا منها . وأما ما يسمونه بالحرف الزائد الذي يأتي للتأكيد فهو حرف وضع لذلك ، ومعناه هو التأكيد وليس معناه معنى الكلمة التي يؤكدها ، فالباء في قوله تعالى : « وكفى بالله شهيداً » [2] . تؤكد معنى اتصال الكفاية بجانب الله جلّ شأنه بذاتهـــا ومعناها الذي وضعت له ومعنى وصفها بالزيادة أنها كذلك في الاعراب وكذلك معنى « من » في قوله : « وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله » [3] .

---

(١) يريد به معنى الرحمة لأنها في اللغة : الانكسار وهو لا يكون إلا ألماً .

(٢) الفتح : ٢٨ .　　　(٣) البقرة : ١٠٢ .

أما التكرار للتأكيد أو التقريع أو التهويل فأمر سائغ في أبلغ الكلام عند ما يظهر ذلك القصد منه كتكرر جملة : « فبأي آلاء ربكما تكذبان »[1] . ونحوها عقب ذكر كل نعمة وهي عند التأمل ليست مكررة، فإن معناها عند ذكر كل نعمة : أفبهذه النعمة تكذبان، وهكذا كل ما جاء في القرآن على هذا النحو.

والجمهور على أن معنى « الرحمن » : المنعم بجلائل النعم، ومعنى «الرحيم»: المنعم بدقائقها ، وبعضهم يقول : ان « الرحمن » هو المنعم بنعم عامة تشمل الكافرين مع غيرهم و (الرحيم) هو المنعم بالنعم الخاصة بالمؤمنين . وكل هذا تحكم في اللغة مبني على ان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . ولكن الزيادة تدل على زيادة الوصف مطلقاً . فصفة الرحمن تدل على كثرة الاحسان الذي يعطيه سواء كان جليلا أو دقيقاً . وأما كون أفراد الاحسان التي يدل عليها اللفظ الأكثر حروفاً أعظم من أفراد الاحسان التي يدل عليها اللفظ الأقل حروفاً فهو غير معنى ولا مراد .

وقد قارب من قال : ان معنى (الرحمن) المحسن بالاحسان العام، ولكنه أخطأ في تخصيص مدلول (الرحيم) بالمؤمنين ولعل الذي حمل من قال : ان الثاني مؤكد للأول على قوله هذا هو عدم الاقتناع مما قالوه من التفرقة مع عدم التفطن لما هو أحسن منه .

قال الاستاذ والذي أقول : ان صيغة (فعلان) تدل على وصف فعلي فيه معنى المبالغة كـ (فعال) وهو في استعمال اللغة للصفات العارضة كـ (عطشان) و (غرثان) و (غضبان) . وأما صيغة (فعيل) فإنها تدل في الاستعمال على المعاني الثابتة كالأخلاق والسجايا في الناس كـ (عليم) و (حكيم) و (حليم)

---

(١) الرحمن : ١٣ و١٦ و١٨ و٢٣ و٢٥ و٢٨ و٣٠ و٣٢ و٣٤ و٣٦ و٣٨ و٤٠ و٤٢ و٤٥ و٤٧ و٥٠ و٥٣ و٥٥ و٥٧ و٥٩ و٦١ و٦٣ و٦٥ و٦٧ و٦٩ و٧١ و٧٣ و٧٥ و٧٧ .

و (جميل) . والقرآن لا يخرج عن الاسلوب العربي البليغ في الحكاية عن صفات الله عز وجل التي تعلو عن مماثلة صفات المخلوقين. فلفظ (الرحمن) يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل وهي إفاضة النعم والإحسان ولفظ (الرحيم) يدل على منشأ هذه الرحمة والاحسان ، وعلى أنها من الصفات الثابتة الواجبة . وبهذا المعنى لا يستغني بأحد الوصفين عن الآخر ولا يكون الثاني مؤكداً للأول.

فإذا سمع العربي وصف الله جلّ ثناؤه بـ (الرحمن) وفهم منه أنه المفيض للنعم فعلاً لا يعتقد منه أن الرحمة من الصفات الواجبة له دائماً لأن الفعل قد ينقطع إذا لم يكن عن صفة لازمة ثابتة ، وإن كان كثيراً فعندما يسمع لفظ : (الرحيم) يكمل اعتقاده على الوجه الذي يليق بالله تعالى ويرضيه سبحانه ويعلم ان لله صفة ثابتة هي الرحمة التي عنها يكون أثرها ، وإن كانت تلك الصفة على غير مثال صفات المخلوقين ويكون ذكرها بعد (الرحمن) كذكر الدليل بعد المدلول ليقوم برهاناً عليه .

أقول : قد سبق ابن القيم إلى مثل هذه التفرقة ، ولكنه عكس في دلالة الأسمين الكريمين قال : وأما الجمع بين (الرحمن) و (الرحيم) ففيه معنى بديع وهو ان (الرحمن) دال على الصفة القائمة به سبحانه و (الرحيم) دال على تعلقها بالمرحوم ، وكان الأول الوصف . والثاني الفعل ، فالأول دال على أن الرحمة صفته أي صفة ذات له سبحانه. والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته أي صفة فعل له سبحانه . فإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى : (وكان بالمؤمنين رحيماً) [1] . (إنه بهم رحيم) [2] . ولم يجيء قط (رحمن بهم) . فعلمت ان (رحمن) هو الموصوف بالرحمة و (رحيم) هو الراحم برحمته .

---

(١) الأحزاب : ٤٣ .

(٢) الآية هكذا : « إنه بهم رؤوف رحيم » التوبة : ١١٧ . فالنسخة : إما مغلوطة أو هو سهو من القائل .

هذه النكتة لا تكاد تجدها في كتاب ، وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم تبخل لك صورتها .

وقال في كتاب آخر عند ذكر الاسمين الكريمين : وكرر أذاناً أي إعلاماً بثبوت الوصف وحصول أثره وتعلقه بمتعلقاته فـ (الرحمن) الذي الرحمة وصفه و (الرحيم) : الراحم لعباده ، ولهذا يقول تعالى : (وكان بالمؤمنين رحيماً) [1] (انه بهم رؤوف رحيم) [2] . ولم يجيء رحمن بعباده ولا رحمن بالمؤمنين مع ما في اسم (الرحمن) الذي هو على وزن (فعلان) من سعة هذا الوصف وثبوت جميع معناه للموصوف بـه ألا ترى أنهم يقولون : (غضبان) للممتلىء غضباً . و (ندمان) و (حيران) و (سكران) و (لهفان) . لمن مليء بذلك فبناء (فعلان) للسعة والشمول .

أقول : ان هذه الأمثلة تؤيد ما قاله الاستاذ من ان (فعلان) تدل على الصفة العارضة ولا تدل على الدائمة فاحتيج إلى صيغة أخرى تـدل على الصفة الثابتة الدائمة وهي : (فعيل) فهذا أقوى ما قيل في نكتة الجمع بين الاسمين الكريمين بالصيغتين ، ويليه دلالة أحدهما على الرحمة بالقوة ، والآخر دلالة عليها بالفعل وهذا معنى آخر ألمّ به هذان الامامان ، ولكن ابن القيم جعل لفظ (الرحيم) هو الدال على الرحمة بالفعل بدليل الآيتين اللتين أوردهما ، ولفظ (الرحمن) هو الدال عليها بالقوة لعدم تعلق مثل ذلك الظرف به وهو قوي . وعكس محمد عبده وجعل ذلك من مدلول الصيغة باللزوم [3] .

أقول : قوله: تحكم في اللغة تدفعه روايات أهل البيت (ع) المروية من طرق أصحابنا [4] . ولازمها الكشف عن صحة تفسير الاسمين بذلك لغة ، أما كون

---

(١) الأحزاب : ٤٣ .
(٢) التوبة : ١١٧ .
(٣) تفسير المنار ١/٤٦ – ٤٩ .
(٤) انظر روايات الاسمين ثاني الامور فيهما .

(الرحمن) اسم فعـــل . و (الرحيم) اسم صفة أو بالعكس فهو شيء مؤيد ببعض ما تقدم مضافاً إلى ذلك كله مساعدة الاعتبار العرفي والعقلي حيث انـه تعالى بصدد تعريف نفسه المقدسة وأذان من الله إلى الناس بـــأن صفته الرحمة الثابتة التي لا زوال لها وأنه تعالى بالفعل تصدر منه آثار الرحمة على شكل لن ينقطع أبداً ، وهذان المعنيان أي صفة الرحمة الدائمة وصدور آثارها كذلك لا بدّ من دلالة اسمين عليهما هما (الرحمن الرحيم) .

المقصد الثامن

الابتداء بالبسملة وأسرارها



أول من بدأ بالبسملة المباركة هو الله جلّ جلاله، إما لكونه تعالى هو الأول بلا أول لأوليته ، أو لأنه الاولى في تنعيت ذاته المقدسة بالجمال والجلال من سواه إذ لا يعلم ما هو إلا هو ، ومن هنا قال رسوله الأكرم ﷺ : « لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت به على نفسك »[1] .

أو لأنه شاء تعالى أن يعلم خلقه عند ابتداء أمورهم أن يمجدوه ويثنوا عليه على ما أنعم عليهم من النعم الجسام من نعمة الخلق والحياة والقدرة والعلم لولاها لما تأتّى أمر من أمور يرومون الشروع فيه .

أو أراد تعالى إرشادهم إلى أن يبدأوا بما بدأ الله كما جاء في الحديث النبوي : « إبدأوا بما بدأ الله »[2] . وقد بدأ الله تعالى بنفسه المتعالية ، فلا بدّ للعباد أن يبدأوا به بالثناء عليه والتمجيد والتنعيت ، ولتكن الصيغة التي ينعت بها أن يقولوا : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

أو لو لم يذكروا الله جلّ جلاله في كل شيء من أمورهم لما بوركت ولكانت أبتر على ما نصت النصوص[3] . أو لما في الروايات : أن البسملة افتتح بها كل كتاب منزل من السماء منها الحديث المتقدم تحت الرقم ٣٣ : « عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال : لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال رسول الله ﷺ : « أول

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١/١٢٠ . (٢) الوسائل ٩/٥٢٢ .

(٣) الوسائل ٤/١١٩٤ .

ما أنزلت هـــذه الآية على آدم قال : أمن ذريتي من العذاب ما داموا قرأتها ثم رفعت فانزلت على ابراهيم عليه السلام » . وخبر صفوان عن الصادق عليه السلام : « ما نزل كتاب من السماء إلا وأوله بسم الله الرحمن الرحيم »[1] .

ولبعض ما يلي : اختلف العلماء هل هي من خواص هـذه الامة أم لا فنقل العلامة أبو بكر التونسي إجماع علماء كل ملة على ان الله تعالى افتتح كل كتاب بها وروى السيوطي فيما نقله عنه السرميني والعهدة عليه « بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة كل كتاب » .

وذهب هذا الراوي إلى أن البسملة من الخصوصيات لما روى أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يكتب « باسمك اللهم » إلى أن نزل : « بسم الله مجراها »[2] فأمر بكتابة « بسم الله » حتى نزل : « قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن »[3] . فأمر بكتابة : « بسم الله الرحمن » إلى أن نزلت آية النمل فأمر بكتابة : « بسم الله الرحمن الرحيم » . ولما اشتهر أن معاني الكتب في القرآن ومعانيه في الفاتحة ومعانيها في البسملة ومعاني البسملة في الباء ، فلو كانت في الكتب القديمة لأمر من أول الأمر بكتابتها ، ولكانت معاني القرآن في كل كتاب واللازم منتف فكذا الملزوم .

وفيه : ان الأمر بذلك التفصيل لا يستلزم النفي لاحتمال نفي العلم إذ ذاك ولا ضير ، وان المختص بالقرآن اللفظ العربي بهـــذا الترتيب والكتب السماوية بأسرها خلافاً للقبطي غير عربية وما في القرآن منها مترجم ، فلربما لهذه الألفاظ مدخل في الاشتمال على جميع المعاني فلا تكون في غير القرآن كما توهمه السرميني ، وإن كان هناك بسملة على أن أول الدليلين بظاهره دليلاً على عدم الخصوصية[4].

أقول : حديث نزول البسملة التدريجي فيه ما لا يخفى ، وروي أنها لم تنزل

---

(١) الوسائل ٧٤٧/٤ .

(٢) هود : ٤١ .

(٣) الاسراء : ١١ .

(٤) تفسير روح المعاني ٣٧/١ .

على أحد بعد سليمان غير النبي صلى الله عليه وآله .

روى الثعلبي بإسناده عن أبي بردة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ألا أخبرك بآية لم تنزل على أحد بعد سليمان بن داود غيري ، فقلت : بلى ، قال: بأي شيء تستفتح القرآن إذا افتتحت الصلاة فقلت : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : هي هي [1] .

ولكن تقدم آنفاً التصريح في خبر صفوان وغيره بأنه : « ما نزل كتاب من السماء إلا وفاتحته بسم الله الرحمن الرحيم » [2] . والصادقي أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله بسم الله .. اقرأ باسم [3] . وكيف كان فهي من أعظم آية يبتدأ بها من القرآن . قال صاحب تفسير المنار : مثل هذا التعبير مألوف عند جميع الامم ومنهم العرب وهو ان الواحد منهم إذا أراد أن يفعل أمراً ما لأجل أمير أو عظيم بحيث يكون متجرّداً من نسبته إليه ومنسلخاً عنه يقول : أعمله باسم فلان ويذكر اسم ذلك الأمير أو السلطان لأن اسم الشيء دليل وعنوان عليه ، فإذا كنت أعمل عملاً لا يكون له وجود ولا أثر لولا السلطان الذي به أمر .

أقول : ان عملي هذا باسم السلطان أي أنه معنون باسمه ولولاه لما عملته . فمعنى ابتدىء عملي « بسم الله الرحمن الرحيم » :

إنني أعمله بأمره وله لا لي ولا أعمله باسمي مستقلاً به على أنني فلان فكأني أقول ان هذا العمل لله لا لحظ نفسي . وفيه وجه آخر وهو أن القدرة التي أنشأت بها العمل هي من الله تعالى ، فلولا ما منحني منها لم أعمل شيئاً فلم يصدر عني هذا العمل إلا باسم الله ولم يكن باسمي إذ لولا ما آتاني من القوة عليه لم

---

(١) تفسير روح المعاني ١/٣٨ .

(٢) جامع الأحاديث ٢/٢٧٧ باب ٣ من القراءة .

(٣) تفسير البرهان ١/٢٩ .

أستطع أن آتيه ، وقد تم هــذا المعنى بلفظ : « الرحمن الرحيم » كما هو ظاهر وحاصل المعنى أنني أعمل عملي متبرئاً من أن يكون باسمي ، بــل هو باسمه تعالى لأنني أستمد القوة والعناية منه وأرجو إحسانه فلولاه لم أقدر عليه ولم أعمــله ، بل ومــا كنت عاملاً له على تقدير القدرة عليه لولا أمره ورجاء فضله ، فلفظ الاسم معناه مراد ، ومعنى لفظ الجــلالة مراد أيضاً ، وكذلك كل من لفظ : « الرحمن الرحيم ». وهذا الاستعمال معروف مألوف في كل اللغات وأقربه إليكم اليوم مــا ترونه في المحاكم النظامية حيث يبتدأون الأحكام قولاً وكتابة باسم السلطان فلان ، أو الخديو فلان [(١)] .

وقال السيد الطباطبائي بعد قوله بسم الله الرحمن الرحيم : الناس ربمــا يعملون عمــلاً أو يبتدؤن في عمل ويقرنونه باسم عزيز من أعزتهم أو كبير من كبرائهم ليكون عملهم ذاك مباركاً بذلك متشرفاً أو ليكون ذكرى يذكرهم به ومثل ذلك موجود أيضاً فيباب التسمية ، فربما يسمون المولود الجديد من الانسان أو شيئاً مما صنعوه أو عملوه كدار بنوها أو مؤسسة أسسوها باسم من يحبونه أو يعظمونه ليبقى الاسم ببقاء المسمى الجديد ويبقى المسمى الأول نوع بقــاء ببقاء الاسم كمن يسمى ولده باسم والده ليحيى بذلك ذكره فلا يزول ولا ينسى .

وقد جرى كلامه تعالى هذا المجرى فابتدأ الكلام باسمه عزّ اسمه ليكون ما يتضمنه من المعنى معلماً باسمه مرتبطاً به وليكون أدباً يؤدب به العباد في الأعمال والأفعال والأقوال فيبتدأون باسمه ويعملون به فيكون ما يعملونه معلماً باسمه منعوتاً بنعته تعالى مقصوداً لأجله سبحانه فــلا يكون العمل هالكاً باطلاً مبتراً لأنه باسم الله الذي لا سبيل للهلاك والبطلان إليه .

وذلك ان الله سبحانه يبين في مواضع من كلامه : ان ما ليس لوجهه الكريم

---

(١) المنار ٤٣/١ - ٤٤ .

هالك باطل ، وانه سيقدم إلى كل عمل عملوه مما ليس لوجهه الكريم فيجعله هباء منثوراً فما عمل لوجهه الكريم وصنع باسمه هو الذي يبقى ولا يفنى ، وكل أمر من الامور :

إنما نصيبه من البقاء بقدر ما لله فيه نصيب ، وهذا هو الذي يفيده ما رواه الفريقان عن النبي ﷺ أنـه قال : « كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر الحديث »[1] .

ولأنها مفتاح القرآن ، وأول ما جرى بها القلم في اللوح المحفوظ ، وأول ما نزل على آدم، وكانت الكفار يبدأون بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات والعزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله تعالى بالابتداء بتقديمه وتأخير أي فعل يريده ، فلذلك قدر المحذوف المتعلق به حرف الجر متأخراً ، أي باسم الله اقرأ أو افعل كذا أو غير ذلك مما جعلت التسمية مبدءاً له . قالوا : وأودع جميع العلوم في الباء : أي بي كان ما كان وبي يكون ما يكون فوجود العوالم بي وليس لغيري وجود حقيقي إلا بالاسم والمجاز وهو معنى قولهم : « مـا نظرت شيئاً إلا ورأيت الله فيه أو قبله »[2] .

ويمكن أن يجعل السر في أن العبد لا بدّ أن يبدأ ببسم الله في كل شيء وهو ان لا ينسى الله في اموره وفي مزاولته للأشياء لأن الانسان جبـّـل على السهو والنسيان . وبنسيان الله تعالى الهـلاك وشقاوة الدارين ، كما وبذكره النجاة وسعادتها ، وقد ذم الله تعالى في القرآن أقواماً على نسيانهم الله في مواضع منه : « ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم »[3] . « فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء»[4]. «أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به»[5]

---

(١) تفسير الميزان ١/١٥ - ١٦ .
(٢) روح البيان ١/٦ - ٧ .
(٣) الحشر : ١٩ .
(٤) الاعراف : ١٦٥ .
(٥) المائدة : ١٤ .

« ومن أظلم ممن ذكر بآيات الله فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه » [1] .

كما وقد مدح الذاكرين الله كثيراً في آيات كثيرة جداً منها: « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » [2] . وهـل يختفي على من تلا القرآن وتدبره حق التدبر موضوع ذكر الله الذي نزل القرآن من أجله ، قـال تعالى : « أقم الصلاة لذكري » [3] . « ولذكر الله أكبر » [4] . « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » [5] وغيرها من تصريحات .

ومن الأسرار اشتمال البسملة على اسم الله الرحمن الرحيم من بين سائر الأسماء الحسنى ، ولعـله للإشارة إلى ان رحمة الله عز وجل سابقة على غضبه ووسعت كل شيء كما نطقت آية « ورحمتي وسعت كل شيء » [6] . « وربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً » [7] . والرحمة هي الغاية من خلق الخلق كما قـال تعالى : « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ولذلـك خلقهم » [8] . أي للرحمة فكل من يقرأ السملة ينشرح صدره ويعظم أمله ورجاؤه وينقطع إلى ربـه الرحيم بعباده وهو من أحد العباد ، ومما يرشد إلى تلك السعة ذكر الرحمة في البسملة المباركة بدون قيد وشرط وإطلاق الكلمة غير المقيدة بشيء شامل لكل شيء، ولا شك انها تورث الفرح والانشراح لقارئها ويؤيد هـذا آية : « قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا » [9] .

وقد جاء في القرآن الكريم في ١٦٩ موضعاً التنصيص على كلمة « الرحمن » و٢٢٦ مرة على « الرحيم » هذا في خصوص مادة الرحمة ، وأما ما يعطي معناها

---

(١) الكهف : ٥٧ .
(٢) آل عمران : ١٩١ .
(٣) طه : ١٤ .
(٤) العنكبوت : ٤٥ .
(٥) القمر : ٢٢ .
(٦) الاعراف : ١٥٦ .
(٧) غافر : ٧ .
(٨) هود : ١١٩ .
(٩) يونس : ٥٨ .

فاكثر كثير من عبـــارة باسم « الرؤوف والكريم والعطوف والعفو والغفور والودود » ونظائرها من أسماء صفات الجمال .

أو لعل السر في إتيان الرحمة في البسملة الإشارة إلى رجوع العبد إليه تعالى ومعنى هذا اني انا الرحمن الرحيم فلم تعرض عني وأنا مقبل عليك بكل رحمة من دون قيد وشرط ، والبسملة على هـذا ترمي مرمى آية : « ما غرك بربك الكريم »[1] . أي ان الكريم لمكان كرمـه لا ينبغي الاغترار والتمرد عليه ، بل يرجى منه ويقبل عليه ،وكذلك الرحيم ليس من الأدب والانصاف الاعراض عنه ، ولعلّ إلى ذلك تشير آية : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين »[2] . حيث جاء تعالى بكلمة « الرحمن » أي كيف الاعراض ممن هو الرحمن ، فالبسملة داعية إلى الحب والإقبال والانقطاع إليـه تعالى أو لعلّ السر في الابتداء بهـــا للبركة في ذكر الله تعالى فيبارك به كل الامور إذا عرف وأيقن بأن الله هو الرحمن الرحيم بعباده في كل حـــال ولهج باسمه المبارك في كل أموره ، أفهل يبقى وهو يلهج به تعالى شيءٌ منها غير مبروك وغير تام كلا ان البركة كلها فيما ذكر اسم الله عليه ، والبركة معه أينما حل ونزل وبملازمته لاسم الله المبارك يكون العبد مباركاً أيضاً .

ومن أسرار الابتداء بالبسملة : هو صرف القلب إليه تعالى في كل حال لئلا يكون العبد غافلاً ومن المبعدين ، فإن الغفلة من الله عز وجل تؤثر الابعاد الجلب للغواية وإغواء الآخرين ولا علاج لهـــذا الداء العضال إلا بالإقبال على الله تعالى ودوام ذكره وتلقين النفس بتكرير الذكر فإنه ذاهب بكل مـــا أجلبته الغفلة وأثرها السيء في القلب والبدن ومبدل إلى الأثر الجميل من صفاء الطوية ، وخلوص النية وجلاء القلب المظلم وزيادة نور البصيرة .

---

(١) الانفطار : ٦ .   (٢) الزخرف : ٣٦ .

فالبسملة عاصمة للقوى عن أن تصرف في غير طاعة الله تعالى، وإن المداومة عليها لا يفقد معها العبد المنح الإلهية، والتوفيقات الغيبية، والفيوضات الرحمانية ونور التقوى والورع عن محارم الله تعالى، وبسبب المزاولة المستمرة مع اسم الله جلّ جلاله تحصل معرفة المسمى وهو الله تعالى فيصبح من العارفين، فلا يكون عند ذلك همة له ولا مهمة، بل ولا غاية في غيره تعالى لأنه غاية الغايات وهو غاية آمال العارفين الذين لا يهمهم شيء سوى الله، ويكون كما قال أمير المؤمنين عليه السلام على ما روي عنه عندما كان يحدو بالفواطم [1] من مكة إلى المدينة بدأ الهجرة منها إليها :

الله رب الناس فارفع همكا   لا شيء غير الله أن يهمكا [2]

وقال بعض المفسرين : القرآن إمامنا وقدوتنا فافتتاحه بهذه الكلمة إرشاد لنا بأن نفتتح أعمالنا بها، فما معنى هذا ليس معناه أن نفتتح أعمالنا باسم من أسماء الله تعالى أن نذكره على سبيل التبرك أو الاستعانة به، بل أن نقول هذه العبارة : « بسم الله الرحمن الرحيم » فإنها مطلوبة لذاتها [3] .

يريد بكلامه هذا التعبد بنفس الدستور الشرعي بقراءة الصيغة الخاصة بما لها من الهيئة المخصوصة لا التلفظ باسم من الأسماء الحسنى الاخر . وهذا الوجه مؤيد بما روى عن الإمام العسكري عليه السلام في حديث طويل وفيه قال الله جلّ جلاله لعباده : « أيها الفقراء إلى رحمتي إني قد ألزمتكم الحاجة إليّ في كل حال، وذلة العبودية في كل وقت فإليّ فافزعوا في كل أمر تأخذون فأنا أحق من يسأل، وأولى من تضرع إليه فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير أو عظيم : «بسم الله الرحمن

---

(١) فاطمة بنت رسول الله (ص)، وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت عمران بن عائذ، وفاطمة بنت زائد بن الأصم . مجمع البحرين في فطم وغيره .

(٢) سيرة الرسول (ص) ٩٠ مع تغيير يسير .

(٣) تفسير المنار ١/٤٠ .

الرحيم » أي أستعين هذا الأمر الذي لا تحق العبادة لغيره »[1] .

أو يريد بمطلوبيتها الذاتية بأن لا يجعل الله تعالى آلة ووسيلة إلى نيل الامور وكيف يجعل ذلك وسيلة إلى غيره وهو تعالى المقصود لذاتـه بذاته وهو الغاية فوق كل غاية ، وهذا لا ينافي الاستعانة أو التبرك أو غيرهما من المعاني والانسان على ما يقصده بصير والله جلّ جلاله مطلع على القصود .

وقال السيد الطباطبائي : ان البسملة من الحمـد راجعة إلى غرض السورة والمتحصل منه والغرض الذي يدل عليه سرد الكلام في هذه السورة هو حمد الله بإظهار العبودية له سبحانـه بالافصاح .. وإظهار العبودية من العبد هو العمل الذي يتلبس به .. فالمعنى باسمك أظهر لـك العبودية ، فالباء في بسم الله يراد به تتميم الاخلاص[2] .

أقول : هو جارٍ في جمع السور .

قال بعض المفسرين : إنما جعل الله البسملة مبدأ كلامه لوجهين :

الأول : فلأنها إجمال ما بعدها وهي آية عظيمة[3] ، ونعمة للعارف جسيمة لا نهاية لفوائدها ولا غاية لقيمة فرائدها والباحث عنها مع قصرها إذا أراد ذرة من علمهـا ودرة من عيلمها احتاج إلى باع طويل في العلوم ، واطلاع عريض في المنطوق والمفهوم .

وإن أراد أن يعرف كنه ما فيها من الأسماء احتاج إلى عـلم الكلام ، وإن أراد معرفة حكم الابتداء بهـا ، وهل يختلف باختلاف المبدو به احتاج إلى علم الفقه ، وإن أراد معرفة ما فيها من ظاهر أو نص مثلاً احتاج إلى علم الاصول ،

---

(١) القرآن وفضائله : ٢١٢ . (٢) تفسير الميزان ١/١٦ – ١٧ .

(٣) عن ابن عباس : « من تركها فقـد ترك مائة وأربع عشر آية من كتاب الله تعالى » الكشاف ١/١ .

وإن أراد معرفة طبائع حروفها احتاج إلى علم الحروف، وإن أراد معرفة أنواع الرحمة المشار إليها بها احتاج إلى علم الأفلاك وعلم تشريح الأعضاء وخواص الأشياء وعلم المساحة وغير ذلك ، وإن أراد معرفة ما يمكن التخلق به مما تدل عليه الأسماء احتاج إلى علم الاحتجاج ، وإن أراد معرفة ما خفى على أرباب الرسوم من الاشارات فليتضرع إلى ربه ، وإن أراد أن يقف على جميع ما فيها من الأسرار فليعد غير المتناهي ، وكيف يطمع في ذلك وهي عنوان كلام الله تعالى المجيد ، وخال وجنة القرآن الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »[1] :

وعلى تفنن واصفيه بوصفه ... يفني الزمان وفيه ما لم يوصف

وإن أردت أن تمتحن ذهنك في بعض أسرارها فتأمل سرّ افتتاحها واختتامها بحرفين شفويين ومع ألف صورية متصلة بأول الأول وآخر الآخر وتحت الأول دائرة غيبية ظهرت في صورة الثاني وسرّ ما وقع فيها من أنواع التثليث ، أما أولاً ففي مخارج الحروف فإنها ثلاثة الشفة واللسان والحلق، في الباء واللام والهاء.

أقول : وراح يسر وجوهاً أنهاها إلى تسعة حول حروف البسملة ومخارجها.

إلى أن قال : وأما سابعاً ففي الأسماء الحسنى التي ديجتها فهي : الله والرحمن والرحيم ... وأما تاسعاً ففي الاتصال والانفصال فمتصل بما بعده فقط وبما قبله فقط وبما بعده وقبله ، وفي كل من هذه الثلاثة أسرار تحير الأفكار وتبهر أولى الأبصار ، وانظر لم اشتملت حروفها على الطبائع الأربع وتقدم في الظهور الهواء[2] . ولم كانت تسعة عشر.. ولقد خلوت ليلة بليلى هذه الكلمة وأوقدت مصباح ذلي في مشكاة حضرتها المكرمة وفرشت لها سرّي وضممتها سحراً إلى سحري ونحري :

---

(١) فصلت : ٤٢ . (٢) نسب إلى الغزالي شعر علما في هامش روح المعاني ٦٢/١:

وحق الهوى أن الهوى بسبب الهوى ... لولا الهوى في الكون ما عبد الهوى

فكان ما كان مما لست أذكره فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

وأما الوجه الثاني فلتعليم العباد إذا بدأوا بأمر كيف يبدأون به [1] .

ذكرنا الوجه الثاني عند الكلام على حديث الابتداء فراجع وهــذه الاستخراجات لم تكن هي الغرض الأسمى من هـــذه الأسماء الحسنى وتصديرها جلّ ثناؤه بها القرآن وكل كتاب أنزله، وإنما هو الأذان بأنه تعالى هو الله الرحمن الرحيم ليتعرف العباد ربهم الموصوف بهذه الرحمة الواسعة تحبيباً لنفسه المتعالية إليهم حـــتى يسعدوا بلقائه تعالى بالعمل الصالح ويدينوا بدينه الخالص تاركين لأنواع الشرك كما قال تعالى : « فمن كان يرجو لقاء ربــه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » [2] .

روى أن « بسم الله الرحمن الرحيم » هي أم القرآن وهي السبع المثاني . وذلــك لاشتمالها على كليات المعاني التي في القرآن إذ الغرض الأصلي منه الارشاد إلى معرفة المبدأ والمعاد وما بينهما من دار التكليف مع ما فيها من الثناء على كال ذاته وعظمة صفاته وجميع نعمائه وجزيل آلائه التي تقاصرت النفوس عن وصفها وتضاءت العقول دون بيانها مما وصل إلى العباد في الدنيا وما أعدّ الله في العقبى من النعم التي لا عــين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر وأجلها النظر إلى وجهه الكريم [3] .

الثابت عندنا السبع المثاني هي فاتحة الكتاب انظر كتب التفسير ، وحكى عن قول بعض العارفين أن جميع ما في الكتب المتقدمة في القرآن الكريم وجميعه في الفاتحة وجميعها في البسملة وجميعها تحت نقطة البـــاء المنطوية وهي على كل الحقائق والدقائق محتوية . ولعــلّ وجه الاشارة إلى نقطة التوحيد التي عليها

---

(١) تفسير روح المعاني ٦١/١ – ٦٢ . (٢) الكهف : ١١٠ .

(٣) خزينة الأسرار ١٠٢ – ١٠٣ .

مدار سلوك أهـــل التفريد . وقيل جميعها تحت الباء ووجهه أن المقصود من كل العالم وصول العبد إلى الرب تعالى ، وهـــذه الباء باء الالصاق فهي تلصق العبد بجناب الرب، وذلك كال المقصود كذا ذكره الرازي وابن النقيب في تفسيرهما[1].

أقول : هذا النوع من التأويل لا بدّ له من دليل عقلي أو نقلي صحيح ، وقد نقلنا عن بعض المصادر [2]. ما هو المعروف على لسان بعض الشيعة والسنة : من أن المراد من نقطة الباء علي بن أبي طالب عليه السلام. ولم يثبت ذلك بحديث صحيح ولكنه محتمل . وقالوا : لما أنزل الله تعالى على موسى التوراة وهي ألف سورة كل سورة ألف آية ، قال موسى عليه السلام: يا رب ومن يطبق قراءة هذا الكتاب وحفظه ؟ فقال تعالى : إني أنزل كتاباً أعظم من هذا . قال : على من ؟ قال : على خاتم النبيين . قال : وكيف تقرؤه أمته ولهم أعمار قصيرة ؟ قـــال : إني أيسّره عليهم حتى تقرؤه صبيانهم . قال: يا رب وكيف تفعل ؟ قال: إني أنزلت من السماء إلى الأرض مائـة كتاب وواحداً : خمسين على شيث ، وثلاثين على إدريس ، وعشرين على ابراهيم، والتوراة عليك والزبور على داود والإنجيل على عيسى ، وذكرت الكائنات في هذه الكتب فاذكر جميع معاني هذه الكتب في كتاب محمد عليه الصلاة والسلام ، واجمع ذلك كله في مائة وأربع عشر سورة ، واجعل هـذه السور في ثلاثين جزءاً ، والأجزاء في سبعة أسباع ، ومعنى هذه الأسباع في سبع آيات الفاتحة ، ثم معانيها في سبعة أحرف وهي : « بسم الله » ثم كله في الألف من « ألم » ثم افتتح سورة البقرة . ولـما وعد الله تعالى ذلك في التوراة وأنزله على محمد صلى الله عليه وآله جحدت اليهود لعنهم الله تعالى أن يكون هذا ذلك ، فقال : « ذلك الكتاب لا ريب فيه » [3].

أقول : ممـا يبعد هذا الحديث ان أول ما نزل من السور سورة « إقرأ »

---

(١) خزينة الأسرار : ١٠٣

(٢) مصابيح الأنوار ١/٤٣٥ و٢/٣٩٤ .

(٣) خزينة الأسرار : ١٠٣ .

وظاهر الحديث الفاتحة ونزلت البقرة متعاقبة لهـا مع ان هذا النظم في السور ليس على ترتيب النزول ولتحقيق البحث محل آخر .

ثم المروي عندنا في عدد الكتب المنزلة كما يلي ، ففي الحديث النبوي برواية الامام الصادق عليه‌السلام قـال : قال أبو ذر : يا رسول الله فكم أنزل الله تعالى من كتاب ؟ فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله : مائة وأربعة وعشرين كتاباً : أنزل على إدريس خمسين صحيفة وهو أخنوخ وهو أول من خط بالقلم ، وأنزل على نوح عشر صحائف ، وأنزل على ابراهيم عشراً ، وأنزل التوراة على موسى ، والزبور على داود ، والانجيل على عيسى والقرآن على محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله [1] .

قال بعض أهل المعرفة : البسملة كلمة قدسية من كنز الهداية وخلعة ربوبية من خلع الولاية ، ووصلة قربية لأهل العناية ، ورحمة خاصة لأهل الجناية [2]. والبسملة حبيبة أهل ولاية الله لا يدعونها في حال في وضوءاتهم ، لكيلا يشرك فيها الشيطان حتى يروى « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليـه » [3] . وأكلهم وجماعهم في كل ذلك وردت روايات أهل البيت (ع) في التسمية عندها ، بـل بعض الأشياء كان ذكر اسم الله عليه من الواجبات الاسلامية كالذبائح .

وعن بعض : ان الله تعالى أعطى هـذه الكلمات سلطاناً لم يعط لغيرها من الكلمات بها تتم الطهارة ، وبها تحل الذبيحات، وبها يمنع الشيطان عن الدعوات، وبها تستمرىء الصبيان وغيرهم من الطعام والشراب، ولو أن قائلاً مع صدق قلبه قـال : « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم دخل البحر لا يغرقه ، ولو دخل النار لا

---

(١) الاختصاص : ٢٦٤ .

(٢) خزينة الأسرار : ١٠٣ . يريد بقوله : « ورحمة خاصة لأهـل الجناية » ان البسملة موضع الرجاء والعفو لهم وهي كذلك .

(٣) خزينة الأسرار : ١٠٥ .

تحرقه ، ودخل بين الحيات والعقارب لا تلدغه ، ولو قرأها على رأس قبر مؤمن يرفع عنه العذاب ببركتها .

وحكى ان عيسى عليه السلام مرّ على قبر فرأى ملائكة العذاب يعذبون ميتاً ، فلما عاد على ذلك القبر فصلى ودعا الله تعالى ، فأوحى الله تعالى إليه : يا عيسى كان هذا عاصياً وقد مات محبوساً في عذابي وقد ترك امرأة حبلى فولدت ولداً وربته حتى كبر فسلمته إلى المعلم فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت من عبدي أن أعذّبه في بطن الأرض وولده يذكر اسمي على ظهرها [1] .

أقول : تقدم في الاسم الأعظم ان الداعي بالبسملة يستجاب له إذا كان على حالة خاصة لا كيف ما اتفق [2] .

وروي « ان فرعون قبل ادعاء الألوهية بنى قصراً وأمر أن يكتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم على بابه الخارج، فلما ادعى الربوبية أرسل الله إليه موسى عليه السلام يدعوه إلى الايمان فلم يقبل ، فقال : إلهي لم أمهلته لا أدري به خيراً ، فقال الله تعالى : انظر ما كتبه على بابه » . وفيه إشارة إلى ان من كتب هذه الكلمة على باب داره الخارج صار آمناً من الهلاك وإن كان كافراً ، فالذي كتب على سويداء قلبه من أول عمره إلى آخره كيف لا يكون آمناً من الهلاك في الدنيا والآخرة . هذا آخر بحوث البسملة والحمد لله أولاً وآخراً ويليها بحوث الحمدلة .

---

(١) خزينة الأسرار : ١٠٥ .

(٢) انظر المقصد الثاني من هذا الكتاب .

الحمدلة

المطالب الأربعة

الأول : روايات الحمدلة

الثاني : الحمد والمدح والشكر والتعريف

الثالث : الرب عزّ اسمه

الرابع : العالمين

المطلب الاول

روايات الحمدلة



روى الشيخ الكليني طاب ثراه :

١ — عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن أبي سعيد القماط عن المفضل قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك علمني دعاء جامعاً ، فقال لي : أحمد الله فإنه لا يبقى أحد يصلي إلا دعا لك يقول : سمع الله لمن حمده [١] .

٢ — عنه عن علي بن الحسين عن سيف بن عميرة عن محمد بن مروان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أي الأعمال أحب إلى الله عزّ وجل ؟ فقال : أن تحمده [٢] .

٣ — علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي الحسن الأنباري عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحمد الله في كل يوم ثلاثمائة وستين مرة عدد عروق الجسد يقول : الحمد لله رب العالمين كثيراً على كل حال [٣] .

٤ — علي بن ابراهيم عن أبيه وحميد بن زياد عن الحسن بن محمد جميعاً عن أحمد ابن الحسن الميثمي عن يعقوب بن شعيب قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان في ابن آدم ثلاثمائة وستين عرقاً : منها مائة وثمانون متحركة ، ومنها مائة وثمانون ساكنة فلو سكن المتحرك لم ينم ولو تحرك الساكن لم ينم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أصبح قال : الحمد لله رب العالمين كثيراً على كل حال ثلاثمائة وستين مرة ، وإذا أمسى قال مثل ذلك [٤] .

---

(١) اصول الكافي ٢/٥٠٣ .
(٢) المصدر ٢/٥٠٣ .
(٣) المصدر ٢/٥٠٣ .
(٤) المصدر ٢/٥٠٣ كتاب الدعاء .

٥ - عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن منصور بن العباس عن سعيد بن جناح قال : حدثني أبو مسعود عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قال أربع مرات إذا أصبح : الحمد لله رب العالمين ، فقد أدى شكر يومه ، ومن قالها إذا أمسى فقد أدى شكر ليلته [١] .

٦ - علي بن ابراهيم عن أبيه عن علي بن حسان عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كل دعاء لا يكون قبله تحميد فهو أبتر ، إنما التحميد ثم الثناء ، قلت : ما أدري ما يجزي من التحميد والتمجيد قال : يقول : « اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء وأنت العزيز الحكيم » [٢] .

٧ - وبهذا الاسناد قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام ما أدنى ما يجزي من التحميد قال: تقول: «الحمدلله الذي علا فقهر والحمد لله الذي ملك فقدر والحمدلله الذي بطن فخبر والحمد لله الذي يميت الأحياء ويحيي الموتى وهو على كل شيء قدير » [٣] .

٨ - وعن علي بن ابراهيم عن أبيه عن عثمان بن عيسى عمن حدثه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت آيتان في كتاب الله عزّ وجل أطلبها ولا أجدهما قال : وما هما ؟ قلت : قول الله عزّ وجل : « أدعوني أستجب لكم » [٤] . فندعوه ولا نرى إجابة قال : أفترى الله عزّ وجل أخلف وعده ، قلت : لا ، قال : فمّ ذلك ، قلت : لا أدري، قال : لكني أخبرك من أطاع الله عز وجل فيما أمره ثم دعاه من جهة الدعاء أجابه ، قلت : وما جهة الدعاء ؟ قال : تبدأ فتحمد الله وتذكر نعمه عندك ثم تشكره ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وآله ثم تذكر ذنوبك فتقرّبها ثم تستغفر منها فهذا جهة الدعاء ثم قال : وما الآية الاخرى ؟

---

(١) اصول الكافي ٢/٥٠٣ كتاب الدعاء . (٢) المصدر ٢/٥٠٣ - ٥٠٤ ،

(٣) المصدر ٢/٥٠٤ . (٤) غافر : ٦٠ .

قلت قول الله عزّ وجل: «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين»[1] وإني أنفق ولا أرى خلفاً قال : أفترى الله عزّ وجل أخلف وعده ، قلت : لا، قال : فمم ذلك ، قلت : لا أدري ، قال : لو ان أحـدكم اكتسب المال من حله وأنفقه في حله لم ينفق درهماً إلا أخلف عليه [2] .

إنما ذكرت الحديث عن آخره وليس فيه شاهد لما نحن بصدده إلا قوله عليه السلام « تبدأ فتحمد الله » لإتمام الفائدة لأهل الدعاء ، والحديث كالحديث تحت الرقم٦ من دلائل الابتداء بالحمدلة في الجملة وهي عند بداية الدعاء .

٩ ــ محمد بن يعقوب عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن ابن أبي عمير عن محمد بن كردوس عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث قال : من قام آخر الليل فذكر الله تناثرت عنه خطاياه ، فإن قـام من آخر الليل فتطهر وصلى ركعتين وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ، إما أن يعطيه الذي يسأله بعينه ، وإما أن يدخر له ما هو خير له منه [3]. والشاهد هو قوله عليه السلام « وحمد الله » .

١٠ ــ عن الحسين بن يزيد النوفلي عن اسماعيل بن أبي زياد السكوني عن أبي عبدالله عن آبائه (ع) قـــال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من ظهرت عليه النعمة فليكثر ذكر الحمد لله [4] .

١١ ــ الشيخ الصدوق عن أبيه عن عبدالله بن جعفر عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن آبائه (ع) ان النبي صلى الله عليه وآله قال : ان الله عزّ وجل أوجب الجنـــة لشاب كان يكثر النظر في المرآة فيكثر حمد الله على ذلك [5] .

(١) سبأ : ٣٩ .
(٢) الوسائل ٤/١١٢٨ .
(٣) الوسائل ٤/١١٢٤ .
(٤) محاسن البرقي : ٣٤ ـ ٣٥ كتاب الأعمال .
(٥) الوسائل ٤/كتاب الصلاة أبواب الذكر/١١٩٦ .

١٢ - الحسن بن محمد الطوسي في الأمـالي عن أبيه عن المفيد عن ابن الجعابي عن محمد بن علي بن ابراهيم عن محمد بن أبي العنبر عن علي بن الحسين بن واقـد عن أبيه عن أبي عمرو بن عـلاء عن عبدالله بن بريدة عن بشير بن كعب عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: لا إله إلا الله نصف الميزان، والحمد لله يملأه[١].

١٣ - محمد بن علي بن الحسين في ثواب الأعمـال عن محمد بن موسى بن المتوكل عن علي بن الحسين السعد آبادي عن أحمد بن أبي عبدالله عن علي بن الحكم عن سيف ابن عميرة عن زيد الشحام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قال: « الحمد لله كما هو أهله » شغل كتـاب السماء قلت: وكيف يشغل كتـاب السماء؟ قال: يقولون: اللهم إنا لا نعلم الغيب فيقول: اكتبوها كما قالها عبدي وعليّ ثوابها[٢].

١٤ - عن الفضل بن عامر عن موسى بن القاسم عن صفوان بن يحيى عن الهيثم بن واقد قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ما أنعم الله على عبد بنعمة بالغة ما بلغت فحمد الله عليها إلا كان حمـده لله أفضل من تلك النعمة وأعظم وأوزن[٣].

١٥ - وعن محمد بن الحسن عن الصفار عن أحمـد بن اسحاق بن سعيد عن بكر بن اسحاق بن عمار قـال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا اسحاق ما أنعم الله على عبد بنعمة فعرفها بقلبه وجهر بحمد الله عليها ففرغ منها حتى يؤمر له بالمزيد[٤].

١٦ - حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا سعد بن عبدالله عن يعقوب بن يزيد عن محمد بن أبي عمـير عن الحسن بن عطية عن عمر بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: شكر كل نعمة وإن عظمت أن تحمد الله عز وجل[٥].

---

(١) الوسائل ١١٩٧/٤.
(٢) الوسائل ١١٩٦/٤.
(٣) الوسائل ١١٩٧/٤.
(٤) الوسائل ١١٩٧/٤.
(٥) الوسائل :/كتاب الصلاة أبواب الذكر/١١٩٧.

١٧ - وفي المجالس عن الحسين بن أحمد بن إدريس عن أبيه عن محمد بن عبد الجبار عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن محمد بن يوسف عن محمد بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن آبائه (ع) قال : قال رسول الله ﷺ من تظاهرت عليه النعم فليقل : الحمد لله رب العالمين [١] .

١٨ - محمد بن يعقوب عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله يملأ الميزان والله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض [٢] .

١٩ - وفي العلل والأمالي بإسناد يأتي قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسألوه عن الكلمات التي اختارهن الله لابراهيم حيث بنى البيت ، فقال النبي ﷺ : نعم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر « إلى أن قال اليهودي » أخبرني ما جزاء قائلها قال : إذا قال العبد سبحان الله سبح معه ما دون العرش فيعطي قائلها عشر أمثالها ، وإذا قال : الحمد لله أنعم الله عليه بنعم الدنيا موصولاً بنعم الآخرة وهي الكلمة التي يقولها أهل الجنة إذا دخلوها وينقطع الذي يقولونه في الدنيا ما خلا الحمد لله ، وذلك قوله تعالى : « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين » [٣] [٤] . قوله : « موصولاً » الصحيح فيه موصولة .

٢٠ - وعن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن عثمان بن عيسى عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال تقول إذا أصبحت وأمسيت: الحمد لرب الصباح الحمد لفالق الاصباح مرتين الحمد لله الذي ذهب بالليل بقدرته وجاء بالنهار برحمته ونحن في عافيته[٥] .

---

(١) الوسائل ٤/١١٩٧ .
(٢) الوسائل ٤/١٢٠٥ .
(٣) يونس : ١٠
(٤) الوسائل ٤/كتاب الصلاة أبواب الذكر/١٢٠٧ .
(٥) الوسائل ٤/١٢٣٧ .

٢١ – وعنه قال : حدثني شيخي رحمه الله قال : أخبرني محمد بن محمد إلى داود بن سليمان الغازي قال : حدثنا الرضا علي بن موسى قال: حدثني أبي موسى ابن جعفر العبد الصالح قال : حدثني أبي جعفر بن محمد الصادق قال : حدثني أبي محمد بن علي الباقر قال : حدثني أبي علي بن الحسين زين العابدين قال : حدثني أبي الحسين بن علي الشهيد قال : حدثني أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أتاه أمر يسرّه قال: « الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات » وإذا أتاه أمر يكرهه قال : « الحمد لله على كل حال »[١] .

٢٢ – الشيخ الفاضل علي بن عيسى في كشف الغمة عن الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام ، قال الصادق : فقد لأبي بغلة ، فقال : لئن ردّ الله عليّ لأحمدنه بمحامد يرضاها فما لبث أن أتى بها بسرجها ولجامها ، فلما استوى وضمّ إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء وقال : « الحمد لله » ولم يزد ، ثم قال : ما تركت ولا بقيت شيئاً جعلت جميع أنواع المحامد لله عزّ وجل فما من حمد إلا وهو داخل فيما قلت ، ثم قال : علي بن عيسى صدق وبرّ عليه السلام فإن الألف في قوله : « الحمد لله » يستغرق الجنس[٢] .

٢٣ – علي بن ابراهيم قال : حدثني أبي عن محمد بن أبي عمير عن النضر بن سويد عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: الحمد لله، قال: الشكر لله[٣].

٢٤ – محمد بن يعقوب عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن خالد عن بعض أصحابنا عن محمد بن هشام عن ميسر عن أبي عبدالله عليه السلام قال : شكر النعمة اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرجل « الحمد لله رب العالمين »[٤] .

٢٥ – ثواب الأعمال أبي عن علي بن موسى عن أحمد بن محمد عن بكر بن

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ١/ ٤٩ .
(٢) تفسير البرهان ١/ ٤٦ .
(٣) تفسير البرهان ١/ ٤٦ .
(٤) تفسير البرهان ١/ ٤٦ .

صالح عن الحسن بن علي عن عبدالله بن علي عن علي بن علي اللهبي عن الصادق عن آبائه (ع) قال : قال رسول الله ﷺ : أربع من كنّ فيه كان في نور الله الأعظم من كان عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، ومن إذا أصابته مصيبة قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ومن إذا أصاب خيراً قال : الحمد لله ، ومن إذا أصاب خطيئة قال : استغفر الله وأتوب إليه [(١)] .

٢٦ ـ قرب الإسناد هارون عن ابن صدقة قال : كان من محامد الصادق عليه السلام الحمد لله بمحامده كلها على نعمه كلها حتى ينتهي الحمد إلى ما يحب ربي ويرضى ، قال : وقال أبي رضي الله عنه ان نبياً من الأنبياء قال: الحمد لله كثيراً حمداً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لكرم وجهك وعزّ جلالك ، فأوحى الله إليه عبدي لقد شغلت حافظيك والحافظ على حافظيك [(٢)] .

٢٧ ـ قال: وهذا من محامد أبي عبدالله عليه السلام عند الشيء من الرزق إذا كان تجدد له : الحمد لله الذي نعمته تغدو علينا وتروح ونظلّ نهاراً ونبيت فيها ليلاً فنصبح فيها برحمته مسلمين وعسى فيها بمنه مؤمنين من البلوى معافين الحمد لله المنعم المفضل المحسن المجمل ذي الجلال والاكرام ذي الفواضل والنعم الحمد لله الذي لم يخذلنا عند شدة ولم يفضحنا عند سريرة ولم يسلمنا بجريرة قال: وكان من محامده عليه السلام « الحمد لله على علمه والحمد لله على فضله علينا وعلى جميع خلقه » وكان به كرم الفضل في ذلك ما الله به عليم [(٣)] .

٢٨ ـ عيون أخبار الرضا بالأسانيد الثلاثة عن الرضا عن آبائه (ع) قال : قال رسول الله ﷺ : من أنعم الله عزّ وجل عليه نعمة فليحمد الله ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ومن حزنه أمر فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله [(٤)].

---

(١) البحار ٢٨٠/٩٣ .

(٢) البحار ٢٠٩/٩٣ .

(٣) البحار ٢١٠/٩٣ .

(٤) البحار ٢١٠/٩٣ ، عيون الأخبار ٤٥/٢ .

٢٩ – أمالي الطوسي : في وصية الصادق عليه السلام إلى سفيان الثوري إذا أنعم الله على أحد منكم بنعمة فليحمد الله عزّ وجل [١] .

٣٠ – أمالي الطوسي: المفيد عن الجعابي عن ابن عقدة عن أحمد بن عبدالحميد عن محمد بن عمرو بن عتبة عن الحسن بن المبارك عن العباس بن عامر عن مالك الأحمس عن ابن طريف عن ابن نباته قال : كنت أركع عند باب أمير المؤمنين عليه السلام وأنا أدعو الله إذ خرج أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أصبغ،قلت: لبيك، قال : أي شيء كنت تصنع، قلت : ركعت وأنا أدعو ، قال : أفلا أعلمك دعاء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله ، قلت : بلى ، قال : قل الحمد لله على ما كان والحمد لله على كل حال،ثم ضرب بيده اليمنى على منكبي الأيسر وقال: يا أصبغ ثبتت قدمك وتمت ولايتك وانبسطت يدك الله ارحم بك من نفسك [٢] .

٣١ – ثواب الأعمال ابن الوليد عن الصفار عن ابن يزيد عن ابن أبي عمير عن محمد بن عثمان بن يزيد عن أخيه الحسين عن عمر بن بزيع عمن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قال في كل يوم سبع مرات : « الحمد لله على كل نعمة كانت أو هي كائنة » فقد أدى شكر ما مضى وشكر ما بقي [٣] .

٣٢ – قصص الأنبياء الصدوق بإسناده عن ابن أبي الخطاب عن صفوان بن يحيى عن عبدالله بن سنان عن محمد بن مروان عن الباقر عليه السلام قال : ان نبياً من الأنبياء عليه السلام حمد الله بهذه المحامد ، فأوحى الله تعالى جلت عظمته لقد شغلت الكاتبين قال: « اللهم لك الحمد كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لك أن تحمد وكما ينبغي لكرم وجهك وعزّ جلالك» [٤] .

٣٣ – العياشي : عن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له

---

(١) البحار ٩٣/٢١٠ .
(٢) البحار ١/١٦٦ ، البحار ٩٣/٢١١ .
(٣) البحار ٩٣/٢١١ .
(٤) البحار ٩٣/٢١٢ .

للشكر حد إذا فعله الرجل كان شاكراً قال : نعم ، قلت : وما هو ؟ قال : « الحمد لله على كل نعمة أنعمها عليّ » . وإن كان لكم فيا أنعم عليه حق أدّاه ، قال : ومنه قول الله : « الحمد لله الذي سخّر لنا هذا » [1]. حتى عدّ آيات[2].

٣٤ — مشكوة الأنوار : نقلاً من كتاب المحاسن عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا أحسنتم فاحمدوا الله ، وإذا أسأتم فاستغفروا الله [3] .

٣٥ — وعن سنان بن طريف قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : خشيت أن أكون مستدرجاً ، قال : ولم قلت لأني دعوت الله أن يرزقني داراً فرزقني ، ودعوت الله أن يرزقني ألف درهم فرزقني ألفاً ، ودعوته أن يرزقني خادماً فرزقني خادماً ، قال : فأي شيء تقول ، قال أقول : « الحمد لله » قال : فما أعطيت أفضل مما أعطيت [4] .

٣٦ — وعن النبي صلى الله عليه وآله قال : ان الرجل من امتي يخرج إلى السوق فيبتاع

---

(١) الزخرف : ١٣ .

(٢) البحار ٩٣/٢١٢ ، وفي الهامش تفسير العياشي ١/٦٧ والآية ١٣ — ١٤ هكذا « والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ● لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون » . نعم يوجب قوله تعالى : « ثم تذكروا نعمة ربكم » أن نحمد الله تعالى على نعمة الهداية ثم نقول : « سبحان الذي سخر لنا هذا » الخ. كما ورد ان رجلاً ركب دابة وقال حين ركبها : « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ». فسمع أحد السبطين « ع » كلامه وقال : لا بهذا امرت ، إنما امرت أن تذكر نعمة ربك إذا استويت عليه فقال : فكيف أقول ؟ قال « ع » قل : « الحمد لله الذي هدانا للاسلام ، والحمد لله الذي من علينا بمحمد وآله ، والحمد لله الذي جعلنا في خير امة أخرجت للناس فإذا أنت قد ذكرت نعماً عظيمة، قلت بعدها : « سبحان الذي سخر لنا هذا » الخ .

---

(٣) البحار ٩٣/٢١٣ .　　　(٤) البحار ٩٣/٢١٣.

القميص بنصف دينار أو بثلث دينار فيحمد الله إذا لبس فما يبلغ ركبته حتى يغفر له [١] .

٣٧ – وعنه صلى الله عليه وآله قال : ان المؤمن يشبع من الطعام والشراب فيحمد الله فيعطيه الله من الأجر ما يعطي الصائم ، إن الله شاكر يحب أن يحمد [٢] .

٣٨ – وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : الرجل منكم ليشرب شربة من الماء فيوجب الله له بها الجنة ثم قال : يأخذ الإناء فيضعه على فمه ثم يشرب فينحيه وهو يشتهيه فيحمد الله ثم يعود فيشرب ثم ينحيه فيحمد الله ثم يعود ويشرب ثم ينحيه فيحمد الله فيوجب الله له بها الجنة [٣] .

٣٩ – وعنه عليه السلام قال : كان المسيح عليه السلام يقول الناس رجلان معافى ومبتلى فاحمدوا الله على العافية وارحموا أهل البلاء [٤] .

٤٠ – وعنه عليه السلام قال : إني لا أحب أن تجدد لي نعمة لاحمدت الله عليها مائة مرة [٥] .

٤١ – وعن علي عليه السلام قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سريّة فقال : « اللهم ان لك عليّ إن رددتهم سالمين غانمين أن أشكرك حق الشكر ، قال : فما لبثوا ان جاؤوا كذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الحمد لله على سابغ نعم الله »[٦].

٤٢ – وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أتاه ما يحب قال : « الحمد لله المحسن المجمل » وإذا أتاه ما يكرهه قال : « الحمد لله على كل حال ، والحمد لله على هذه الحال » [٧] .

---

(١) البحار ٩٣/٢١٣ – ٢١٤ .
(٢) البحار ٩٣/٢١٤ .
(٣) البحار ٩٣/٢١٤ .
(٤) البحار ٩٣/٢١٤ .
(٥) البحار ٩٣/٢١٤ .
(٦) البحار ٩٣/٢١٤ .
(٧) البحار ٩٣/٢١٤ .

٤٣ – وعن الرضا عليه السلام قال : من حمد الله على النعمة فقد شكره وكان الحمد أفضل من تلك النعمة [١] .

٤٤ – مكارم الأخلاق قال النبي صلى الله عليه وآله : أول من يدعى إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله في السراء والضراء [٢] .

٤٥ – في تفسير الإمام العسكري عليه السلام جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال: يابن رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل : « الحمد لله رب العالمين » ما تفسيره ؟ قال عليه السلام: لقد حدثني أبي عن جدي عن الباقر عن أبيه زين العابدين عليه السلام ان رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال : « الحمد لله رب العالمين » ما تفسيرها ؟ فقال : « الحمد لله » على أن عرف الله عباده بعض نعمه جملاً إذ لا يقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف ، فقال لهم قولوا : « الحمد لله » على ما أنعم به علينا « رب العالمين » يعني مالك العالمين وهم الجماعات من كل مخلوق من الجمادات والحيوانات .

فأما الحيوانات فهو يقلبها في قدرته ويغذوها من رزقه ويحيطها بكنفه ويدبر كلا بمصلحته ، وأما الجمادات فهو يمسكها بقدرته يمسك ما اتصل منها أن يتهافت ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ويمسك الأرض أن تخسف إلا بأمره إنه بعباده لرؤوف رحيم .

قال : و « رب العالمين » مالكهم وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم من حيث هم يعلمون ومن حيث لا يعلمون ، فالرزق مقسوم وهو يأتي ابن آدم على أي سيرة سارها من الدنيا ليس تقوى متق بزائده ولا فجور فاجر بناقصه وبينه وبينه ستر وهو طالبه ولو أن أحدكم يتربص رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت ، قال: فقال الله لهم قولوا :

---

(١) البحار ٩٣/٢١٤ – ٢١٥ .   (٢) البحار ٩٣/٢١٥ .

« الحمد لله » على ما أنعم به علينا وذكرنا به من خير في كتب الأولين قبل أن نكون [١] .

٤٦ – وعن الصادق عليه السلام ما أنعم على مؤمن نعمة بلغت ما بلغت فحمد الله عليها إلا كان حمد الله أفضل وأوزن وأعظم من تلك النعمة [٢] .

٤٧ – عن أبي حمزة عنه عليه السلام قال : أنبأك بحمد يضربك من كل حمد قلت : ما معنى يضربك ؟ فقال : يكفيك ، قلت : بلى ، قال : قل « لك الحمد بمحامدك كلها على جميع نعمك كلها حتى ينتهي الحمد إلى ما تحب ربنا وترضى » [٣] .

٤٨ – عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قال : « الحمد لله بمحامده كلها ما علمنا منها ومـا لم نعلم على كل حال حمداً يوازي نعمه ويكافي مزيده عليّ وعلى جميع خلقه » . قال الله تبارك وتعالى : « بالغ عبدي في رضاي وأنا مبلغ عبدي رضاه من الجنة » [٤] .

٤٩ – أمالي الطوسي : جماعـة عن أبي المفضل عن جعفر بن محمد بن جعفر عن أحمد بن عبد المنعم بن نصر عن عبدالله بن بكير عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن جابر بن عبدالله قـال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو ان الدنيا كلها لقمة واحدة فأكلها العبد المسلم ثم قـال : « الحمد لله » لكان قوله ذلك خيراً له من الدنيا وما فيها [٥] .

٥٠ – الكشي : كتب أبو محمـد عليه السلام إلى اسحاق بن اسماعيل : ليس من نعمة وان جلّ أمرها وعظم خطرها إلا والحمد لله تقدست أسماؤه عليها يؤدي شكرها وأنا أقول : « الحمد لله مثل ما حمد الله به جاحد إلى أبد الآباد بما منّ

---

(١) البحار ٩٢/٢٤٥ – ٢٤٦ .
(٢) البحار ٩٣/٢١٥ .
(٣) البحار ٩٣/٢١٥ .
(٤) البحار ٩٣/٢١٥ .
(٥) البحار ٩٣/٢١٦ .

به عليك من نعمة ونجات به من الهلكة » الخبر [١] .

٥١ – وروي كل عن النبي ﷺ : «كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد فهو أقطع» [٢]

ثواب الأعمال وأمالي الصدوق : أبي عن الحميري عن هارون عن ابن صدقة عن الصادق عن آبائه (ع) ان النبي ﷺ قال : من رأى يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً أو أحداً على غير ملة الإسلام فقال : « الحمد لله الذي فضلني عليك بالإسلام ديناً وبالقرآن كتاباً وبمحمد نبياً وبعلي إماماً وبالمؤمنين إخواناً وبالكعبة قبلة » لم يجمع الله بينه وبينه في النار أبداً [٣] .

٥٢ – أمالي الصدوق: أبي عن علي عن أبيه عن صفوان عن العيص عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من نظر إلى ذو عاهة أو من قد مثل به أو صاحب بلاء فليقل سراً في نفسه من غير أن يسمعه : « الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ولو شاء لفعل بي ذلك » ثلاث مرات فإنه لا يصيبه ذلك البلاء أبداً [٤] .

٥٣ – مكارم الأخلاق : قال رسول الله ﷺ : إذا رأيتم أهل البلاء فاحمدوا الله ولا تسمعوهم فإن ذلك يحزنهم [٥] .

هذه جملة من أحاديث الحمد وفيها من مهام أمور تعود إلى الدين والدنيا والآخرة وفيها من الأدب البارع والخصال الانسانية الرفيعة منها الحديث الأخير حيث نبّه الرسول ﷺ عندما يرى الانسان أهل البلاء على أمرين مهمين :

الأول : أن يحمد الله تعالى على عافيته منها ويشكره عليها .

الثاني : التحفظ على عدم إسماع التحميد لأرباب البلاء لئلا ينكسر بذلك القلب والخاطر ، وهذا من الأدب الرفيع الاسلامي وفضائل الشريعة .

---

(١) البحار ٢١٦/٩٣ .

(٢) البحار ٢١٦/٩٣ .

(٣) البحار ٢١٧/٩٣ .

(٤) البحار ٢١٧/٩٣ .

(٥) البحار ٢١٨/٩٣ .

المطلب الثاني

الحمد ، والمدح ، والشكر ، والتعريف

في حقيقة الحمد ، ومقايسة الحمد مـــع المدح والشكر ، والألف واللام في « الحمد » فها هنا أمور ثلاثة :

الأول : الحمد هو النعت بالجميل على الجميل اختياراً كان أو مبدءاً له على وجه يشعر ذلك بتوجيهه إلى المنعوت [1] .

والمنعوت عليه سواء كان فضائل أو فواضل نعمة كان أو غيرها واصلة إلى الناعت أو غيره ، بقول كان النعت أو فعل ، أو قلب على جهة التعظيم ، وهذا أجمع من الثناء باللسان على الجميل الاختياري لدخول صفات الكمال في التعريف الأول وخروجها من الثاني سواء كانت عين الذات كما في الله جلّ جلاله أو مغايرة مع الذات كما في غيره تعالى .

إذ الثناء جهة التعظيم غير مختص بالقول لا سيما إذا كان قولنا : « الحمد لله » اخباراً عن حصوله له تعالى والاخبار عن الشيء مغاير للمخبر عنه ، فليس ذلك حقيقة الحمد إلا أن يقصد الثناء وينشأوه بهـذا القول فإنه مصداق له إذا صدر منه على جهة التعظيم ، ولكن قصر المصداق عليه ممنوع لأن حمد المنعم عبارة عن كل فعل مشعر بتعظيمه بمـــا هو منعم ، وإن لم يصل إنعامه إلى الحامد نفسه والفعل إمـــا أن يكون فعل القلب أو فعل اللسان أو فعل الجوارح ، والأول باعتقاد كون المنعم واحداً للكمال والاجلال . والثاني بذكر ما ينبىء عن ذلك الوجدان والاتصاف بأوصاف الكمال بلفظ الحمد أو الشكر أو الثناء أو غيرها ،

---

(١) لأبي سعد المسعود هامش تفسير الفخر الرازي ١/٢١ .

وإلى هذا ينظر من قال بترادفها لأنها تتشارك في الافادة والحكاية عن الكمالات الفواضلية والفضائلية على جهة التعظيم. فقد جاء بعض روايات بهذا الصدد ، منه الحديث عن أبي عبدالله عليه‌السلام : « إنما التحميد هو الثناء ، قلت : ما أدري ما يجزي من التحميد والتمجيد » . قال يقول : « اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء وأنت العزيز الحكيم » [1] .

إلا أن يقال : إن كل ما دلّ على الثناء ليس مدلولاً للحمد اللغوي بالمطابقة ، بل هو مدلول له بالدلالة الالتزامية كما قال بعض في نظير ذلك بالقياس إلى متعلق الحمد إذا لم يكن أمراً اختيارياً ، والتزم بكونه مجازاً في موارده قال : « إن الحمد اللغوي لا يكون إلا على الأفعال الاختيارية والحمد على الصفات الذاتية ، إما لغوي راجع لما يترتب عليها من الآثار الاختيارية أو عرفي ولا ضرب في تعلقه بها » [2] .

والتزم في قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » [3] . بالمجاز حيث لا يكون المقام الموصوف بالحمد من الأمر الاختياري ، وهو كما ترى ونظير مقامنا من جهته ما ورد في الحديث النبوي :

« خير الدعاء دعائي ودعاء الأنبياء من قبلي وهو : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير » . قال بعض الأفاضل :

قيل : سئل عطا عن ذلك كيف سماه دعاءً ، وإنما هو تمجيد وتقديس . فقال هذا أمية بن الصلت يقول في عبدالله بن جذعان :

---

(١) اصول الكافي ٢/٥٠٣ .
(٢) روح المعاني ١/٦٥ .
(٣) الاسراء : ٧٩ .

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حبائك إن شيمتك الحباء
إذا أثنى عليك المرء يوماً ... كفاه من تعرّضه الثناء

أفيعلم ابن جذعان ما يراد به بالثناء ولا يعلم رب العالمين [1] .

وبالجملة قالوا : إنه استعمال حسن إذا كان اللفظ موضوعاً لشيء وأريد إحدى ملازماته في الاطلاقات المحاورية ، والحق ان الحمد قولي وفعلي وحالي .
أما القولي فحمد اللسان وثناؤه على الله تعالى بما أثنى به على نفسه المتعالية على لسان أنبيائه (ع) .

وأما الفعلي فهو الاتيان بالأعمال من العبادات والخيرات ابتغاء لوجه الله تعالى لأن الحمد كما يجب على اللسان يلزم على الانسان التحميد له جلّ ثناؤه بحسب كل عضو، وعند كل حال من الأحوال وأن يعمل أعمالاً دالة على كون المنعم موصوفاً بصفات الكمال والجمال .

وأما الحمد الحالي فهو الذي يكون بحسب الروح والقلب كالاتصاف بالكمالات العلمية والعملية والتخلق بالأخلاق الإلهية لتصير الكمالات ملكة للنفس والذات، فهذا حمد الحق تعالى حيث صرف النعم في محلها ، وليس الحمد إلا صرف الشيء في محله الذي خلق من أجله .

وهنا حمدٌ أعلى من كل حمد وهو حمد الله تعالى نفسه لنفسه بنفسه المتعالية في المقام الربوبي بما أظهر من ذلك في القرآن وبما نطق به في كتبه وصحفه وعلى لسان أنبيائه من إظهار كمالاته الجمالية والجلالية بغيبته في شهوده وباطنه في ظهوره ، بل ليس للإنسان أن يثني الله إلا بما أثنى به تعالى نفسه المتعالية ، ولا يكون حمداً عملياً إلا بالعمل بما أمر الله .

ولبعض ما يلي : الحمد وهو ذكر ما يدل على اتصاف المحمود بالمحمودية ،

---

(١) صلاة الجواهر عند ذكر وظائف المتهجد في صلاته ٧/٢٠٠ – ٢٠١ الطبع الجديد .

وقد اشتهر تقييده باللسان واريد بـه جارحة النطق ، ولما كان الواقع كون آلة التكلم في الغالب هي تلك الجارحة خصوه بها فلو فقد إنسان لسانه فأثنى بحروفه الشفوية أو خلق النطق في بعض جوارحه فأثنى به كما شوهد في مقطوع جميع اللسان فهو حمد وقضية التقييد أن لا يكون الصادر عمن لا جارحة له حمداً ، وقد قال تعالى : « وإن من شيء إلا يسبح بحمده »[1] .

وأما حمد الله نفسه نفسه مثلاً فذهب الأكثر إلى أنه اخبار باستحقاق الحمد وأمر بـه أو مقول على ألسنة العباد عن إظهار الصفات الكمالية الذي هو الغاية القصوى من الحمد .

وقال الدواني : كون الحمد في حقه سبحانه مجازاً بعيد عن قاعدة أهل الحق من إثبـات الكلام له حقيقة والقول مساوق للكلام ، فالأظهر أن الحصر في اللسان اضافي لمقابلة الجنان والأركان ، والمراد الأمر الذي مصدره اللسان غالباً أو هو قيد غالبي يسوغ الاستعمال فيه ، واللفظ قد يكون موضوعاً في أصل اللغة لعام ويشتهر في بعض مخصوص بحيث يصير فيه حقيقة عرفية ، وسبب الاشتهار إما كثرة تداول ذلك الفرد .. وإما عدم الاطلاع على فرد آخر فيستعمله أهـل اللسان في ذلك الفرد حتى إذا استمر ولم يطلع على إطلاقه على فرد آخر ظن أنه موضوع لخصوصه كما في « الميزان » فإنه في الأصل موضوع لآلة الوزن ، ثم من لم يطلع الاعلى مـا له لسان وعمود ربما يجزم بأنه موضوع له فقط ، ولا يدري أن وراء ذلك موازين ومثل هـذا يجري في كثير من الألفاظ في المشتقات لا يكاد يخفي على من له أدنى فطنة لظهوره بالرجوع إلى قاعدة الاشتقاق .

وفي غيرها ربما يشتبه على الجماهير ، وبذلك يفوت كثير من حقائق الكتاب والسنة ، فإن أكثرهما وارد على أصل اللغة ، وعلى ذلك فقس الحمد فإن حقيقته عندهم إظهار صفات الكمال ، ولما كان الإظهار القولي أظهر أفراده وأشهرها عند

---

(١) الاسراء : ٤٤ .

العامة شاع استعمال لفظ الحمد فيه حتى صار كأنه مجاز في غيره، مع أنه بحسب الأصل أعمّ ، بل الاظهار الفعلي أقوى ، وأتم فهو بهذا الاسم أليق، وأولى [١].

وقيـــل : الحق ان للحمد أقساماً بحسب الموارد ، فحمد اللسان هو اللفظ وحمد القلب التوحيد . وحمد الجوارح عدم العصيان وهكذا .

وذكر بعض في « الحمد » فوائد منها : إنه قيل : « الحمد على دفع الله من البلاء ، والشكر على ما أعطى من النعماء » . فإن قيل : النعمة في الاعطاء أكثر من النعمة في دفع البلاء ، فلماذا ترك الاكثر وذكر الاقل . قلنا فيه وجوه :

الأول : كأنه يقول أنا شاكر لأدنى النعمتين فكيف لأعلاهما .

الثاني : المنع غـير متناه والاعطاء متناه فكان الابتداء بشكر دفع البلاء الذي لا نهاية له أولى .

الثالث : إن دفع الضرر أهم من جلب النفع فلهذا قدمه [٢] .

أقول : رد الوجه الثاني بعض [٣] بـأن الحق ان الاعطاء إذا كان منه تعالى فغير متناه أيضاً . وهذه الفائدة لا تخلو من شيء :

أولاً : بما دلّ بعض روايات الحمدلة بصراحة على تعلق الحمد على النعم من قول الصادق عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من ظهرت عليه النعمة فليكثر ذكر الحمد لله » [٤] . وبعضها الآخر على كون متعلقه صفات الله تعالى [٥] ، أو كون المتعلق عاماً شاملاً لكل حالات الانسان من رخاء وبلاء [٦] .

---

(١) روح المعاني ١/٦٥ - ٦٦ . (٢) تفسير الفخر الرازي ١/١١٥ - ١١٦ .

(٣) وهو شيخنا المعزي دام عزه . (٤) تحت الرقم ١٠ .

(٥) تحت الرقم ١٢ و١٨ و١٩ و٢١ و٢٤ و٣٢ بل كلها على وجه كان من ذلك .

(٦) تحت الرقم ٤١ .

ثانياً : إن تعريف « الحمد » لم يدلّ على اختصاصه بدفع البلاء والشكر على الاعطاء شيء من تلك الروايات .

ثالثاً : إنه لم تكن النعمة في دفع البلاء أقل من النعمة في الاعطاء ، بل هما متكافئتان إذ ما من نعمة عطاء إلا وله تعالى تبديله إلى البلاء ، ولكنه رب رحيم ذو فضل على العالمين ، قال تعالى : « فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين »[1] . « ولكن الله ذو فضل على العالمين »[2] .

الفائدة الثانية : إنه تعالى لم يقل : « أحمد الله » ولكن قال : « الحمد لله » وهذه العبارة الثانية أولى لوجوه :

أحدها : إنه لو قال : « أحمد الله » أفاد ذلك كون ذلك القائل قادراً على حمده ، أما لما قال : «الحمد لله» فقد أفاد ذلك أنه كان محموداً قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين ، فهؤلاء سواء حمدوا أو لم يحمدوا ، وسواء شكروا أو لم يشكروا ، فهو تعالى محمود من الأول إلى الأبد بحمده القديم .

ثانيها : إن قولنا : « الحمد لله » معناه ان الحمد والثناء حق لله وملكه ، فإنه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة أياديه ، وأنواع آلائه على العباد فقولنا : « الحمد لله » معناه ان الحق حق لله يستحقه لذاته . ولو قال : « أحمد الله » لم يدل ذلك على كونه مستحقاً للحمد لذاته ومعلوم ان اللفظ الدال على كونه مستحقاً للحمد أولى من اللفظ الدال على أن شخصاً واحداً حمده .

ثالثها : أنه لو قال : « أحمد الله » لكان قد حمد لكن حمداً يليق به ، وأما إذا قال : « الحمد لله » فكأنه قال : من أنا حتى أحمده لكنه محمود بجميع حمد الحامدين مثاله ما لو سُئلت هل لفلان عليك نعمة ، فإن قلت نعم فقد حمدته ،

---

(١) البقرة : ٦٤ . (٢) البقرة : ٢٥١ .

ولكن حمداً ضعيفاً ، ولو قلت في الجواب بل نعمه على كل الخلائق فقد حمدته بأكمل المحامد .

رابعها : إن الحمد عبارة عن صفة القلب وهي اعتقاد كون ذلك المحمود متفضلاً منعماً مستحقاً للتعظيم والاجلال، فإذا تلفظ الانسان بقوله : «أحمد الله» مع أنه كان قلبه غافلاً عن معنى التعظيم اللائق بجلال الله كان كاذباً لأنه أخبر عن نفسه بكونه حامداً مع أنه ليس كذلك . أما إذا قال : « الحمد لله » سواء كان غافلاً أو مستحضراً لمعنى التعظيم فإنه يكون صادقاً لأن معناه : ان الحمد حق لله وملكه . وهذا المعنى حاصل سواء كان العبد مشتغلاً بمعنى التعظيم والاجلال أو لم يكن فثبت ان قوله: « الحمد لله » أولى من قوله: « أحمد الله ». ونظيره قولنا : « لا إله إلا الله » فإنه لا يدخله التكذيب بخلاف قولنا: « أشهد أن لا إله إلا الله » لأنه قد يكون كاذباً في قوله : « أشهد » ولهذا قال تعالى في تكذيب المنافقين : « والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » [1] .

ولهذا السر أمر فيالأذان بقوله :«أشهد» ثم وقع الختم على «لا إله إلا الله»[2]

أقول : علق بعض على الفائدة الثانية بما يلي فقال: هذه الخصوصية مستفادة من إضافة المبدأ إلى الذات وإسناده بها بخلاف إضافة المشتق مثلاً إذا قلت : « زيد عالم » أثبت عالمية زيد فقط . وإذا قلت : « العلم لزيد أو زيد للعلم » . أثبت كل العلم لزيد أو زيد للعلم بأي أنحاء القصر أردته [3] .

والجواب : إنما المقايسة بين الجملة الاسمية الدالة على الثبوت وبين الفعلية الدالة على الحدوث الجزئي والفرق هو السعة في الاولى والضيق في الثانية المدلول عليه أي على الضيق بإضافة المبدأ الاشتقاقي إلى شخص الحامد الجزئي . وليس

---

(١) المنافقون : ١ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ١/١١٦ .

(٣) والبعض هو شيخنا المعزي دام عزه .

القائل المتقدم (والله العالم) بصدد المقايسة بين أقسام الجمل الاسمية وتقديم بعضها على بعض على أن عموم الحمد من نفس اللام الاستغراقي الشامل لجميع موارد الحمد بالأسر كما أيد هــذا ببعض النصوص المتقدمة [١] على أنا بصدد النقل لا النقد ابتداءاً .

قيل من فوائد الحمد : أنه ثمانية أحرف وأبواب الجنة ثمانية ، فمن قال هذه الثمانية عن صفاء قلبه استحق ثمانية أبواب الجنة [٢] .

أقول : فتح أبواب التأويلات خاصة هذا النوع من تأويل الحروف ابتعاد عن فهم المداليل الكلامية ، ومما يجلب اعتراضات المعترضين ولبعض اعتراض على نظير المقام بما يلي :

إن ما ذكره المفسر ونقله عن بعض مفسري الصوفية في المعاني التي تستنبط من الحروف بطريق الرمز والإشارة لا يــدل عليه كتاب ولا سنّة صحيحة ، وليست هذه المعاني من مدلولات الكلمات لغة ولا سياقاً ولا يخفى على أهل العلم بالشريعة الاسلامية والسنة النبوية ، ان مدلول الكلمات القرآنية والألفاظ المصطفوية هو ما دلّ عليه اللفظ لغــة منطوقاً أو مفهوماً أو سياقاً حقيقة أو مجازاً بحسب القرائن ، وباعتبار النزول وسببه وما ورد فيه عن الصحابة الأخيار والتابعين الأبرار ونصوص كلام صاحب الشريعة عن تأويــل أو تصحيف أو تحريف ، ولو كان قائل ذلــك أياً كان من العلماء ونضرب على يد من يتجرأ على مثل ذلك بسوط من حديد ، وعلى لسانه بمقارض من نار [٣] .

لا حزازة في تأويل الكلمة في حروفها إلى معانيها غير الظاهرة إذا ساعـده الدليل المعتبر ، وطريق الإثبات في كل تأويل هو الطريق في غيره بأنه لا بدّ من

---

(١) تحت الرقم ٢٢ من روايات الحمدلة . (٢) تفسير الفخر الرازي ١/١١٦ .

(٣) هامش تفسير روح المعاني ١/٣٥ .

الدليل المعتبر والعلم به من كتاب الله تعالى أو السنّة القطعية .

وقد جاء في نظائر ذلك في أحاديثنا منها ما رواه الشيخ الصدوق طاب ثراه:

في كتاب التوحيد ومعاني الأخبار : أبي عن سعد عن ابن عيسى عن القاسم عن جده عن عبد بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال سألته عن: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال: الباء بهاء الله ، والسين سناء الله ، والميم مجد الله. وروى بعضهم: ملك الله والله إله كل شيء . الرحمن بجميع العالم ، والرحيم بالمؤمنين خاصة [1] .

وحديث ابن مسعود رواه الفريقان عن النبي من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم » فإنها تسعة عشر حرفاً ليجعل الله كل حرف منها عن واحد منهم [2] .

وما رواه الصدوق بإسناده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام قال : جاء يهودي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: ما الفائدة في حروف الهجاء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام أجبه وقال : اللهم وفقه وسدّده ، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : ما من حرف إلا وهو اسم من أسماء الله عز وجل ثم قال : أما الألف فالله لا إله إلا هو الحي القيوم ، وأما الباء فالباقي بعد فنائه [3] .

وغيرها من أحاديث التأويل بالحروف المفسرة بغير معانيها المعروفة فالممنوع من التأويل هو التأويل بالرأي والاستحسان وأعمال الأقيسة التي تواترت النصوص على منعها عن طريق أهل البيت عليهم السلام ، ومن العجب أنها غير ممنوعة عند الجمهور ثم يتصدى البعض منهم إلى المنع كما تقدم ولعله هو ممن لا يقول بذلك فعذره متجه ، أما المقام فهل هو مما دلّ عليه الدليل المعتبر أو لا الظاهر أن لا دليل على ذلك إلا من السيد الجزائري حيث روى ما سبق من تفسير الباء فراجع [4] .

---

(١) البحار ٢٣١/٩٢ .
(٢) تفسير البرهان ٤٣/١ .
(٣) التوحيد : ٢٣٥ .
(٤) مصابيح الأنوار ٤٣٥/١ و٣٩٤/٢ .

من الفوائد : ان قوله « الحمد لله » كما دلّ على أن لا محمود إلا الله ، فكذلك العقل دلّ عليه وبيانه من وجوه :

الأول : أنه تعالى لو لم يخلق داعية الانعام في قلب المنعم لم يُنعم فيكون المنعم في الحقيقة هو الله الذي خلق تلك الداعية .

الثاني : ان كل من أنعم على الغير فإنه يطلب بذلك الانعام عوضاً إما ثواباً أو ثناءً أو تحصيل حق أو تخليصاً للنفس من خُلق البخل وطالب العوض لا يكون منعماً فلا يكون مستحقاً للحمد في الحقيقة ، أما الله سبحانه وتعالى فإنه كامل لذاته ، والكامل لذاته لا يطلب الكمال لأن تحصيل الحاصل محال فكانت عطاياه جوداً محضاً وإحساناً محضاً فلا جرم كان مستحقاً للحمد فثبت أنه لا يستحق الحمد إلا الله تعالى .

الثالث : ان كل نعمة فهي من الموجودات الممكنة الوجود ، وكل ممكن الوجود فإنه وجد بإيجاد الحق إما ابتداء وإما بواسطة ينتج أن كل نعمة فهي من الله ويؤكد ذلك بقوله تعالى : « وما بكم من نعمة فمن الله » [1] .

والحمد لا معنى له إلا الثناء على الانعام ، فلما كان لا إنعام إلا من الله وجب القطع بأن أحداً لا يستحق الحمد إلا الله تعالى .

الرابع : النعمة لا تكون كاملة إلا عند اجتماع أمور ثلاثة :

أحدها : أن تكون منفعة ، والانتفاع بالشيء مشروط بكونه [2] حياً مدركاً وكونه حياً مدركاً لا يحصل إلا بإيجاد الله تعالى .

ثانيها : ان النعمة لا تكون كاملة إلا إذا كانت خالية عن شوائب الضرر وإجلاء المنافع عن شوائب الضرر لا يحصل إلا من الله تعالى .

---

(١) النحل : ٥٣ . (٢) عند من يكون .

ثالثها : ان المنفعة لا تكون نعمة كاملة إلا إذا كانت آمنة من خوف الانقطاع وهـذا الأمر لا يحصل إلا من الله تعالى فوجب أن لا يستحق الحمد الكامل إلا الله تعالى فثبت بهذه البراهين صحة قوله تعالى : « الحمد لله » .

من الفوائد : انك قد عرفت ان الحمد عبارة عن مدح الغير بسبب كونه منعماً متفضلاً ، ومـا لم يحصل شعور الانسان بوصول النعمة إليه امتنع تكليفه بالحمد والشكر . إذا عرفت هذا فنقول : وجب كون الانسان عاجزاً عن حمد الله وشكره ويدل عليه وجوه :

الأول : ان نعم الله على الانسان كثيرة لا يقوى عقـل الانسان على الوقوف عليها كما قال تعالى: « وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها »[1]. وإذا امتنع وقوف الانسان عليها امتنع اقتداره على الحمد والشكر والثناء اللائق به تعالى .

الثاني : ان الانسان إنمـا يمكنه القيام بحمد الله وشكره إذا أقدره الله تعالى على ذلك الحمد والشكر، وإذا خلق في قلبه داعية إلى فعل ذلك الحمد والشكر، وإذا زال عنه العوائق والحوائل فكل ذلك إنعام من الله تعالى ، فعلى هـذا لا يمكنه القيام بشكر الله تعالى إلا بواسطة نعم عظيمة من الله تعالى عليه ، وتلك النعم أيضاً توجب الشكر ، وعلى هـذا التقدير فالعبد لا يمكنه الإتيان بالشكر والحمد إلا عند الإتيان به مراراً لا نهاية لها ، وذلك محال والموقوف على المحال محال فكان الانسان يمتنع منه الاتيان بحمد الله وشكره على ما يليق به تعالى .

الثالث : ان الحمد والشكر ليس معناه مجرّد قول القائل بلسانه «الحمد لله» بل معناه علم المنعم عليه بكون المنعم موصوفاً بصفات الكمال والجلال ، وكل ما خطر ببال الانسان من صفات الكمال والجلال ، فكمال الله وجلاله أعلى وأعظم من ذلك المتخيل والمتصور، وإذا كان كذلك امتنع كون الانسان آتيا بحمد الله

---

(١) النحل : ١٨ .

وشكره وبالثناء عليه [1] . قوله : فكمال الله وجلاله أعلى وأعظم ثابت بالعقل الحصيف والفطرة النظيفة المؤيـــدة بالنقل ، إذ لولا ذلك للزم أن يكون تعالى محاطاً وهو محال في العقول والفطرة . أما النقل فهي رواية الامام الباقر عليه السلام وكل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق لكم مردود إليكم والله فوق ذلك[2]

الرابع : ان الاشتغال بالحمد والشكر معناه ان المنعم عليـه يقابل الانعام الصادر من المنعم بشكر نفسه وبحمد نفسه ، وذلك بعيد لوجوه :

أحدها : ان نعم الله كثيرة لا حدّ لها فمقابلتها بهذا الاعتقاد الواحد وبهـذه اللفظة الواحدة في غاية البعد .

ثانيها : ان من اعتقد ان حمده وشكره يساوي نعم الله تعالى فقـد أشرك ، وهذا معنى قول الواسطي : « الشكر شرك » .

ثالثها : ان الانسان محتاج إلى انعام الله في ذاته وفي صفاته وفي أحواله ، والله تعالى غني عن شكر الشاكرين وحمد الحامدين ، فكيف يمكن مقابلة نعم الله بهذا الشكر وبهـذا الحمد ، فثبت بهذه الوجوه ان العبد عاجز عن الاتيان بحمد الله وشكره ، فلهذه الدقيقة لم يقل : « أحمد الله » بـل قال : « الحمد لله » لأنه لو قال : « أحمد الله » فقد كلفهم ما لا طاقة لهم به ، أما لما قال: « الحمد لله » كان المعنى ان كمال الحمد حقه وملكه سواء قدر الخلق على الاتيان به أو لم يقدروا عليه . ونقل : ان داود عليه السلام قال : يا رب كيف أشكرك وشكري لك لا يتم إلا بإنعامك عليّ وهو أن توفقني لذلك الشكر فقال : « يا داود لما علمت عجزك من شكري فقد شكرتني بحسب قدرتك وطاقتك » [3] .

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١/١١٦ – ١١٧ .   (٢) الوافي ١/٨٩ .

(٣) تفسير الفخر الرازي ١/١١٧ ، وفي الجواهر السنية ٨٨ – ٨٩ ما يقرب من الحديث « أحمده استماماً لنعمته » النهج ١/١٣٢ وغيرها .

أقول : قوله « أو لم يقدروا عليه » هذا الوجه أقبح الوجوه . قوله : « لو قال أحمد الله فقد كلفهم ما لا طاقة لهم به » . يردّه ما جاء في الأدعية وكلمات أهل البيت (ع) انه تعالى هو أهـــل للعبادة عبده عابد أم لم يعبده ، وأهل للاستعانة سواء استعان إياه مستعين أم لم يستعنه وأنه تعالى قائل عن لسان عبده وفي الحقيقة آمر بذلك أن يقول : « إياك نعبد وإياك نستعين » فلو كان كما قال هذا القائل لأمر العباد أن يقولوا : « لـك العبادة ومنك الاستعانة لئلا يكلفهم ما لا طاقة لهم به » ، فإن العباد لا يمكنهم إعطاء حق العبادة له تعالى فما ذكره القائل من المناسبة ليس أمراً عقلياً مطرداً .

من الفوائد : ما عن النبي ﷺ : إنـه قال : إذا أنعم الله على عبد نعمة ، فيقول العبد : « الحمد لله » ، فيقول الله تعالى : انظروا إلى عبدي أعطيته ما لا قدر له فأعطاني ما لا قيمة له، وتفسيره: ان إذا أنعم على العبد كان ذلك الانعام أحد الأشياء المعتادة مثل أنه كان جائعاً فأطعمه أو كان عطشاناً فأرواه أو كان عرياناً فأكساه ، أما إذا قال العبد : « الحمد لله » كان معناه ان كل حمد أتى به أحد من الحامدين فهو لله، وكل حمد لم يأت به أحد من الحامدين وأمكن في حكم العقل دخوله في الوجود فهو لله ، وذلك يدخل فيـــه جميع المحامد التي ذكرها ملائكة العرش والكرسي وساكنوا أطباق السماوات وجميع المحامد التي ذكرها جميع الأنبياء من آدم إلى محمد ﷺ وجميع المحامـد التي ذكرها جميع الأولياء والعلماء وجميع الخلق وجميع المحامد التي سيذكرونها إلى وقت قولهم : « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيهـــا سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين »[1] .

ثم جميع هذه المحامد متناهية ، أما المحامد التي لا نهاية لهـا هي التي سيأتون

---

(١) يونس : ١٠ .

بهـا أبد الآباد ودهر الداهرين ، فكل هذه الأقسام التي لا نهاية لها داخلة تحت قول العبد : « الحمد لله رب العالمين » . فلهذا السبب قـال تعالى : انظروا إلى عبدي قـد أعطيته نعمة واحدة لا قدر لها فأعطاني من الشكر ما لا حدّ له ، ولا نهاية له [1] .

أقول : إن حمد المخلوق مهما كان نوعه فهو متناه لانتهاء الخالق ، وإنمـا الحمد غير المتناهي هو حمـــده تعالى لنفسه المقدّسة إلا أن يقال أن الخلق ، وإن كان متناهاً وله آخر ينتهي إليه فحمده كان كذلك ، ولكن بمـــا أنه أثر قدرة الله تعالى وهي غير متناهية فهو غير متناه من هذه الناحية فصح القول المتقدم بهذا الوجه فتدبر جيداً .

من الفوائد : أنه لا شك أن الوجود خير من العدم والدليل عليـــه أن كل موجود حي فإنه يكره عـدم نفسه ، ولولا أن الوجود خير من العدم لما كان كذلك، إذا ثبت هذا فنقول وجود كل شيء ما سوى الله تعالى فإنه يحصل بإيجاد الله وجوده وإحسانه ، وقد ثبت أن الوجود نعمة وإحسان فثبت أنه لا موجود في عـــالم الأرواح والأجسام والعلويات والسفليات إلا ولله عليه نعمة ورحمة وإحسان والنعمة والرحمة والاحسان موجبة للحمد والشكر ، فإذا قال العبد : « الحمد لله » فليس مراده الحمد لله على النعم الواصلة إليّ ، بـل المراد الحمد لله على النعم الصادرة منه الحمد لله على إنعامه على كل مخلوق خلقه وعلى كل محدث أحدثه من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي وجسم وعرض إلى أبد الآباد ودهر الداهرين وأنا انها بأسرها حقك وملكك ، وليس لأحـد معك فيها شركة ومنازعة .

أقول : فكما كان معنى الحمد لله على جميع الانعامات الواصلة إلي غـــير

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١/١١٧ - ١١٨ .

الحامد [1] كذلك صح التحميد على النعم الواصلة إلى نفس الحامد، ولعل مراده من التعميم الشامل لنفسه أيضاً .

من الفوائد : لقائل أن يقول التسبيح مقدّم على التحميد لأنه يقال: « سبحان الله والحمد لله » فما السبب ها هنا في وقوع البداية في التحميد .

والجواب : أن التحميد يدل على التسبيح دلالة التضمن ، فإن التسبيح يدل على كونه مبرّءاً في ذاته تعالى وصفاته عن النقائص والآفات ، والتحميد يدل مع حصول تلك الصفة على كونه محسناً إلى الخلق منعماً عليهم رحيماً بهم فالتسبيح إشارة إلى كونه تعالى تاماً ، والتحميد يدل على كونه تعالى فوق التمام فلهذا السبب كان الابتداء بالتحميد أولى ، وهذا الوجه مستفاد من القوانين الحكمية .

وأما الوجه اللائق بالقوانين الاصولية فهو ان الله تعالى لا يكون محسناً بالعباد إلا إذا كان عالماً بجميع المعلومات ليعلم أصناف حاجات العباد إلا إذا كان غنياً عن كل الحاجات إذ لو لم يكن كذلك لكان اشتغاله بدفع الحاجة عن نفسه يمنعه عن دفع حاجة العبد فثبت أن كونه محسناً لا يتم إلا بعد كونه منزّهاً عن النقائص والآفات فثبت ان الابتداء بقوله : «الحمد لله» أولى من الابتداء بقوله: « سبحان الله » [2] .

أقول : ان التقدم والتأخر في مرحلة المفاهيم وحق في مرحلة التعقل شيءٌ والتحقق العيني بالكمال ومقام الذات المتعالية شيء ولا منافاة في تأخير المتأخر وتقديم المتقدم المفهومي التعقلي مع القول بانتفاء الوصفين في مرحله تحقق الذات فافهم .

من الفوائد : ان الحمدلله له تعلق بالماضي وتعلق بالمستقبل،أما تعلقه بالماضي

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١/١١٨ .　　(٢) تفسير الفخر الرازي ١/١١٨ .

فهو أنه يقع شكراً على النعم المتقدمة. وأما تعلقه بالمستقبل فهو أنه يوجب تجدد النعم في الزمان المستقبل لقوله تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم »[1] .

والعقل أيضاً يدل عليه وهو أن النعم السابقة توجب الاقـــدام على الخدمة والقيام بالطاعة ، ثم إذا اشتغل بالشكر انفتحت على العقل والقلب أبواب نعم الله تعالى وأبواب معرفته ومحبته وذلك من أعظم النعم ، فلهذا المعنى كان الحمد بسبب تعلقه بالماضي يغلق عنك أبواب النيران وبسبب تعلقه بالمستقبل يفتح لك أبواب الجنان فتأثيره في الماضي سدّ أبواب الحجاب عن الله تعالى وتأثيره في المستقبل فتح أبواب معرفة الله تعالى . ولمـــا كان لا نهاية لدرجات جلال الله فكذلك لا نهاية للعبد في معارج معرفة الله ولا مفتاح لها إلا قولنا: «الحمد لله». فلهذا السبب سميت سورة الحمد بسورة الفاتحة[2] .

أقول : ظاهر آية الشكر إنما هو على النعم السابقة فقوله : « وأمـــا تعلقه بالمستقبل » كما ترى فإن الشكر على مـــا أنعم الله يوجب الازدياد كما جاء ذلك في تفسيرها مع ان الشكر على النعمة ذاتها موجب للمزيد لها بقول مطلق ولا نظر إلى زمانها .

من الفوائد : « الحمد لله » كلمة شريفة جليلة ، لكن لا بـــدّ من ذكرها في موضعها وإلا لم يحصل المقصود منها قيـــل للسري السقطي : كيف يجب الاتيان بالطاعة قال : أنا منذ ثلاثين سنة أستغفر الله عن قولي مرة واحدة « الحمد لله » فقيل : كيف ذلك ؟ قـــال : وقع الحريق في بغداد واحترقت الدكاكين والدور فأخبروني أن دكاني لم يحترق، فقلت : « الحمد لله » وكان معناه أني فرحت ببقاء دكاني حال احتراق دكاكين الناس ، وكان حق الدين والمروءة أن لا أفرح بذلك فأنا في الاستغفار منذ ثلاثين سنة عن قولي : « الحمد لله » فثبت بهذا ان هـــذه

---

(١) ابراهيم : ٧ .   (٢) تفسير الفخر الرازي ١/١١٨ .

الكلمة وإن كانت جليلة القدر إلا أنه يجب رعاية موضعها [١] .

أقول : في الاستدراك بذكر موضع كلمة التحميد بقوله : « لكن لا بدّ من ذكرها في موضعها » ، لعله في غير محله لأن الكلمة شريفة جليلة ذكرها ذاكر في موضعها أو لم يذكرها ، ولكن يدفعه أن الاستثناء على ما يفهمه العرف من أنه حري بالموضع اللائق لا كيف ما كان .

ثم ان نعم الله على العبد كثيرة إلا أنهـا بحسب القسمة الاولى محصورة في نوعين : نعم الدنيا ، ونعم الدين. ونعم الدين أفضل من نعم الدنيا لوجوه كثيرة وقولنا : « الحمد لله » كلمة جليلة شريفة فيجب على العاقل إجلال هذه الكلمة من أن يذكرها في مقابلة نعم الدنيا، بل يجب أن لا يذكرها إلا عند الفوز بنعم الدين ، ثم نعم الدين قسمان : أعمـال الجوارح ، وأعمال القلوب . والقسم الثاني أشرف ، ثم نعم الدنيا قسمان : تارة تعتبر تلك النعم من حيث هي نعم ، وتارة تعتبر من حيث أنهـا عطية المنعم . والقسم الثاني أشرف فهذه مقامات يحسب اعتبارها حتى يكون ذكر قولنا : « الحمد لله » موافقاً لموضعه لائقاً بسببه .

من الفوائد : ان أول كلمة ذكرها أبونا آدم عليه السلام هو قوله : « الحمد لله »، وآخر كلمة يذكرها أهل الجنة هو قولنا : « الحمد لله » . أما الأول فلأنه لما بلغ الروح إلى سرّته عطس فقال : « الحمد لله رب العالمين » . وأما الثاني فهو قوله تعالى : « وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين » [٢] . ففاتحة العالم مبنية على الحمد وخاتمته مبنية على الحمد فاجتهد حتى يكون أول أعمالك وآخرها مقروناً بهذه الكلمة ، فإن الانسان عالم صغير فيجب أن تكون أحواله موافقة لأحوال العالم الكبير [٣] .

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١١٩/١ .

(٢) يونس : ١٠ .

(٣) تفسير الفخر الرازي ١١٩/١ .

أقول : تقدم حديث تحميد آدم عليه السلام [1] وحديث الابتداء بالحمد [2] وان أول من يدخل الجنة الحمّادون [3] وما له من تأثير كبير [4] .

قال الرازي : من الناس من قال تقدير الكلام قولوا : « الحمد لله » . وهذا عندي ضعيف لأن الاضمار إنما يصار إليه ليصح الكلام ، وهـذا الاضمار يوجب فساد الكلام والذي يدل عليه وجوه :

الأول : ان قوله : « الحمد لله » إخبار عن كون الحمد حقاً له وملكاً له تعالى ، وهذا الكلام تام في نفسه فلا حاجة إلى الاضمار .

الثاني : ان قوله : « الحمد لله » يدل على كونه تعالى مستحقاً للحمد بحسب ذاته وبحسب أفعاله سواء حمدوه أو لم يحمدوه لأن مـــا بالذات أعلى وأجلّ مما بالغير .

الثالث : ذكروا مسألة في الواقعيات وهي أنه لا ينبغي للوالد أن يقول لولده : (إعمل كذا وكذا) لأنه يجوز أن لا يمتثل أمره فيأثم ، بل يقول : (إن كذا وكذا يجب أن يفعل) . ثم إذا كان الولد كريماً فإنـه يجيبه ويطيعه ، وإن كان عاقاً يشافهه بالرد فيكون إثمه أقل ، فكذلك ها هنا قال الله تعالى : « الحمد لله » فمن كان مطيعاً حمده ، ومن كان عاصياً كان إثمه أقل [5] .

أقول : لا ضعف فيه أولاً : لرواية الإمام العسكري عليه السلام قـــال فيها : فقال لهم قولوا : « الحمد لله » [6] .

ثانياً : ان الاخبار بالحمد ليس حمداً له جلّ جلاله إلا بما دلّ على لازمه من

---

(١) تفسير الصافي ٧٣/١ .

(٢) تحت الرقم ٥١ من روايات الحمدلة .

(٣) تحت الرقم ٤٤ من روايات الحمدلة .

(٤) انظر خطبة الكتاب .

(٥) تفسيره الكبير ١١٩/١ .

(٦) تحت الرقم ٤٥ من روايات الحمدلة .

هذا القول وهو اعتقاد القائل بـأن الله تعالى هو المحمود بالذات ، وفي الصفات والأفعال والمستحق للمحامد كلها لا صرف الاخبار مجرّداً عن الاعتقاد المذكور.

ثالثاً : « الحمد لله » يدل على ثبوت الحمد له تعالى، وأنه ملكه سواء جعلناه اخباراً أو إنشاءً .

وهنا فرع شرعي نذكره لأدنى تناسب وهو ان قراءة سورة الحمد تجب في الصلاة قاصداً بهـــا القرآن وحكايته لا إنشاء التحميد لله ، فإذا قال المصلي : « الحمد لله رب العالمين » بدون قصد القرآن بطلت صلاته نعم لا تنافي إرادة المعاني قصد القرآن لأنها أي إرادة معاني القرآن التي دلت عليها كلماتــه تحصل بمتابعة حكاية القرآن فلفظ « الحمد لله رب العالمين » لفظ مشترك بـين الكلام الآدمي والقرآن والمائز بينهما القصد اصالة أو تبعاً، وفي المقام صور يختلف الحكم بالبطلان أو الصحة معها فليراجع إلى رسائل الفقهاء العملية في الفقه .

قوله في الوجه الثالث : « انـــه لا ينبغي للوالد أن يقول اولده أعمل كذا وكذا » يردّه القرآن إذ جاء فيه الأمر بالشيء أو النهي كثيراً ، قـال تعالى : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »[1] . ولم يقـل تعالى فلتقم الصلاة ولتؤت الزكاة ولا الصلاة واجبة والزكاة واجبة . وأمـــا امتثال الأولاد المنظر بهم ، ها هنا العبـاد أو تمرّدهم عن أوامر الله تعالى ، فمشترك في الصورتين سواء أتى الأمر بصراحة أو كناية ، فإن كان العبد كريماً أطاع أو لئيماً عصى وتمرّد .

قيل : اختلف في وجوب الحمد والشكر على النعمة ، هل هو ثابت بالعقل أو بالنقل أو بهما جميعاً من الناس ، من قـــال بالسمع والنقل لقوله تعالى رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »[2] .

وقيل : هو ثابت قبل مجيء الشرع وبعده بقول مطلق، والدليل عليه قوله:

---

(١) المزمل : ٢٠ .	(٢) النساء : ١٦٥ .

« الحمد لله » وبيانه بوجوه الأول : ان قوله الحمد لله يدل على أنــه حقه تعالى وملكه على الاطلاق ، وذلك يدل على ثبوت هذا الاستحقاق قبل مجيء الشرع إلى آخر ما ذكره صاحب القيل [١] .

أقول : الحق ان وجوبه وجوب عقلي بنـــاء على مذهب العدلية من القول بالحسن والقبح العقليين .

ثم إن الحمد على أقسام أشار إليها مولانا أمـير المؤمنين عليه السلام في خطبة له وشرحها بعض الشراح قـــال عليه السلام : « الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق ، وعواقب الأمر نحمده على عظيم إحسانه ، ونير برهانه ، ونوامي فضله وامتنانه حمداً يكون لحقه قضاء ، ولشكره أداء وإلى ثوابـــه مقرباً ، ولحسن مزيده موجباً » .

قـــال الشارح : قسّم الحمد فجعله على ثلاثة أقسام أحدها : الحمد على عظيم إحسانه وهو اصول نعمه تعالى كالحياة والقدرة والشهوة وغيرها ممـــا لا يدخل جنسه تحت مقدور القادر .

ثانيها : الحمد على نير برهانه وهو مـــا نصبه في العقول من العلوم البديهية المفضية إلى العلوم النظرية بتوحيده وعدله .

ثالثها : الحمد على أرزاقه النامية أي الزائدة ، ومـا يجري مجراها من إطالة الأعمار وكثرة الأرزاق وسائر ضروب الإحسان الداخلة في هذا القسم ثم بالغ في الحمد حمداً يكون لحقه قضاء .

قال الشارح : ولو بلغ أقصى غاياتـــه لم يصل إلى أن يكون قاضياً لحق الله تعالى ولا مؤدياً لشكره ، ولكنه قال ذلك على سبيل المبالغة ثم قـــال : « وإلى ثوابه مقرباً ولحسن مزيده واجباً » . وذلك لأن الشكر يوجب الثواب والمزيد

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١/ ١٢ .

قال تعالى : «فاذكروني أذكركم» [1] . وقال : «لئن شكرتم لأزيدنكم» [2] [3] .

وفي خطبة همام قال عليه السلام : « يمسي وهمّه الشكر » .

قال الشارح : هذه درجة عظيمة من درجات العارفين ، وقد أثنى الله تعالى على الشكر والشاكرين في كتابه في مواضع كثيرة نحو قوله: «فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون » [4] . فقرن الشكر بالذكر ، وقال تعالى : « ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم » [5] . وقال تعالى : « وسيجزي الله الشاكرين » [6] . ولعلو مرتبة الشكر طعن إبليس في بني آدم فقال : « ولا تجد أكثرهم شاكرين » [7] . وقد صدقه الله تعالى في هذا القول فقال : « وقليل من عبادي الشكور » [8] .

وقال بعض أصحاب المعاني : قد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال : « لئن شكرتم لأزيدنكم » [9] .

واستثنى في خمسة أمور وهي : الإغناء ، والإجابة ، والرزق ، والمغفرة ، والتوبة .

فقال تعالى : « فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » [10] .

وقال تعالى : « بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء » [11] .

وقال تعالى : « يرزق من يشاء » [12] .

---

(١) البقرة : ١٥٢ .
(٢) ابراهيم : ٧ .
(٣) شرح النهج ١٠/٧٦ و٨٠ - ٨١ .
(٤) البقرة : ١٥٢ .
(٥) النساء : ١٤٧ .
(٦) آل عمران : ١٤٤ .
(٧) الاعراف : ١٧ .
(٨) سبأ : ١٣ .
(٩) ابراهيم : ٧ .
(١٠) التوبة : ٢٨ .
(١١) الأنعام : ٤١ .
(١٢) الشورى : ١٩ .

وقال تعالى : « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »[1] .

وقال تعالى : « ويتوب الله على من يشاء »[2] .

وقال بعضهم : كيف لا يكون الشكر مقاماً جليلاً وهو خُلق من أخلاق الربوبية .

قال تعالى في صفة نفسه : « والله شكور حليم »[3] .

وقد جعل الله تعالى مفتاح كلام أهل الجنة فقال : « وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده »[4] . وجعل خاتمة كلامهم أيضاً فقال : « وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين »[5] . وقيل للنبي صلى الله عليه وآله : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فلم تقوم الليل وتتعب نفسك، قال: أفلا أكون عبداً شكوراً[6]

فالحمد لله فاتحة الأشياء وخاتمة الدعوات، وقد قيل ما النهاية فقيل الرجوع إلى البداية :

كأن الحب دائرة بقلبي فأوله وآخره سواء[7]

وفي أول خطبة له عليه السلام قال : « الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره وسبباً للمزيد من فضله ودليلاً على آلائه وعظمته » .

قال الشارح : لأن أول الكتاب العزيز « الحمد لله رب العالمين » والقرآن هو الذكر قال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[8] . وسبباً للمزيد لأنه تعالى قال : « لئن شكرتم لأزيدنكم »[9] . والحمد ها هنا هو الشكر ومعنى

---

(١) النساء : ٤٨ .
(٢) التوبة : ١٥ .
(٣) التغابن : ١٧ .
(٤) الزمر : ٧٤ .
(٥) يونس : ١٠ .
(٦) شرح النهج ١٠/١٥١ – ١٥٢ .
(٧) روح المعاني ١/٦٤ .
(٨) الحجر : ٩ .
(٩) ابراهيم : ٧ .

جملة الحمد دليلاً على عظمته وآلائه ، أنه إذا كان سبباً للمزيد فقد دلّ ذلك على عظمة الصانع وآلائه . أما دلالته على عظمته فلأنه دال على أن قدرته لا تتناهى أبداً ، بل كلما ازداد الشكر ازدادت النعمة . وأمـــا دلالته على آلائه فلأنه لا جود أعظم من جود من يعطى من يحمده لا حمداً متطوعاً ، بـــل حمداً واجباً عليه [1] . قال المعتزلي :

ومن مستحسن ما وقفت عليه من تعظيم الباري عزّ جلاله بلفظ «الحمد لله» قول بعض الفضلاء في خطبة أرجوزة علمية :

الحمد لله بقـــدر الله	لا قدر وسع العبد ذي التناهي
والحمد لله الذي برهانـــه	أن ليس شأن ليس فيه شأنه
والحمد لله الذي من ينكره	فإنما ينكر من يصوّره [2]

قيل : العبد إذا حمد الله فقد ظفر بأربعة أشياء قضى حق الله فأدى شكره النعمة الماضية ، وتقرب من استحقاق ثواب الله ، واستحق المزيد من نعمائه قوله عليه السلام « الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر » يعني أنه تعالى أنعم على سبيل التفضل أولاً ، ثم أمر المكلفين أن يحمدوه على نعمه كما هو مركوز فيبداية العقول [3] .

---

(١) شرح النهج ٩/٢١٠ - ٢١١ .

(٢) شرح النهج ١/٦٠ .

(٣) مجمع البحرين في مادة « حمد » .

مقايسة الحمد مع الشكر والمدح

الذي عليه أكثر الادباء والمتكلمين أن الحمد والمدح اخوان لا فرق بينهما تقول : (حمدت زيداً على إنعامه، ومدحته على إنعامه، وحمدته على شجاعته، ومدحته على شجاعته) . فهما سواء يدخلان فيما كان من فعل الإنسان ، وفيما ليس من فعله كما ذكرناه من المثالين .

فأما الشكر فأخص من المدح لأنه لا يكون إلا على النعمة خاصة ، ولا يكون إلا صادراً من منعم عليه ، فلا يجوز عندهم أن يقال : (شكر زيد عمرواً لنعمة أنعمها عمرو على إنسان غير زيد) .

إن قيل : الاستعمال خلاف ذلك لأنهم يقولون : (حضرنا عند فلان فوجدناه يشكر الأمير على معروفه عند زيد) .

قيل : ذلك إنما يصح إذا كان إنعام الأمير على زيد أوجب سرور فلان فيكون شكر إنعام الأمير على زيد شكراً على السرور الداخل على قلبه بالإنعام على زيد، وتكون لفظة « زيد » التي استعيرت ظاهراً لاستناد الشكر إلى مسماها كناية لا حقيقة ، ويكون ذلك الشكر شكراً باعتبار السرور المذكور ، ومدحاً باعتبار آخر وهو المناداة على ذلك الجميل والثناء الواقع بجنسه .

ثم إن هؤلاء المتكلمين الذين حكينا قولهم يزعمون أن الحمد والمدح والشكر لا يكون إلا باللسان مع انطواء القلب على الثناء والتعظيم ، فإن استعمل شيء من ذلك في الأفعال بالجوارح كان مجازاً . أما اشتراطهم مطابقة القلب للسان ، فإن الاستعمال لا يساعدهم لأن أهل الاصطلاح يقولون: لمن مدح غيره أو شكره رياء وسمعة إنه قد مدحه وشكره وإن كان منافقاً عندهم [١] .

قال الزمخشري : الحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة.

وغيرها تقول : حمدت الرجل على إنعامه وحمدته على حسبه وشجاعته .

وأما الشكر : فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال :

وما كان شكري وافياً بنوالكم ولكنني حاولت في الجهد مذهبا
أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

والحمد باللسان وحده فهو إحدى شعب الشكر ، ومنه قوله عليه‌السلام : «الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده » . وأما جعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لهـا وأدل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب ، وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه ، والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران [٢] .

تقدم في صدر البحث تعميم متعلق الحمد لغير اللسان من القلب والجوارح فاختصاصه بالأول دون الأخيرين بلا مخصص . وأما القول بالاحتمال في الجوارح بخلاف عمل اللسان فلا وجه له لجريه فيه أيضاً كمن ينطق بالحمد لا للتحميد ، بل لاختبار مخارج الحروف كالمركب للأسنان بعد قلعها .

بين الحمد والمدح فروق الاول : ان المدح يعم ذوي العقل وغيره يقـال :

(١) شرح النهج ١/٥٨ .

(٢) تفسير الكشاف ١/٨ - ٩ .

مدحت زيداً أو لؤلؤة أو ياقوتة له ولا يقال حمدت اللؤلؤة .

الثاني : قد يكون المدح قبل الإحسان وبعده والحمد لا يكون إلا بعده ، ورد ان الحمد ربما تقدمه .

الثالث : ان المدح قد يكون منهياً كالحديث النبوي : « احثوا التراب في وجوه المادحين »[1] والحمد مندوب على الاطلاق. وجوابه واضح إذ الحمد في غير أهله منتهي إذا أوجب الثناء على الجميل الصادر منه ما يبغضه الله تعالى ، ولكنه غير وارد على الجواب لأن المدح والحمد كغيرهما من الامور قابل لأن يتعلق به الأحكام الخمسة الشرعية أي الوجوب أو الحرام أو الندب أو الكراهة أو الإباحة . لأسباب والفرق إنما هو مع الغض عن أي سبب .

الرابع : ان المدح هو القول الدال على نوع من أنواع الفضائل أياً ما كان والحمد هو الثناء الجميل على الجميل على جهة الانعام والاحسان ، وهذه الجهة غير ملحوظة في المدح .

وبين الحمد والشكر فرق وهو أن الأول يعمّ ما إذا وصل الانعام الذي جاء الحمد من أجله إليك أو إلى غيرك . والشكر مختص بالواصل إليك، وهذا الفرق موقوف على إنكار التقارب المعنوي ، وليس كذلك .

قال الشيخ الطبرسي : الحمد والمدح والشكر متقاربة المعنى ، والفرق بين الحمد والشكر أن الحمد نقيض الذم كما أن المدح نقيض الهجاء . والشكر نقيض الكفران والحمد قد يكون من غير نعمة والشكر يختص بالنعمة إلا أن الحمد يوضع موضع الشكر ويقال : « الحمد لله شكراً » فينصب شكر على المصدر .

ولو لم يكن الحمد في معنى الشكر لما نصبه ، فإذا كان الحمد يقع موقع الشكر فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون بالقلب وهو الأصل،

---

(١) الوسائل ١٢/١٣٢ .

ويكون أيضاً باللسان ، وإنما يجب باللسان لنفي تهمة الجحود والكفران . وأما المدح فهو القول المنبىء عن عظم حال الممدوح مع القصد إليه [١] .

وقال رشيد رضا : قالوا إن معنى الحمد الثناء باللسان وقيدوه بالجميل لأن كلمة (ثناء) تستعمل في المدح والذم جميعاً ، يقال أثنى عليه شراً كما يقال أثنى عليه خيراً وهذه الجملة خبرته ، ولكنها استعملت لإنشاء الحمد ، فأما معنى الخبرية فهو إثبات ان الثناء الجميل في أي أنواعه تحقق فهو ثابت له تعالى وراجع إليه لأنه متصف بكل ما يحمد عليه الحامدون فصفاته أجلّ الصفات وإحسانه عمّ جميع الكائنات، ولأن جميع ما يصح أن يتوجه إليه الحمد مما سواه فهو منه جلّ ثناؤه إذ هو مصدر الكون كله فيكون له ذلك الحمد أو لا وبالذات . أي حمد يتوجه إلى محمود ما فهو لله تعالى سواء لاحظه الحامد أو لم يلاحظه . وأما معنى الانشائية فهو أن الحامد جعلها عبارة عما وجهه من الثناء إلى الله تعالى في الحال .

ثم قال : التعريف المشهور بين العلماء للحمد أنه الثناء باللسان على الجميل الاختياري أي الفعل الجميل الصادر عن فاعله باختياره وأزيد عليهم أنه قد يحمد غير الفاعل المختار تنزيلا له منزلة الفاعل في نفعه ومنه «إنما يحمد السوق من ربح» وهذا هو المتبادر من استعمال اللغة وحذف بعضهم قيد الاختيار ليدخل في الحمد الثناء على الكمال [٢] .

أقول : صدر البحث عن حقيقة الحمد صرّحنا بالتعميم للاختيار وغيره .

قال المحقق الاصبهاني : المدح أعمّ من الحمد مطلقاً ويقابله الهجاء ، إذ المدح توصيف للحي ولغير ذي الحياة كاللؤلؤة والياقوتة الثمينة بخلاف الحمد أعمّ من كون التوصيف على الأمر الاختياري أو غيره ، إذ لا يقال: (حمدته على صباحة

---

(١) مجمع البيان ٢١/١ .   (٢) المنار ٤٩/١ – ٥٠ .

خده) ويقـال : مدحته عليها ، وزاد بعضهم أن المدح أعمّ من أن يكون قبل الاحسان أو بعده ، والحمد إنما يكون بعده وهو بعيد جداً ولعل منشأ الوهم أن عمدة الفضائل الاختيارية عند العرب هو الكرم فظن الاختصاص به ، أو أنه لا ينبغي الثناء إلا من المنعم عليه على المنعم فظن أن غيره ليس بحمد ، ومـا أبعد بينه وبين ما يظهر من عبادة الفائق أنهما مترادفان وهو ضعيف أيضاً ، ولو ورد في كلام العرب الحمـد على المعنى الأعمّ لم يكن بعيداً لكثرة توسعه المجازات في كلامهم كما أن كثرة وروده في مورد الاحسان لا يصير دليلاً على تخصيص أصل المعنى بـه كما يفصح عنه مقابلته بالذم الذي لا يختص بالبخل وترك الاحسان ، بل يحتمل أن يكون مطلق الثناء على القادر العالم حمداً، وإن كان باعتبار صفاته الذاتية الخارجة عن الاختيار على ما اختاره بعض المتأخرين فقال :

الحمـد هو الثناء على ربي علم بكماله ذاتياً كان كوجوب الوجود أو الاتصاف بالكمالات والتنزّه عن النقائص أو وصفياً ككون صفاته كاملة واجبة أو فعلية ككون أفعاله مشتملة على حكمة تعظيماً له . والشكر أعمّ من الحمد من وجه إذ هو على النعمة الواصلة إلى الشاكر خاصة إما باللسان أو بالقلب أو بالجوارح .

وأمـــا ما رواه القمي في الحسن بأبيه عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : « الحمد لله » إنه قال : « الشكر لله » [1] . الظاهر أن المراد من الشكر فيـــه الشكر باللسان فقط وهو على قسمين :

أحدهما : إظهار النعمة الواصلة إلى الشاكر باللسان .

ثانيهما : مطلق الثناء على المنعم لأجل كونه منعماً على الشاكر وأداء لحقه في الانعام . وكلاهما مندرجان تحت الحمد ولا يخرج الحمد عنهما إلا إذا لم يقع من جهة الانعام ، ولمـــا كانت سورة الحمد تعليماً للعباد في مخاطبتهم ومكالمتهم مع الله

---

(١) في روايات الحمدلة تحت الرقم ٢٣ .

سبحانه على ما يظهر من جملة من الأخبار وتوافقه الآيات في نفس السورة وكان من حق العبد المستغرق في نعم الله سبحانه أن يقصد أداء حق النعمة وان عجز عن إكماله على ما يستحقه صار الحمد شكراً لاندراجه تحت عنونه ويؤيده ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام : « ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال : الحمد لله إلا أدى شكرها »[1] .

ويمكن أن يكون في تفسير الحمد بالشكر إشارة إلى تعميم الحمد للثناء بلسان القال والثناء بلسان الحال إذ حقيقة الشكر على ما ذكره بعضهم : (إشاعة النعمة والابانة عنها) . فيعم ما كان باللسان أو العمل أو القلب . ونقيضه الكفران ينبيء عن الستر والتغطية ، ولما كان كل ثناء شكر لأياديه وأنعامه إذا قصد به أداء حق النعمة[2] .

وقال البلاغي طاب ثراه : الحمد ثناء بالخير معروف يضعه المتكلم بحسب مرتكزاته في اللغة مواضعه ويعرف معناه بمزاياه ويفرق بينه وبين ما يقارنه في الاستعمال والفهم ، ولكن الاضطراب يجيء من ناحية التفسير ، فمن قائل إنه أخو المدح أي مرادفه .

ومنهم من فسّره بالشكر مستشهداً بقولهم : « الحمد لله شكراً عاجلاً » . قولهم شكراً مفعولاً مطلقاً لا مفعولاً لأجله .

ومنهم من قال : إن الحمد والمدح والشكر متقاربة .

ومنهم من جعله على صفات المحمود الذاتية وعلى عطائه .

ومنهم من خصه بالثناء على الفعل الجميل الاختياري .

والظاهر من التدبر في موارد الاستعمال والتبادر : أن الحمد هو الثناء باللفظ بالخير على فعل الجميل الاختياري إذا كان للجميل نحو مساس بالحامد وإلا فهو

---

(١) تحت الرقم ٣١ من روايات الحمدلة .　　(٢) تفسيره المختصر ١٢٥ - ١٢٧ .

مدح ، وأمـا الشكر فهو مقابلة الاحسان بنوع إحسان يتضمن الاعتراف سواء كان عملاً أو قولاً ولو بنحو من الاعتراف بذلك الاحسان وفضله ، لا بمجرّد الاعتراف بذات الفعل لا من حيث أنه إحسان وتفضل . ولا أظن قولهم : « الحمد لله شكراً » إلا أن (شكراً) مفعول لأجـله نحو (سبحته تعظيماً) . وأن فاعل الجميل من الناس إنمـا يستحق الحمد إذا فعله لحسنه أو لوجه الله وهو روح الاتيان بالفعل لحسنه .

« وقليل ما هم » [1] . بـل لا يستحقه حق في الظاهر إذا عرف أنه لم يفعله الله ولا لحسنه ، وذلك القليل لا يستحق الحمد إلاّ من حيث مباشرته لفعل الجميل واختياره له ، فإن القوى التي فعل بها والادراك الذي عرف به حسنه والارشاد إلى فعل الجميل والأعيان التي تكون محققة لاسداء الجميل هي كلهـا لله ، ومن الله جلت آلاؤه ولذا كان الحمد كله وبحقيقته لله الغني المطلق الذي لا تحصى نعماؤه ولا يخلو من عظمائها إنسان في حال من الأحوال [2] .

إنما جمعت من أقوال العلماء هـــذه النبذ لعلك تعرف الحق ألا حق بالاتباع والمستفاد من روايات المقام ان شكر النعمة اجتناب المحارم وتمـام الشكر قول الرجل : « الحمد لله رب العالمين » [3] . اللهم اجعل آخر دعوانا هـــذه الكلمة الشريفة وألهمنا شكر النعم آمين بمحمد وآله الطاهرين (ع) .

---

(١) المصدر ٢٤ .   (٢) تفسير آلاء الرحمن ٥٤ – ٥٥ .

(٣) تحت الرقم ٢٤ من الروايات .

ألف ولام « الحمد لله »

قال الطباطبائي : واللام فيه للجنس أو الاستغراق والمـآل واحد ، وذلك إن الله سبحانه يقول : « ذلكم الله ربكم خالق كل شيء » غافر : ٦٢ . فأفاد ان كل ما هو شيء فهو مخلوق لله سبحانه . وقال : «الذي أحسن كل شيء خلقه» السجدة : ٧ . فأثبت الحسن لكل شيء مخلوق من جهة أنـه مخلوق له منسوب إليه ، فالحسن يدور مدار الخلق ، وبالعكس فـلا خلق إلا وهو حسن جميل بإحسانه ولا حسن إلا وهو مخلوق له منسوب إليه ، وقد قال تعالى : « هو الله الواحد القهار » الزمر: ٤ . وقال: « وعنت الوجوه للحيّ القيوم » طه : ١١١. فأنبأ أنه لم يخلق ما خلق بقهر قاهر ، ولا يفعل مـا فعل بإجبار من مجبر ، بل خلقه عن علم واختيار ، فمـا من شيء إلا وهو جميل إختياري له فهذا من جهة الفعل، وأما من جهة الاسم فقد قال تعالى : «الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى» طه : ٨ . وقال تعالى : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه » . الأعراف : ١٨٠ . فهو تعالى جميل في أسمائـه ، وجميل في أفعاله وكل جميل منه [١] .

الظاهر ان اللام في الحمـد للجنس حيث لا عهد بأقسامه الثلاثة من الذكر

---

(١) تفسير الميزان ١/١٩ .

والذهن والخارج . وجنس الشيء تعبير عن حقيقته التي يمتاز بها عن غيره ، وهو على حـــد تعبير بعض : الجنس هو المهية اللا بشرط المقسمي المعراة . واللام في « لله » للاختصاص فمعنى الجملة الخبرية : ان مهية الحمـــد وحقيقته بعنوانها الكلي مختص بالله تعالى وملك له وحق له دون غيره ، وباعتبار دخول لام الاختصاص على المسند إليــه مع اللام الداخلة على الحمد يفيد الاستغراق الاختصاصي ومفاده انحصار المهية بما لها من أفراد متصورة من الحمد في الله تعالى وهو المستحق وحده له وهذا هو التوحيد في مقام التحميد .

فإن قيل : الحسن والقبح العقليان اللذان عليهما العدلية ثابت في أفعال العباد ومعنى الحسن العقلي ما يستحق فاعله المدح ومنه الفعل الحسن الاختياري وعليه يتجه تشنيع الجبرية عليهم بأنكم تثبتون للعبد فعلاً واختياراً ، ومن المعلوم أن الإيمان من أشرف النعم التي يستحق معها الحمـــد فلو كان ذلك بفعل العبد لكان مستحقاً للتحميد دونه تعالى .

قلت : قبل الجواب ان العدلية فرقتان : فرقــة أرادوا أن يصفوا الله بعدله فأخرجوه عن سلطانه وهم القدرية الذين جاء فيهم أنهم مجوس هــذه الامة [١] . وفرقة هي النمرقة الوسطى جمعوا بين التوحيد بجميع مراتبه والعدل الإلهي وهم أهل الحق .

أما الجواب : فالله تعالى هو المتفضل على العبــــاد بموهبة المواد والاقتدار والإرادة والاختيار على فعل الشيء وتركه من غـير قهر في طرفيه أي في الفعل والترك فله تعالى وحده الاستحقاق للحمد كله وله الحق الثابت فيذمة العباد لو لم يؤدوه كانوا مقصرين بكل معنى الكلمة ولا ينافي حمـــد بعضهم بعضاً على فعل جميل صادر منهم إذ هو عائد فيالحقيقة إليه تعالى لأنه الموفق لذلك الفعل الجميل ولولا إقداره لما صدر عنه ، وبعد الإقدار العبد مخيّر بـين طرفي الشيء تركاً أو

(١) اصول الكافي ١/٥٧ أو فيهامشه القدرية وهم قوم يجحدون القدر لسان العرب في قدر.

فعلاً لا مسير فهو يتقلب بين التوفيق والخذلان إن الله تعالى هو المفيض على العباد فيوض الكمالات ومنها الايمان فالحمد كله لله تعالى .

والثناء الذاتي لا يستحق أحد من الخلق له ، ولئن كان ثناء لفاعل الحسن منهم فإنه أمر صوري يحكم به العقل على قواعد التحسين والتقبيح خلافاً للأشعري حيث لا يرى حسناً أو قبحاً عقلياً ، ومعنى استحقاق فاعل الحسن من الخلق الحمد والثناء ان العقل قاض على لزوم ذلك على كل فعل جميل سواء كان صدوره من الله تعالى أو من الخلق ، وفي هذه القضاوة إذا أدرك أن الجميل أتى من جهة إقدار الله تعالى له وبتوفيقه لم ير غير الله يستحق أي محمدة ، بل يقصرها على الله وحده ، ثم العبد بعد موهبة القدرة والحياة والرزق وسائر ما به قوامه إذا قام بوظائف العبودية اثيب أو تمرّد وطغى عوقب وهذا الثواب والعقاب ، إنما هو بحكم العقل السليم واستحقاق الثواب ليس إلا تفضلاً وكرماً، وهذا أيضاً بقضاوة من العقل بعد إدراك موهبة المواد التي توفق العبد على الطاعة لولاها لم تتحقق طاعة المطيع ، وأما المعصية هب أنها بالمواد التي لولاها لما صدرت إلا أن المواد الاخرى كانت تحت الاختيار أيضاً ، فليس مقهوراً بمادة العصيان أو الطاعة كما في البهائم أو الملائكة فإنها مسيّران لا مخيّران « ان الله خلق البهائم وركب فيهم الشهوة ، وخلق الملائكة وركب فيهم العقل ، وخلق الانسان وركب فيه الشهوة والعقل ، فمن غلب عقله على شهوته فهو أعلى من الملائكة ، ومن غلبت شهوته على عقله فهو أدنى من البهائم »[1] .

قيل اللام في : « الحمد لله » يحتمل وجوهاً أحدها : الاختصاص اللائق . وثانيها : الملك كقولك الدار لزيد . وثالثها : القدرة والاستيلاء كقولك : البلد للسلطان. فإن حملته على الاختصاص اللائق، فمن المعلوم أنه لا يليق الحمد إلا به لغاية جلاله وكثرة فضله وإحسانه، وإن حملته على الملك فمعلوم أنه تعالى مالك

---

(١) الوسائل ١١/١٦٤ .

للكل فوجب أن يملك منهم كونهم مشتغلين بحمده : وإن حملته على الاستيلاء والقدرة ، فالحق سبحانه وتعالى كذلك لأنه واجب لذاته وما سواه ممكن لذاته والواجب لذاته مستول على الممكن لذاته فالحمد لله ، بمعنى أن الحمد لا يليق إلا به وبمعنى أن الحمد ملكه وبمعنى أنه هو المستولي على الكل المستعلي على الكل[1].

وقيل : اللام في «الحمد» للاستغراق أي استغراق جميع أجناس الحمد وثبوتها لله تعالى تعظماً وتمجيداً كما في الحديث: «اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله»[2]. الملك والحمد في حقه تعالى متلازمان فكل ما شمله ملكه وقدرته شمله حمده فهو محمود في ملكه وله الملك والقدرة مع حمـده فكما يستحيل خروج شيء من الموجودات عن ملكه وقدرته يستحيل خروجها عن حمده وحكمته، ولهذا يحمد سبحانه نفسه عند خلقه وأمره ليبينه عباده على أن مصدر خلقه وأمره عن حمده فهو محمود على كل ما خلقه وأمره بـه حمد شكر وعبودية ، وحمد ثناء ومدح ويجمعها التبارك فتبارك الله يشمل ذلك كله ، ولهذا ذكر هـذه الكلمة عقيب : « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين »[3] . فالحمد أوسع الصفات وأعم المدائح ، والطرق إلى العلم به في غاية الكثرة والسبيل إلى اعتباره في ذرات العالم وجزئياته وتفاصيل الأمر والنهي واسعة جـداً لأن جميع أسمائه تبارك وتعالى حمد وصفاته حمد وأفعاله حمد وأحكامه حمد وعدله حمـد ، وانتقامه من أعدائه حمد ، وفضله في إحسانه إلى أوليائه حمد والخلق والأمر إنما قال بحمده ، ووجد بحمده ، وظهر بحمده وكان الغاية هي حمده، فحمده سبب ذلك وغايته ومظهره وحامله فحمده روح كل شيء وقيام كل شيء بحمده وسريان حمده في الموجودات وظهور آثاره فيه أمر مشهود بالأبصار والبصائر .

وبالجملة فكل صفة علياء ، واسم حسن ، وثناء جميل . وكل حمـد ومدح

---

(١) تفسير الرازي ١/١١٦ .

(٢) هامش تفسير القاسمي ٢/٦ .

(٣) الاعراف : ٥٤ .

وتسبيح وتنزيه، وتقديس وجلال واكرام ، فهو لله عز وجل على أكمل الوجوه، وأتمها وأدومها، وجميع ما يوصف به ويذكر به ويخبر عنه به فهو محامد له وثناء وتسبيح وتقديس فسبحانه وبحمده لا يحصى أحد من خلقه ثناء عليه [1] .

استخرجت هذه التفاصيل من كلمة « الحمد لله » بدلالة مادة التحميد واللام المداخلة عليها سواء كانت للجنس أو الاستغراق واللام في « لله » للاختصاص أو للملك أو للقدرة والاستيلاء .

فله الشكر خالصاً دون سائر ما يعبد ودون كل ما يرى من خلقه بما أنعم عليهم حتى تمكنوا من إيجاد سبب الحمد ، فإنهم وإن أسدوا الجميل إلى مواضعه اللائقة به إلا أن الجميل لولا إقدار الله تعالى لمصدره ومسديه لما صدر فالحمد كله لله تعالى أول كل شيء وآخره وظاهر كل شيء وباطنه .

وللقوم أبحاث حول الكلمة الشريفة لفظية وتفسيرية ، والمهم من التعرض إليها الاستطراق إلى المعرفة الكاملة بالغرض الذي من أجله نزلت آية الحمد وفاتحة الكتاب وهي التي جاء في روايات أهل البيت (ع): « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب » [2] . وعلى الأقل حساباً في كل يوم وليلة تقرأ عشر مرات كما ذكرناها في صدر الكتاب ، والحمد من أظهر ما يتحقق به العبودية لله تعالى لأنه اعتراف بالملك له جلّ جلاله بما يمتلك من حياة وقدرة وعلم وسائر نعم الله تعالى عليه .

(١) تفسير القاسمي ٢/٦ – ٧ .

(٢) الوسائل ٤/٧٣٢ .

المطلب الثالث

الربّ عزّ اسمه

الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد ، والمدبر، والمربي، والقيم ، والمنعم ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى ، وإذا أطلق على غيره أضيف فيقال : (رب كذا) ، وقد جاء في الشعر مطلقاً على غير الله تعالى وليس بالكثير . وفي أشراط الساعة « وأن تلد الامة ربها أو ربتها » أراد به في الحديث المولى والسيد يعني أن الامة تلد لسيدها، ولذا فيكون لها كالمولى لأنه في الحسب كأبيه أراد أن السبي يكثر والنعمة تظهر في الناس فتكثر السراري . وبمعنى الصاحب ومنه حديث إجابة المؤذن : « اللهم رب هذه الدعوة التامة » أي صاحبها .

وقيل : المتمم لها والزائد في أهلها والعمل بها والإجابة لها . والمعبود ومنه حديث عروة بن مسعود : « لما أسلم وعاد إلى قومه دخل منزله فأنكر قومه دخوله قبل أن يأتي الربة » يعني اللات وهي الصخرة التي كانت تعبدها ثقيف بالطائف [1] .

وبمعنى المعبود أو الإله ومنه قوله تعالى : « فلما رأى القمر بازغاً قال : هذا ربي » ، « فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربي هذا أكبر » [2] . أي إلهي ومعبودي في مقام الاحتجاج مع قومه إبطالاً لألوهية غير الله بالافول .

وبمعنى المليك أو السيد ومنه « ارجع إلى ربك » [3] . أي إلى سيدك ومليكك .

---

(١) نهاية ابن الأثير في (ربب) .
(٢) الأنعام : ٧٧ - ٧٨ .
(٣) يوسف : ٥٠ .

وبمعنى المربي والتربية ، ومن ذلك حديث صفوان بن أمية قال لأبي سفيان يوم حنين : « لأن يربني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن »[1] .

وعن ابن الأنباري : الرب ينقسم على ثلاثة أقسام : يكون الرب المالك ، ويكون الرب السيد المطاع ، قال تعالى : « فيسقي ربه خمراً »[2] . أي سيده ويكون الرب المصلح ، رب الشيء إذا أصلحه وأنشد :

يرب الذي يأتي من العرف أنه   إذا سئل المعروف زاد وتمما

قال الشيخ الطوسي : وأما (الرب) فله معان في اللغة فيسمى السيد المطاع رباً قال لبيد بن ربيعة :

فأهلكن قدماً رب كندة وابنه   وربّ معدّ بين خبت وعرعر

يعني سيدة كندة ويسمى الرجل المصلح رباً ، قال الفرزدق بن غالب :

كانوا كسائلة حمقاء إذ حقنت   سلائها في أديم غير مربوب

يعني غير مصلح ومنه قيل فلان (رب ضيعة) إذا كان يحاول إتمامها : ومتى قيل في الله إنه رب بمعنى أنه سيد فهو من صفات ذاته تعالى، وإذا قيل إنه مدبر مصلح فهو من صفات الأفعال[3] .

وقال الشيخ الطبرسي : من معاني الرب المالك نحو قول النبي ﷺ : (أرب غنم أم رب إبل، فقال : من كل ما أتاني الله فأكثر وأطيب) ومن معنى الصاحب قول أبي ذؤيب :

قد ناله رب الكلاب بكفه   بيض رهاب ريشهن مفرع[4]

---

(١) النهاية في (ربب) .

(٢) يوسف : ٤١ .

(٣) تفسير التبيان ١/١٢ .

(٤) مجمع البيان ١/٢١ – ٢٢ .

وبمعنى القاهر ومنه (أعوذ بك من ولد يكون عليّ ربّاً) أي قاهراً متعلياً[1] فتلخص أن الرب يطلق على المالك، والسيد، والمليك، والمدبّر، والمربّي، والقيم، والمنعم، والمصلح، والصاحب، والسيد المطاع، والقاهر، والمعبود، والإله. وجميع هذه المعاني مقول عليه تعالى.

وقد جاء في القرآن من هذه اللفظة المباركة ما يبلغ إلى ٩٦٩ موضعاً يحتمل المعاني المذكورة والذي يقوى في النظر أن الأصل في معنى هذا اللفظ التربية وإصلاح شأن المربوب، وفسّرت التربية بتبليغ الشيء كما له تدريجاً وإطلاقه أي اسم الرب على المالك والسيد وغيرهما باعتبار شأنية القيام بشؤون المربوب وتربيته كما في (المدبر) و(المنعم) لما في التدبير والانعام علقة القيام ببعض شؤون المدبّر بالفتح والمنعم عليه، وكذا (الصاحب) لتصديه ببعض حاجات المصحوب. ومما يؤكد ذلك جملة من المشتقات كالربيبة التي تربت في دار الرجل وحجره، قال تعالى: « وربائبكم التي في حجوركم »[2].

حيث النظر فيهن إلى المعنى الوصفي أي التربية و« التربى » على زنة (فعلى) الشاة التي وضعت حيث همها تربية ولدها و« والربيئة » واحدة الربابيب للغنم التي تربيها الناس في البيوت لغاية ألبانها و« المربيات » يقال: (زنجبيل مربب ومربى) بمعنى والمراد بالتربية ليس خصوص التغذية بما يعم للحيوان والنبات، بل إصلاح شأن الشيء مطلقاً من رزق وعطاء ما يحتاج إليه ودفع ما يضاره وينافيه، وخلقه الذي لولاه لما كان لأي شأن من الشؤون مساغ فما لم يخلق لم يكن لهدايته إلى رزقه وغيره معنى، ولهذا قال تعالى عن لسان موسى عليه السلام مخاطباً لفرعون: « قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى »[3].

---

(١) مجمع البحرين في (ربب).　　(٢) النساء: ٢٣.

(٣) طه: ٥٠.

وعليه فالرب هو القائم بأمر المربوب من خلق ورزق وإعطاء كل ما يحتاج إليه ودفع كل ما ينافي هذه الامور ، وقد صرّح بذلك بعض روايات الحمدلة .

منها تفسير الامام العسكري عليه السلام جاء فيه : « فأما الحيوانات فهو يقلبها في قدرته ويغذوها من رزقه ويحيطها بكنفه ويدبر كلا بمصلحته . وأما الجمادات فهو يمسكها بقدرته يمسك ما اتصل منها من التهافت أن يتهافت ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ويمسك الأرض أن تخسف إلا بأمره إنه بعباده لرؤوف رحيم »[1] .

وأما عدم استعمال «الرب» في غيره تعالى إلا مع إضافة ما فلدفع توهم العموم المستفاد من حذف متعلقه ، وذلك لأن حذف ما يضاف إليه حيث لا معهودية مفيد للعموم وهو منحصر فيه تعالى دون غيره جلّ وعلا ، وإطلاق الرب على المخلوق إطلاق توسعي لأنه في صورة المربى إذ لم يملك من أدوات التربية شيء لأنه تعالى هو وحده المالك لكل شيء ، فلو جعل الرب هنا بمعناه أي بمعنى المالك ففي محله الحقيقي ، ويمكن أن يكون إطلاق الرب بمعناه الوصفي على كل مرب إطلاقاً حقيقياً ، ولكن مع لحاظ إقدار الله تعالى له ، وهذا يرجع بالآخرة إليه تعالى ، فالحقيقة ثابتة من هذه الحيثية لا بدون اللحاظ المذكور فإنه استعمال توسعي عرفي لا غير فافهم . والرب بلازمه العقلي يدل على أنه يملك المربوب ملكاً تكوينياً أي السلطنة الحقيقية القهرية التي تقتضي المملوكية بما لها من المعنى ويدل على العلم عقلاً بما يصلح المربوب في كل شؤونه وإلا لما كان شيء من التربية واقعاً ومتحققاً في المربوب للجهل بذلك وهو منتف بالنسبة إلى الله تعالى .

قال الحقي : والرب بمعنى التربية والاصلاح ، أما في حق العالمين فيربيهم بأغذيتهم وسائر أسباب بقاء وجودهم ، وفي حق الانسان فيربي الظواهر بالنعمة وهي النفس ويربي البواطن بالرحمة وهي القلوب ويربي نفوس العابدين بأحكام

---

(١) انظر الرقم ٥٤ من الروايات .

الشريعة ويربي قلوب المشتاقين بآداب الطريقة ، ويربي أسرار المحبين بأنوار الحقيقة ، ويربي الانسان تارة بأطواره وفيض قوى أنواره في أعضائه فسبحان من أسمع الانسان بعظم وبصر بشحم ، وأنطق بلحم [1] . وأخرى بترتيب غذائه في النبات بحبوبه وثماره ، وفي الحيوان بلحومه وشحومه وفي الأراضي بأشجاره وأنهاره ، وفي الافلاك بكواكبه وأنواره ، وفي الزمان بسكونه وحركته [2] .

قال أبو السعود : أما شمول ربوبيته عزّ وجل للكل فما لا حاجة إلى بيانه إذ لا شيء مما أحدق به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجرّدات والماديات والروحانيات والجسمانيات إلا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية عنه آناً واحداً لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار إلا في معمورة العدم ومهاوي البوار ، لكن يفيض عليه من الجناب الأقدس تعالى شأنه وتقدّس في كل زمان يمضي وكل آن يمر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته ما لا يحيط به ، فلك التعبير ولا يعلمه إلا العليم الخبير ضرورة أنه كما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء ، وإنما ذلك من جناب المبدأ الأول عزّ وعلا فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسدّ عليه أنحاء عدمه الأصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بملته ما لم ينسدّ عليه جميع أنحاء عدمه الطارىء لما أن الدوام من خصائص الوجود الواجبي ، وظاهر أن ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه ، وإن كانت متناهية لوجود تناهي ما دخل تحت الوجود ، لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده وهي المعبّر عنها بارتفاع الموانع ، ليست كذلك إذ لا استحالة في أن يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده أو بقاؤه على ارتفاعها أي بقائها على العدم مع إمكان وجودها

---

(١) اقتباس من النهج ١٨/١٠٣ .

(٢) تفسير روح البيان ١/١٣ .

في نفسها ، فإبقاء تلك الموانع التي لا تتناهى على العـدم تربيته لذلك الشيء من وجوده غـير متناهية ، وبالجملة فآثار تربيته عز وجل الفائضة على كل فرد من أفراد الموجودات في كل آن من آنات الوجود غير متناهية ، فسبحانه سبحانه ما أعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بأنظارها ولا تطالعه العقول بأفكارها شأنه لا يضاهى وإحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون،وفي إقامة مراسم شكره قاصرون [1] .

وقـال غيره : والرب في الأصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله بحسب استعداده الأزلي شيئاً فشيئاً فكأنها من ربا الصغير كملا إذا نشأ فعدى بالتضعيف ووصف بـه للمبالغة الحقيقية والصورية فالتجوز فيه إما عقلي من قبيل « فإنما هي إقبال وإدبار » أو لغوي كـ « اسأل القرية » وقيل هو صفة مشبهة ، وفي شرح التسهيل أنه ممنوع والظاهر أنه من مبالغة اسم الفاعل أو هو اسم فاعل... قاله أبو حيان ويؤيده إضافته إلى المفعول، وقد ذكروا أن الصفة المشبهة تضاف إلى الفاعـــل ويطلق على الخالق والسيد والملك والمنعم والمصلح والمعبود والصاحب إلا أن المشهور كونه بمعنى التربية، فلهذا قال بعض المحققين: إنه حقيقة فيه لأن التبادر امارتها ، وفي البواقي : إما مجاز أو مشترك ، والأول أرجح وحمله الزمخشري هنا على معنى المالك ، ولعلّ مـا اخترناه خير منه لأنه بعد تسليم أنه حقيقة في ذلك يؤدي إلى أن يكون: « مالك يوم الدين » في سورة الفاتحة تكراراً لدخوله في « رب العالمين » . على أن مختارنا أنسب بالمقـام لأن التربية أجل النعم بالنسبة إلى المنعم عليه وأدل على كمال فعـــله تعالى وقدرته وحكمته تدلك على ذلك الآثار وما فيها من الأسرار [2] .

قال الرازي : (المربي) على قسمين أحدهما : أن يربي شيئاً يربح عليه المربي والثاني : أن يربيه ليربح المربي . وتربية كل الخلق على القسم الأول لأنهم إنمـــا

---

(١) هامش تفسير الفخر الرازي ٢٧/١ – ٢٨ . (٢) تفسير روح المعاني ٧٣/١ .

يربون غيرهم ليربحوا عليه اما ثواباً أو ثناءً .

والقسم الثاني هو الحق سبحانه كما قــال : « خلقتكم لتربحوا عليّ لا لأربح عليكم »[1] . فهو تعالى يربي ويحسن وهو بخـلاف سائر المربين وبخلاف سائر المحسنين . واعلم أن تربيته تعالى مخالفة لتربية غيره وبيانه من وجوه :

الأول : ما ذكرناه أنه تعالى يربي عبيده لا لغرض نفسه، بل لغرضهم وغيره يربون لغرض أنفسهم لا لغرض غيرهم .

الثاني : ان غيره إذا ربّى فبقدر تلك التربية يظهر النقصان في خزانته وفي ماله[2] . وهو تعالى متعال عن النقصان والضرر كما قال تعالى: « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما نزل إلا بقدر معلوم »[3] .

الثالث : ان غيره من المحسنين إذا ألح الفقير عليه أبغضه وحرمه ومنعه . والحق تعالى بخلاف ذلك ، كما قــال عليه السلام : « ان الله تعالى يحب الملحين في الدعاء »[4] .

الرابع : من المحسنين ما لم يطلب منه الاحسان لم يعط . أما الحق تعالى فإنه يعطي قبل السؤال ألا ترى أنه رباك حال ما كنت جنينا في رحم الام وحال ما كنت جاهلاً غير عاقل ووقاك وأحسن إليك مع أنك مـا سألته وما كان لك عقل ولا هداية .

الخامس : ان غيره من المحسنين ينقطع إحسانه إما بسبب الفقر أو الغيبة أو الموت ، والحق تعالى لا ينقطع إحسانه البتة .

السادس : ان غيره من المحسنين يختص إحسانه بقوم دون قوم ولا يمكنه

---

(١) الظاهر أنه حديث قدسي .

(٢) يزيد بالخزانة المادية وإلا فالتربية بالعلوم والأخلاق تزيد ولا تنقص .

(٣) الحجر : ٢١ . (٤) الوسائل ١١٠٩/٤ جاء في معناه عن أهل البيت (ع) .

التعميم . أما الحق تعالى فقد وصل تربيته وإحسانه إلى الكل كما قال: « ورحمتي وسعت كل شيء »[1] . فثبت أنـــه تعالى « رب العالمين » ومحسن إلى الخلائق أجمعين ، فلهذا قال تعالى في حق نفسه : « الحمد لله رب العالمين »[2] .

أقول : من سوء الأدب مع الرب تعالى المقايسة بصفات المخلوقين المربوبين ، فإنه جلّ جلاله لا تجري عليه صفاتهم ، وربما يعتذر عن ذلك ان البيان المذكور لتقريب أفهام العامة .

ثم قال هذا القائل : وجوه تربية الله للعبد كثيرة غير متناهية ، ونحن نذكر أمثلة :

المثال الأول : لما وقعت قطرة النطفة من صلب الأب إلى رحم الام فانظر كيف أنها صارت علقـــة أولاً ثم مضغة ثانياً ثم تولدت منها أعضاء مختلفة مثل العظام والغضاريف والرباطات والأوتار والأوردة والشرايين ثم اتصل البعض بالبعض ثم حصل في كل واحـد منها نوع خاص من أنواع القوى فحصلت القوة الباصرة في العين ، والسامعة في الأذن ، والناطقة في اللسان ، فسبحان من أسمع بعظم وبصر بشحم ، وأنطق بلحم[3] .

المثال الثاني : ان الحبة الواحدة إذا وقعت في الأرض فـــإذا وصلت نداوة الأرض إليها انتفخت ولا تنشق من شيء من الجوانب إلا من أعلاها وأسفلها مع ان الانتفاخ حاصل من جميع الجوانب ، أما الشق الأعلى فيخرج منه الجزء الصاعد من الشجرة ، وأمـا الشق الأسفل فيخرج منه الغائص في الأرض وهو عروق الشجرة ، فأما الجزء الصاعد فبعد صعوده يحصل له ساق ثم ينفصل من ذلك الساق أغصان كثيرة ثم يظهر على ذلك الأغصان الأنوار أولاً ثم الثمار ثانياً ويحصل لتلك الثمار أجزاء مختلفة بالكثافة واللطافة وهي القشور ثم اللبوب ثم

---

(١) الأعراف : ١٥٦ .
(٢) التفسير الكبير ١/١٢١ - ١٢٢ .
(٣) مأخوذ من النهج ١٨/١٠٣ .

الأدهان ، وأما الجزء الغائص من الشجرة فإن تلك العروق تنتهي إلى أطرافها، وتلك الاطراف تكون في اللطافة كأنها مياه منعقدة ، ومع غاية لطافتها فإنها تغوص في الارض الصلبة الخشنة ، وأودع الله فيها قوى جاذبة تجذب الاجزاء اللطيفة من الطين إلى نفسها ، والحكمة في كل هذه التدبيرات تحصيل ما يحتاج العبد إليه من الغذاء والادام والفواكه والاشربة والادوية ، كما قال تعالى : «إنا صببنا الماء صباً ثم شققنا الارض شقاً » الآيات [1] .

المثال الثالث : انه وضع الافلاك والكواكب بحيث صارت أسباباً لحصول مصالح العباد فخلق الليل ليكون سبباً للراحة والسكون وخلق النهار ليكون سبباً للمعاش والحركة « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب مـا خلق الله ذلك إلا بالحق » [2] . « وهو الذي جعل النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر » [3] . واقرأ قوله تعالى : « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً » إلى آخر الآية [4] .

واعـلم أنك إذا تأملت في عجائب أحوال المعادن والنبات والحيوان وآثار حكمة الرحمن في خلق الانسان قضى صريح عقلك ، ان أسباب تربية الله كثيرة ودلائل رحمته لائحة ظاهرة ، وعند ذلك يظهر قطرة من بحـار أسرار قوله : « الحمد لله رب العالمين » .

واعلم ان الحراس يحرسون الملك كل ليلة ، فهل يحرسونه عن لدغ الحشرات وهل يحرسونه عن أن تنزل به البليات ، أما الحق تعالى فإنه يحرسه من الآفات ويصونه من المخلوقات ، بعد ان كان قـــد زجّ أول الليل في أنواع المحظورات وأقسام المحرمات والمنكرات فما أكبر هذه التربية ، وأحسنها أليس من التربية

---

(١) عبس : ٢٥ – ٢٦ .
(٢) يونس : ٥ .
(٣) الأنعام : ٩٧ .
(٤) النبأ : ٦ .

أنه ﷺ قال : « الآدمي بنيان الرب ملعون من هدم بنيان الرب » [1] . قال تعالى : « قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن » [2] [3] .

لعل الاتيان بالاسم المبارك أي الرب بعد قول « الحمد لله » لبيان علة التحميد وأنه تعالى يستحقه لكونه رب العالمين ، فـــلا بدّ من قصر الحمد كله له تعالى ، ولكن كلمة الجلالة أي « الله » بعد الحمد أقرب لأن تكون علة له لأن هذا الاسم الشريف جامع لكل صفات الجمال والجلال كما تقـدم البحث عنه بتفصيل [4] . وعليه فهو من باب ذكر اسم الخاص بعد ما دلّ على جميع الصفات الكمالية التي منها التربية ، والله تعالى هو العالم .

---

(١) لم أعثر عليه .

(٢) الأنبياء : ٤٢ .

(٣) التفسير الكبير ١٢٢/١ .

(٤) انظر المقصد السادس من مقاصد البسملة الثانية .

المطلب الرابع

العالمـــين



مفرد العالمين العالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والجيش وغير ذلك ، والعالم في عرف اللغة عبارة عن جماعة من العقلاء لأنهم يقولون: جاء عالم من الناس ولا يقولون : جاء عالم من البقر ، وفي عرف الناس عبارة عن جميع المخلوقات . وقيل : هو اسم لكل صنف من الأصناف وأهل كل زمن من كل صنف يسمى عالماً ، ولذلك جمع وقيل عالمون لعالم كل زمان ، قال العجاج :

فخندف هامة هذا العالم

وهذا قول أكثر المفسّرين كابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما ، ولعل ما تعارف عليه الناس من جميع المخلوقات هو الأقرب لدلالة قوله تعالى: « قال وما رب العالمين ، قال : رب السماوات والأرض وما بينهما » [١] .

وقوله جلّ ثناؤه : « ليكون للعالمين نذيراً » [٢] . وقيل : هم الانس خاصة لقوله تعالى : « أتأتون الذكران من العالمين » [٣]. مع ان في نفس الآية دلالة على التعميم أي من بينهم أو بعض العالمين بناء على تفسير الجارة به .

وقال بعض المفسرين : « رب العالمين » يشعر هذا الوصف ببيان وجه الثناء المطلق . ولفظ « العالمين » جمع عالم بفتح اللام جُمع جمع المذكر العاقل تغليباً ، واريد به جميع الكائنات الممكنة أي أنه رب كل ما يدخل في مفهوم لفظ العالم

---

(١) الشعراء : ٢٣ .　　(٢) الفرقان : ١ .

(٣) الشعراء : ١٦٥ .

وما جمعت العرب لفظ العالم هذا الجمع إلا لنكتة تلاحظها فيه ، وهي ان هـذا اللفظ لا يطلق على كل كائن وموجود كالحجر والتراب ، وإنما يطلقونه على كل جملة متايزة لأفرادها صفات تقربها من العاقل الذي جمعت جمعه إن لم تكن منه ، فيقال عالم الانسان ، وعالم الحيوان ، وعالم النبات ، ونحن نرى أن هذه الأشياء هي التي يظهر فيها معنى التربية الذي يعطيه لفظ « رب » لأن فيها مبدأها وهو الحياة والتغذي والتولد وهذا ظاهر في الحيوان، ولقد كان السيد (أي جمال الدين الأفغاني) رحمه الله تعالى يقول : الحيوان شجرة قطعت رجلها من الارض فهي تمشي والشجرة حيوان ساخت رجلاه في الارض فهو قائم في مكانه يأكل ويشرب وإن كان لا ينام ولا يعقل هذا ملخص ما قاله الاستاذ الامام وأزيد الآن : ان بعض العلماء قال : ان المراد هنا أهل العلم والادراك من الملائكة والانس والجن ويؤثر عن جدنا الامام جعفر الصادق عليه الرضوان أن المراد به الناس فقط[1].

كما يدلّ على هـذا وذاك استعمال القرآن في مثل : « أتأتون الذكران من العالمين » [2] أي الناس . ومثل « ليكون للعالمين نذيراً » [3] [4]. ويرى بعضهم أنه على هذا مشتق من العلم . ومن قال : يعم جميع أجناس المخلوقات يرى أنه مشتق من العلامة .

وربوبية الله للناس تظهر بتربيته إياهم ، وهذه التربية قسمان : تربية خلقية بما يكون نموّهم وكمال أبدانهم وقواهم النفسية والعقلية . وتربية شرعية تعليمية وهي ما يوحيه إلى أفراد منهم ليكمل به فطرتهم بالعلم والعمل إذا اهتدوا به ، فليس لغير رب الناس أن يشرع للناس عبادة ولا أن يحرم عليهم ويحلّ لهم من عند نفسه بغير إذن منه تعالى [5] .

---

(١) لم أظفر به .

(٢) الشعراء : ١٦٥ .

(٣) الفرقان : ١ .

(٤) الظاهر شمول الجمع للانس والجن .

(٥) تفسير المنار ١/٥٠ – ٥١ .

الظاهر ان اشتقاق العالمين من العلامة لا العلم لأن كل شيء منها علامة جلية على الصانع وهو الله جلّ جلاله. وقيل: اشتقاقه من العلم كما عن ابن عباس قال: هم صنف من الملائكة والانس والجن لأنه يصح أن يكون كل صنف منهم عالماً[1].

ولكن الأشبه أنه من العلامة كما قدمنا ليكون اسماً لكل ما علم به الخالق من الجواهر وغيرها من العقلاء وغيرهم ، والجمع لشمول الجميع لما تقرر في محله من إفادة الجمع المحلي باللام للعموم حيث لا عهد في الكلام فيفيد استغراق تربيته تعالى لجمع العوالم العلوية والسفلية ما يرى منها وما لا يرى ولا منافاة لما قد ذكر في بعض الروايات أو الكلمات من تخصيص بالعاقل أو الناس، فإنه من باب المثال لا القصر ولا لقول بعضهم عالم الملك وعالم الإنس وعالم الجن وعالم الأفلاك وعالم النبات وعالم الحيوان وكل شيء أضيف إليه لفظ العالم ، وليس اسماً لمجموع ما سوى الله تعالى بحيث لا يكون له إلا أجزاء تركيبية يمتنع من أجلها الجمع كما توهم بل إنما الجمع بلحاظ كل عالم عالم ، ومن المعلوم أنه بهذا اللحاظ كان للجمع أفراد لا أجزاء ، وإن كان لكل فرد من العالمين أجزاء تشكل عالماً منها فتدبر .

ثم إن عدد العوالم في أخبار أهل البيت عليهم السلام المروية متفاوت ، ففي بعضها ثلاثة وآخر أربعة أو خمسة ، قال بعض الأصحاب : والذي عددنا من العوالم تسعة وثلاثين ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعمائة وثمانين عالماً .

وعن الصدوق أنه روى عن الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى : « بل هم في لبس من خلق جديد »[2] . ان الله قد خلق ألف ألف آدم ونحن في آخر العوالم وآخر الآدميين[3] .

فأول طاب ثراه الحديث بإرادة مراتب التنزلات والتطورات كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : (لقد دوّرتم دورات ، وكوّرتم كورات)[4] .

---

(١) تفسير التبيان ١/١٢ .

(٢) ق : ١٥ .

(٣) الخصال ٢/٦٥٢ .

(٤) تفسير المحقق الاصبهاني : ١٣٤ .

وقوله عليه السلام : (إن لله في كل يوم ثلاثة عساكر عسكر ينزلون من الأصلاب إلى الأرحام ، وعسكر يخرجون من الأرحام إلى الدنيا ، وعسكر يرتحلون من الدنيا إلى الآخرة [1] .

أقول : كل ما جاء في هـــذا الباب من التعديد غير المتيقن ثبوته لا يصلح تفسيراً للفظ « العالمين » الدال على الشمول من غير قيد وعدّ ولا دليلاً على حصر العوالم كلهـــا العرضية منها والطولية إلا في ضمن بعض الأجناس الكلية ، فمن المحتمل قريباً حصول العدد المذكور ، بل جميـع الأعداد الواردة في الأخبار فيه إذ من الممكن أن تعد السماوات جميعها عالماً واحداً فيقال عالم السماء ، وأن يعد كل منها عالماً مستقلاً لمـا بينها من البعد الشاسع المقدر في بعض الروايات بمسيرة خمسمائة سنة وهي خروج من مدار كل سماء إلى سماء بقواها الجاذبة إلى مركزها. وممـا يكسر سورة الاستبعاد للأعداد الكثيرة من العوالم النظر إلى قانون الهيئة الجديدة التي أسسها الافرنج وبعض الاستكشافات بسبب الآلات الحديثة اليوم قالوا : ان كل كوكب من الكواكب السيارة غير القمر والشمس أرض كأرضنا تدور حول الشمس كمركز لها ، وزادوا على السيارات المعروفة سيارتين كبيرتين إحداهما « أورانوس » والاخرى « نبتون » . بـل أكثر من ذلك مسمى بأسماء أخر ووجدوا سيارات صغار كثيرة لا ترى إلا بالمكبرات المعدة لذلك. وجعلوا لكل واحد من السيارات الأول ثمانية أقمار تدور تلك الأقمار على تلك الأراضي كما أن لأرضنا قمراً يخصها، وأن كل كوكب من الكواكب الثابتة شمس كشمسنا هذه في فضاء غير متناه مع اختلافها في القرب من شمسنا والبعد عنها .

وكلما كان أبعد كان جرمه في أبصارنا أصغر والأراضي التي هي الكواكب الكثيرة فوق الاحصاء فضلاً عن إحصاء أنواعها والعلم اليوم أثبت كل ذلك حتى أصبحت اصول قواعده الهيئية من البديهيات العلمية ، وممـــا يؤيد هذا العلم ما

---

(١) تفسير المحقق الأصبهاني : ١٣٤ .

وصل إلينا من الأخبار التي تخطأ ما اعتقده السابقون من تداخل الكرات بعضها في بعض كالبصل المشبه به في كلامهم . واستكشافات اليوم لم تبق مجالاً للإذعان بما ذهبوا إليه في كثير مسائلهم الهيئية ، والذي أعتقده أن الحق والباطل يشمل كلام السابقين واللاحقين، والخطأ حليف الانسان مهما كان نوعه إلا من عصمة الله عز وجل ، وقد استعرض البحوث الهيئية من طرق أهل البيت عليهم السلام في كتب أصحابنا الإمامية كالبحار ومصابيح الأنوار والهيئة والاسلام وغيرهـــا بتفصيل لا يسع المقام قد سبق القول بأن المراد من « العالمين » هو الإنس بدليل آية : « أتأتون الذكران من العالمين » [١] .

وهو ما ذهب إليه بعض قائلا : « وهو المنقول عن جعفر الصادق والمأخوذ من بحر أهل البيت ورب البيت أدرى » . ولعل الوجه فيـــه الإشارة إلى أن الانسان هو المقصود بالذات من التكليف بالحـلال والحرام وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ولأنــــه فذلكة جميع الموجودات ، ونسخة جميع الكائنات المنقولة من اللوح الرباني بالقلم الرحماني . ومن هذا الباب ما نسب لباب مدينة العلم كرم الله وجهه :

دواؤك فيك وما تبصر … وداؤك منك وما تشعر

وتزعم أنك جرم صغير … وفيك انطوى العالم الأكبر

ومن تأمل في ذاتـه وتفكر في صفاته ظهرت له عظمة باريه وآيات مبديه : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » [٢] . بل « من عرف نفسه فقد عرف ربه » [٣] .

والمناسب هنا العموم والعوالم كثيرة لا تحصيها الأرقام : « ولو أن مـــا في الأرض من شجرة أقلام » [٤] . لا يحصى عدد العالمين إلا الله تعالى « ويخلق ما

---

(١) الشعراء : ١٦٥ .
(٢) الذاريات : ٢١ .
(٣) مصابيح الأنوار ١/٢٠٤ .
(٤) لقمان : ٢٧ .

لا تعلمون »[1] . « وما يعلم جنود ربك إلا هو »[2] .

وما من ذرة من ذرات العوالم إلا وهي في حيطة تربيته سبحانه ، بل ما من شيء مما أحاط به من نطاق الإمكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات إلا وهو في حدّ ذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية عنه آناً واحداً لما استقر له قرار ولا اطمأنت به الدار إلا في مطمورة العدم ومهاوي البوار ، لكن يفيض عليه من الجناب الأقدس[3] .

وهذا البيان نقلناه من أبي السعود فيما سبق[4] .

وما أحسن قول بعض : إنـــه تعالى يملك عباداً غيرك وأنت ليس لك رب سواه ، ثم أنت تتساهل في خدمته والقيام في وظائف طاعته كأن لك رباً بل أرباباً غيره وهو سبحانه يعتني بتربيتك حتى كأنه لا عبد له سواك ، فسبحانه ما أتمّ تربيته وأعظم رحمته . وإنما كان الجمع بالواو والنون أو الياء والنون باعتبار حالات الإعراب مع أنه في المشهور جمع قلة والظاهر مستدع لجمع الكثرة تنبيهاً على أن العوالم وإن كثرت قليلة ، بل أقل من القليل في جنب عظمة الله تعالى على أن جمع القلة كثيراً مـــا يواصله المقام إلى جمع الكثرة ، على أن بعض المحققين من أرباب العربية ذهب إلى أن الجمع المذكر السالم صالح للقـــلة والكثرة فاختر لنفسك ما يحلو .

وقـــد أشار سبحانه وتعالى بقوله : « رب العالمين » إلى حضرة الربوبية التي هي اسم للمرتبة المقتضية للأسماء التي تطلب الموجودات فدخـــل تحتها العليم والسميع والبصير والقيوم والمريد والملك وما أشبه ذلك ، لأن كل واحد من

---

(١) النحل : ٨ .　　(٢) المدثر : ٣١ .

(٣) تفسير روح المعاني ١/٧٥ .

(٤) هامش تفسير الفخر الرازي ١/٢٧ – ٢٨ . وانظره تحت عنوان « الرب » من هذا الكتاب .

هذه الأسماء والصفات يطلب ما يقع عليه ..

والأسماء المختصة اختصاصاً تأثيرياً ، فمن القسم الأول : العليم مثلاً فإن له وجهين وجه يختص بالجناب الالهي ومنه يقال بعلم نفسه ، ووجه إلى المخلوقات ومنه يقال بعلم غيره .

ومن القسم الثاني : الخالق ونحوه من الأسماء الفعلية فله وجه واحد ومنه يقال خالق للموجودات ولا يقال خالق لنفسه تعالى ، وهذا القسم من الأسماء تحت اسم الملك ومنه يظهر الفرق بين الرب والرحمن ، فهو أن الرحمن عندهم اسم لمرتبة اختصت بجميع الأوصاف العلية سواء انفردت الذات المتعالية به كالعظيم والفرد أو حصل الاختصاص بالخلق كالقسمين المتقدمين فهو أكثر شمولاً من الرب ومن مرتبة الربوبية ينظر الرحمن إلى الموجودات [1] .

والمقصود من اندراج جملة من الأسماء الحسنى تحت جملة أخرى منها وبيانه أن اسم « الرب » المبارك، وإن كان من ناحية المفهوم مفهوماً واحداً وهو معنى التربية إلا أن التربية المطلقة الكاملة لم يتحقق في عالم الوجود ، ما لم تصدر عن علم وإحاطة وعن قدرة وكال وحكمة وغيرها من معاني الأسماء الحسنى .

قال الآلوسي : وأما اسمه تعالى « الله » فهو اسم لمرتبة ذاتية جامعة وهو مشير إلى الالوهية التي هي أعلى المراتب وهي التي تعطي كل ذي حق حقه وتحتها الأحدية وتحتها الرحمانية وتحتها الربوبية وتحتها الملكية ، ولهذا كان اسمه تعالى « الله » أعلى الأسماء وأعلى من اسمه « الأحد » فالأحدية أخص مظاهر الذات لنفسها والالوهية أفضل مظاهر الذات لنفسها أو لغيرها من ثم منع أهل الله تجلى الاحدية ولم يمنعوا تجلى الالوهية [2] . لان الاحدية ذات محض لا ظهور

---

(١) تفسير روح المعاني ٧٥/١ - ٧٦ .

(٢) لعله ينظر إلى آية « فلما تجلى ربه للجبل » الأعراف : ١٤٣ .

لصفة فيها فضلاً عن أن يظهر فيها مخلوق [1] . فما هي إلا للقديم القائم بذاته .

وقال أرباب الظاهر: الداعي لا يطلب إلا ما يظنه صالحاً لحاله وتربية لنفسه فناسب أن يدعوه بهذا الاسم « أي الرب » . ونـداء المربّي في الشاهد بوصف التربية أقرب لدر ثدي الاجابة ، وأقوى لتحريك عرق الرحمـة . إن الارواح أول ما شنت آذانها وعطرت إرادتها بسماع وصف التربية كما يشعر بذلك قوله تعالى : « وإذ أخـــذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على نفسه ألست بربكم قالوا : بلى » [2] . فهم ينادونه سبحانه بأول اسم قررهم به فأقروا وأخذ بـــه عليهم العهد فاستقاموا واستقروا فهو حبيبهم الاول ومفزعهم إذا أشكل الامر وأعضل :

تركت هوى سعدى وليلى بمعزل — وعدت إلى مصحوب أول منزل

إن الله تعالى لما أوجد الكلمة المعبر عنها بالروح الكلي إيجـاد إبداع وأعماه عن رؤية نفسه فبقي لا يعرف من أين صدر ولا كيف صدر فحرّك همته لطلب ما عنده ولا يدري أنه عنده [3] :

قـــد يرحل المرء لمطلوبه — والسبب المطلوب في الراحل

« ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » [4] .

فأخذ في الرحلة بهمته فأشهده الحق ذاته فعلم مـــا أودع الله تعالى فيه من

---

(١) ظهور المخلوق في صفة من صفات الله تعالى له معنى صحيح وغير صحيح ليس هنا محـــل بيانه .

(٢) الأعراف : ١٧٢ .

(٣) جاء في أحاديث أهـــل البيت (ع) استنطاق العقل وفي بعضها جبرائيل (ع) وتحقيق البحث في محله الكلامي والحكمة المتعالية .

(٤) ق : ١٦ .

الاسرار والحكم وتحقق عنده حدوثه وعرف ذاته معرفة إحاطية ، فكانت تلك المعرفة غذاء معيناً يتقوّت به وتدوم حياته ، فقال له عند ذلك التجلي الاقدس ما اسمي عندك ؟ فقال : أنت ربي فلم يعرفه إلا في حضرة الربوبية وتفرّد القديم بالالوهية فإنه لا يعرفه إلا هو،فقال له سبحانه: أنت مربوبي وأنا ربك أعطيتك أسمائي وصفاتي ولا يحصل لك العلم إلا من حيث الوجود ، ومنه يعلم إشارة سر افتتاح الاوصاف في الفاتحة بـ « رب العالمين » ، وفيـه أيضاً مناسبة لحال البعثة وإرساله ﷺ إلى من أرسل إليه لأن ذلك أعظم تربية للعباد ورمز خفي إلى طلب الشفقة والرأفة بالخلق كيف كانوا لأن الله تعالى ربهم أجمعين :

داريت أهلك في هواك وهم عدا ولأجل عين ألف عين تكرم [1]

كلمة «رب العالمين» تعطى حصر الربوبية في الله تعالى من كل وجهٍ ، فالكلمة إقرار بالتوحيد الربوبي وأنه لا رب غيره ولا يتصف بشيء منالتربية سواه وهو توحيد غامض صعب المنال ولا يبلغ غوره ولا يدرك معناه ، على ما ينبغي إلا من استقام على الطريقة وسقى ماء غدقاً ، قال تعالى : « وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماءً غدقاً » [2] .

وهو التوحيد الذي عليه أساسي التوكل وخلوص الايمان من الشرك بأنواعه والكلمة الكريمة عامة لجميع الموجودات، ولقد تحقق معناها في العوالم الإمكانية وظهرت أسماء الله الحسنى في المخلوقين باسم الشافي والرازق والرحيم والودود وغيرها مما يغفل الخلق عن حقائقها المندرجة تحت كلمة الجلالة من اسم « الله » الجامع لجميع المعاني الكمالية ، ومن هنا جيء بلفظ : « رب العالمين » عقيب « الحمد لله » ليكون مظهراً لما للجلالة من آثار وتفصيلاً لاجمال الذات المتعالية وإشعاراً للسبب الذي من أجله الثناء الجميل له تعالى بالاستحقاق لأن تعليق الحكم على الوصف مشعر بالعلية .

---

(١) تفسير روح المعاني ١/٧٤ - ٧٦ . (٢) الجن : ١٦ .

ثم في التحميد إنعاش لمحبة المحبين ، وإيقاظ لرجاء الراجين لما في التحميد من الدلالة على وفرة النعم الجسام ، وعلى عدم تناهي الفضل والاكرام المحرّك لعامل الحب والمنبّه للرجاء والأمل، إذ كل كال على الاطلاق قد دلّ عليه لفظ التحميد والمدلول بـه على تمام النعم ، وعلى صفة الجود والكرم كما وهو السبب لانبعاث المحبة في قلوب المربوبين إذا عرف العبد أنه مربوب بتربية الله تعـالى في وجوده وحياته وقدرته وعلمه وكل شيء منه ، وكذا العالمون برمتهم فمن الذي يجدر له التحميد إلا الله جلّ ثناؤه ، وهل النعم كلها إلا من فيض كرمه ، وجوده تعالى ومن ذا الذي يحق له العبادة والمثول بين يديه إلا الله وحده ، ولعمر الله إنهـــا الكلمة الكريمة تــدل العباد على ربهم الكريم ذي الطول السرمد ، وأنها لتضمن الدين الخالص له وانهـــا لتمنح الحامد الحياء من أن يقابل ربه المنعم جلّ جلاله بمخالفته ومعصيته والاعراض عنه تعالى ، وانها لتهبه يقيناً طارفاً بأن الله وحده هو الراحم العطوف الودود وأنساً لا وحشة معه وغنىً لا فقر معه وقوة لا ضعف معها ، وأنها لتعطيه البهاء ومن جلال رباني ، وأن هذه الكلمة الطيبة مشتملة على اسمين عظيمين همـــا « الله » و « رب » وعلى اسم « المحمود » المدلول عليه لفظة « الحمد » ضمناً وعلى جميع الأسماء الحسنى من أسماء الصفات : كالعالم والحي والقدير والسميع والبصير ، وأسماء الأفعال : كالخالق والرازق وغيرهمـــا ، والذات المتعالية ككل ذلك إمـــا بالمطابقة أو التضمن أو بالملازمة العقلية أو النقلية في القرآن الكريم أو السنّة النبوية وأخبار أهـــل البيت (ع) والأدعية المروية والزيارات المأثورة وان كلمة « الله » لها الدلالة الكاملة المختصة به تعالى تدل على الذات المقدسة المستجمعة لتام صفات الكمال بدون انضمام اسم مبارك آخر له تعالى ومـــا عداها وعدى « الرحمن » بناء على أنه علم له جلّ جلاله بتفصيل حوله منا [1] .

---

(١) انظر المقصد السادس من مقاصد البسملة الثانية .

فإن سوى ما ذكر له دلالة على الله تعالى من جهة واحدة كما نبهنا عليه غير مرة ، ولجميع الأسماء الحسنى الآثار المتجلية على صفحات الأكوان عموماً وعلى الانسان بطور مخصوص لو تجلى أثر من آثار الجلالة في قلب إنسان لاندك وجوده وخرّ صعقاً ، فإذا أفاق وقد تخلى عن كل سبب دون الله أقبل بلبّه ، بل بكله عليه تعالى هناك لو حمد كان حمده خالصاً وشكره شكراً لا شرك معه لما يرى من إفاضة النعم عليه وعلى الخلق منه تعالى وعرف أنها كلها من المنعم جلّ جلاله كما قال عزّ من قائل : « وما بكم من نعمة فمن الله »[1] .

فلا يدع الحمد والشكر على حال سواء كان بلسان قال أو حال ، والعبد الكامل يحمد الله بهما جميعاً .

والحمد أنواع فربّ حامد يرى النعم الجارية عليه أو على الخلق فيحمده من أجلها وآخر يحمد الله لأنه منعم ، وعلى صفة الانعام فلا ينظر إلى النعم بما هي نعم ، وثالث يحمده تعالى حتى على فرض المحال أنه لم يكن منعماً نعمة واحدة ، ورابع يشكره من أجل أن الشكر والحمد من وظائف العبودية . ولا ينافي ذلك ما يبث من شكوى له أو وجع أو ضرّ أو غيرها على حدّ قول الشاعر :

أشكو وأشكر فعله ... فاعجب لشاك منه شاكر

مهما كانت المعرفة أكمل كان الحمد كذلك ، وعلى ذلك للتحميد مراتب متفاوتة بتفاوت معرفة الحامد .

ثم النفع العائد من الحمد إنما هو إلى الحامد لأنه جلّ جلاله غني بالذات عن حمد الحامدين وشكر الشاكرين ، وكذلك العبادة بأنواعها عائدة عوائدها إلى العابدين والطاعة إلى الطائعين كما لا تضرّه معصية من عصاه ، ومن عوائد الحمد راحة القلب وسكون النفس ومنح الصدق والوفاء والتقوى وغيرها من الفضائل

---

(١) النحل : ٥٣ .
(٢) ديوان ابن الفارض من الأشعار الرائية .

الرفيعة والحامد لا يفقدها أو بعضها البتة وأصدق شاهد ما يجده في نفسه .

للحمد والشكر واقع حقيقي كبقية الحقائق ، وليس هو من المفاهيم الصرفة التي لا تتجاوز الأذهان ، والاستعمال القولي فمن لم يتحقق بحقيقة الحمد والشكر تحققاً صادقاً لم يكن حامداً شاكراً ، وإن جرى على لسانه وقال ذلك بكل منطقه والمنعم بالنعم التي أنعمها الله جلّ جلاله عليه إن لم يصرفها فيما أمره تعالى بل صرفها فيما نهاه عنه لم يكن من الحامدين ، وإن قال ألف مرة : « الحمد لله رب العالمين » وما كان ذلك إلا استهزاء بالله عزّ وجل وكذا سائر الاذكار والأدعية حين يدعو الداعي بها ينطبق عليه المثل: « فمٌ يسبّح ويدٌ تذبّح »[1].

والآية الكريمة : « إذا جاءك المنافقون قالوا : نشهد انك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون »[2] .

فمن أهم شرط الحمد صرف العبد النعم في طاعة الله تعالى والتجنب عن صرفها في المعصية ، ومن النعم جوارح الانسان وجوانحه ، فلا بدّ من صونها عن لوث الذنوب واستعمالها في العبادة، وبعد إذا قال : الحمد لله كان صادقاً وهنا أمر وهو أن الحمد كله لله تعالى سواء أحمده حامد صادقاً أو كاذباً وللكلام حول الحامد نفسه فافهم الفرق ، وهكذا أي ذكر من الأذكار بالقياس إلى الذاكر والمذكور والعابد والمعبود، ومن المعلوم عند العقول إنما شرع الحمد وكل العبادات وأمر العباد بذلك ليتقربوا إلى الله تعالى ويصيروا من الحامدين والشاكرين لا الكافرين التاركين لما يلزمهم القيام بواجبهم العبودي العقلي، والله عزّ وجل غني بالذات عن كل حمد حامد وشكر شاكر لا ينفعه حمدهم وشكرهم وطاعتهم كما لا يضرّه كفرهم ومعصيتهم ، بل النفع كله أو الضرر عائد إلى العبد فإن شكر

---

(١) فرائد الأدب من المنجد اليسوعي حرف الفاء .

(٢) المنافقون : ١ .

أوجب الله له المزيد ، وإن كفر تعرّض لمقته كما قـــال تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد »[1] .

وكذا الإحسان والإساءة على حد قوله عزّ وجل : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها »[2] . ثم إن النعم هي الموجبة للحمد والشكر يشير إلى أهمها وأفضلها .

---

(١) ابراهيم : ٧ . (٢) الاسراء : ٧ .

من أفضل النعم الولاية

الولاية من أهم نعم الله عزّ وجل وأفضلهن ، بل هي أفضل من الصلاة والصوم وسائر العبادات كما نصت عليها نصوص أهل البيت عليهم السلام منها صحيح زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : بني الاسلام على خمسة أشياء : على الصلاة والزكاة والحج ، والصوم والولاية . قال زرارة فقلت : وأي شيء من ذلك أفضل فقال : الولاية أفضل لأنها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن [1].

وصحيح الثمالي قال : قال أبو جعفر عليه السلام بني الاسلام على خمس : إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم شهر رمضان ، والولاية لنا أهل البيت فجعل في أربع منها رخصة ولم يجعل في الولاية رخصة ، من لم يكن له مال لم تكن عليه الزكاة، ومن لم يكن له مال فليس عليه حج، ومن كان مريضاً صلى قاعداً ، وأفطر شهر رمضان ، والولاية صحيحاً كان أو مريضاً أو ذا مال أو لا مال له فهي لازمة [2] .

وصحيحه الآخر عنه عليه السلام قال : بني الاسلام على خمس : على الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والولاية ، ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية [3] .

---

(١) الوسائل ١/٧ – ٨ .
(٢) الوسائل ١/١٤ .
(٣) الوسائل ١/١٠ .

وقبل هـذه النصوص آية : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً »[1] .

قال السيد الطباطبائي بعد كلام له : وهـذا يؤيد ما ورد من الروايات أن الآية نزلت يوم غدير خم وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة من الهجرة في أمر علي عليه السلام[2] .

والباقري الصحيح قال عليه السلام : آخر فريضة أنزلها الولاية ثم لم ينزل بعدها فريضة ثم أنزل «اليوم أكملت لكم دينكم» بكراع الغميم فأقامها رسول الله صلى الله عليه وآله بالجحفة فلم تنزل بعدها فريضة[3] .

وقد فسّر المعصوم عليه السلام النعمة المبدلة بنفسه وكذا الآلاء المكذبة والمأمورة بالذكر ، فقد روى الشيخ الكليني عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن بسطام ابن مرة عن اسحاق بن حسان عن الهيثم بن واقد عن علي بن الحسين العبدي عن سعد الاسكافي عن الأصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما بال أقوام غيّروا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وعدلوا عن وصيه لا يتخوفون أن ينزل بهم العذاب ، ثم هـذه الآية : « ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم »[4] . ثم قال : نحن النعمة التي أنعم الله بهـا على عباده وبنا يفوز يوم القيامة[5] .

الحسين بن محمد عن محمد بن علي رفعه في قول الله عزّ وجل : « فبأي آلاء ربكما تكذّبان »[6] . أبا لنبي أم بالوصي تكذبان نزلت فيّ « الرحمن »[7] .

---

(١) المائدة : ٣ .
(٢) تفسير الميزان ١٧٦/٥ .
(٣) تفسير البرهان ٤٣٤/١ .
(٤) ابراهيم : ٣٤ .
(٥) اصول الكافي ٢١٧/١ .
(٦) الرحمن : ١٢ .
(٧) اصول الكافي ٢١٧/١ .

الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن محمد بن جمهور عن عبدالله بن عبد الرحمن عن الهيثم بن واقد عن أبي يوسف البزار قال : تلا أبو عبدالله عليه السلام هذه الآية : « فاذكروا آلاء الله »[1] . قال : أتدري ما آلاء الله ، قلت : لا ، قال : هي أعظم نعم الله على خلقه وهي ولايتنا[2] .

الولاية هي النعمة العظمى وهي لآية الله التي لم يقبل الايمان إلا بهـا وليست نعمة بأكبرهم منها .

من هنا جاء في دعاء يوم الغدير : «الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين والأئمة (ع) . الحمد لله الذي أكرمنا بهذا اليوم وجعلنا من الموفين بعهده إلينا وميثاقه الذي واثقنا به من ولاية ولاة أمره والقوام بقسطه . الحمدلله الذي جعل كمال دينه وتمام نعمته بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[3].

ان الولاية هي النعيم المسؤول عنه يوم القيامة ، قـــال تعالى : « ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم »[4] .

القمي بإسناده عن جميل عن أبي عبدالله عليه السلام قـــال قلت له : « لتسألن يومئذٍ عن النعيم » قال : نسأل هذه الامة عما أنعم الله عليها برسوله ثم أهـــل بيته[5] .

والكليني بإسناده عن أبي خالد الكابلي قـال : دخلت على أبي جعفر عليه السلام فدعا بالغداء فأكلت ، قال : يا أبا خالد كيف رأيت طعامك ؟ أو قـال طعامنا قلت : جعلت فداك ما أكلت طعاماً أطيب منه قط ولا أنظف، ولكن ذكرت الآية في كتاب الله عزّ وجل : « ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم » . فقال أبو جعفر عليه السلام : إنما يسألكم عما أنتم عليه من الحق[6] .

---

(١) الأعراف : ٦٩ .
(٢) اصول الكافي ٢١٧/١ .
(٣) مفاتيح الجنان أعمال يوم الغدير .
(٤) التكاثر : ٨ .
(٥) تفسير القمي ٤٤٠/٢ .
(٦) تفسير نور الثقلين ٦٦٢/٥ – ٦٦٣ .

وعن الثمالي قال : كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة فدعا بطعام ما لنا عهد بمثله لذاذة وطيباً وأتينا بتمر تنظر إليه أوجهنا من صفائه وحسنه، فقال رجل: لتسألن عن هذا النعيم الذي تنعمتم بـــه عند ابن رسول الله ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام : إن الله عزّ وجل أكرم وأجلّ أن يطعم طعاماً فيسوغكموه ثم يسألكم عنه إنما يسألكم عما أنعم عليكم بمحمد وبآل محمد صلى الله عليه وآله [1] .

لا منافاة في تفسير الآية بهم عليهم السلام وتعميمها للنعم كلهـا لأن الولاية من أفضلها وأجلاها بحيث تكون بقية النعم إلى جنبها غير مسؤولة عنها بمثل مـــا يسأل العباد عن الولاية .

والنعم غير محصاة كما قـال تعالى : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » [2] . أمرنا بالسؤال في الصلوات وغيرها نسأله تعالى في كل يوم وليلة على أقـل حساب عشر مرات في الصلوات أن يهدينا « الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » [3] . وهم الأنبياء والصديقون من أهل البيت (ع) وتابعيهم تشير إليهم آية : « ومن يطع الله والرسول فاولئك مـــع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً » [4] .

هذا آخر ما أردنا من بحث البسملة والحمدلة ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) المصدر ٥/٦٦٢ .

(٢) ابراهيم : ٣٤ .

(٣) الفاتحة : ٧ .

(٤) النساء : ٦٩ .

المصادر

القرآن الكريم

آلاء الرحمن في تفسير القرآن — للشيخ محمد جواد البلاغي ١٣٥٢
ط قم مكتبة الوجداني

الاختصاص — للشيخ محمد المفيد البغدادي ٤١٣
طهران حيدري ١٣٧٩

أصول الكافي — للشيخ محمد بن يعقوب الكليني ٣٢٩
طهران إسلامية ١٣٨١

الأمالي — للشيخ محمد بن الحسن الطوسي ٤٦٠
النجف النعمان ١٣٨٤

الأمالي — للشيخ محمد بن علي الصدوق ٣٨١
النجف الحيدرية ١٣٨٩

أنوار التنزيل — للبيضاوي ٦٨٥
مصر افست دار الكتب العربية ١٣٣٠

ايضاح الإبداع — لمحمد عليش خدود ١٢٧٩
مخطوط مكتبة زميلنا الاستادي

بحار الأنوار	للشيخ محمد باقر المجلسي ١١١١ طهران إسلامية ١٣٨٥
البرهان في تفسير القرآن	للسيد هاشم البحراني ١١١٠ طهران آفتاب ١٣٧٥
البرهان في علوم القرآن	للزركشي ٧٩٤ مصر عيسى البابي
البيان في تفسير القرآن	لسيدنا الاستاذ الخوئي دام ظله النجف الآداب ١٣٨٥
التبيان في تفسير القرآن	للشيخ الطوسي طهران إسلامية ١٣٦٥
تفسير القرآن	لعلي بن ابراهيم القمي حدود ٣٠٧ النجف الأشرف ١٣٨٦
تفسير القرآن – لم يتم –	للشيخ محمد حسين الاصبهاني ١٣٠٨ ايران ١٣١٧
التوحيد	للشيخ الصدوق القمي طهران حيدري ١٣٨٧
جامع أحاديث الشيعة	للسيد حسين البروجردي ١٣٨٠ طهران المساحة ١٣٨٠
الجامع لأحكام القرآن	للقرطي ٦٧١ مصر دار القلم ١٣٨٦
جامع البيان في تأويل القرآن	للطبري ٣١٠ بيروت دار المعرفة ١٣٩٢
الجواهر السنية	محمد بن الحسن الحر العاملي ١١٠٤ النجف النعمان ١٣٨٤

الكتاب	المؤلف والطبعة
جواهر الكلام	الشيخ محمد حسن الجواهري ١٢٦٦ النجف ١٣٧٩ وإيران
الحصن الحصين	الجزري مصر مصطفى البابي ١٣٤٩
خزينة الأسرار	النازلي بيروت دار الكتب العربية
الخصال	الشيخ الصدوق القمي طهران حيدري ١٣٨٩
الدر المنثور في تفسير القرآن	جلال الدين السيوطي ٩١١ بيروت المكتبة الشعبية
روح البيان في تفسير القرآن	اسماعيل الحقي ١١٣٧ مصر عثمانية ١٣٣٠
روح المعاني	محمود الآلوسي ١٢٧٠ مصر المنيرية
سعادة الامة	للمؤلف عفى عنه مخطوط
سفينة البحار	الشيخ عباس القمي ١٣٥٩ طهران شاني
شرح نهج البلاغة	ابن أبي الحديد ٦٥٥ مصر دار إحياء الكتب ١٣٨٥
الصافي في تفسير القرآن	الشيخ محمد محسن الفيض الكاشاني ١٠٩١ طهران إسلامية ١٣٨٤
عيون الأخبار	الشيخ الصدوق القمي النجف حيدرية ١٣٩٠

القرآن فضائله	الشيخ فخري الظالمي حيّ يرزق النجف الأشرف الآداب ١٣٨٧
الكشكول	الشيخ محمد بن الحسين البهائي ١٠٣١ طهران لاجوردي
الكشاف	محمود الزمخشري ٥٣٨ بيروت دار الكتب العربية
لسان العرب في اللغة	ابن منظور ٧١١ بيروت دار صادر ١٣٨٨
لطائف غيبية	المير السيد احمد ١٠٥٤ طهران حيدري ١٣٩٦
المجازات النبوية	السيد الشريف الرضي ٤٠٦ مصر مصطفى البابي ١٣٥٦
مجمع الأمثال	الميداني النيسابوري ٥١٨ مصر السعادة ١٣٧٩
مجمع البحرين	الشيخ فخر الدين الطريحي ١٠٨٥ النجف الأشرف الآداب ١٣٨٦
مجمع البيان في تفسير القرآن	الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي ٥٤٨ بيروت التراث العربي ١٣٧٩
المحاسن	لأبي عبدالله البرقي ٢٨٠ النجف الحيدرية ١٣٨٤
محاسن التأويل	القاسمي ١٣٣٢ مصر دار الكتب العربية ١٣٧٦
مستدرك الوسائل	الميرزا محمد حسين النوري ١٣٢٠ طهران إسلامية ١٣٨٢

المستمسك على العروة الوثقى — السيد محسن الحكيم (ره) ١٣٩٠
النجف الأشرف ١٣٨٤

مصابيح الأنوار — السيد عبدالله الشبر ١٢٤٢
نجف العلمية ١٣٧١

مفاتيح الجنان — الشيخ عباس القمي
طهران إسلامية ١٣٨١

مفاتيح الغيب التفسير الكبير — الفخر الرازي ٦٠٦
مصر الخيرية ١٣٠٧

المفردات — الراغب الاصبهاني ٥٠٦
طهران المرتضوية

المنار في تفسير القرآن — السيد رشيد رضا ١٣٥٤
مصر دار المنار ١٣٧٣

الميزان في تفسير القرآن — السيد العلامة محمد حسين الطباطبائي
بيروت الأعلمي ١٣٩٤

نور الثقلين في تفسير القرآن — عبد علي الحويزي ١١١٢
قم الحكمة ١٣٨٥

النهاية في شرح الغريب — ابن الأثير الجزري ٦٠٦
مصر دار احياء الكتب ١٣٨٣ .

الوافي — الشيخ محمد محسن الكاشاني
طهران إسلامية ١٣٢٤

وسائل الشيعة — الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي
طهران إسلامية ١٣٨٣

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

المقصد الأول :

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
اسم الله غير الله والاسم مخلوق وهو الدلالة على المسمى	١٠٥
تعاريف القوم للاسم وردودها ، تقسيمات فنية	١٠٦
للسيد الطباطبائي الاسم هو اللفظ الدال على المسمى وتفاصيل له	١٠٨
بطلان وحدة الاسم والمسمى وبيان الفخر الرازي	١٠٩
في اشتقاق الاسم من السمو أو السمة والقائل بكل لغات الاسم قد حواها الحصر قيل هي ثماني عشرة أو عشرة لغة .	١١١
حديث الإمام الرضا عليه‌السلام اسم على نفسي من سمات الله عزّ وجل وهي العبادة .	١١٣
إضافة اسم الله لامية أو بيانية والأظهر الاولى وقول أبي عبيد	١١٤

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
عدد العوالم في أخبار أهل البيت (ع) وحديث ان لله في كل يوم ثلاثة عساكر عسكر ينزلون من الأصلاب .	٢٤٧
المختار في عدد العوالم وما يرتبط بذلك	٢٤٨
دواؤك فيك وما تبصر * وداؤك منك وما تشعر	٢٤٩
إنه تعالى يملك عباداً غيرك وأنت ليس لك رب سواه	٢٥٠
قول الآلوسي حول لفظ « الله » وغيره	٢٥١
قد يرحل المرء لمطلوبه * والسبب المطلوب في الراحل	٢٥٢
كلمة « رب العالمين » تعطي حصر الربوبية في الله تعالى	٢٥٣
حول « الرب » وما يلزمه من حب المتمسك به وغير ذلك	٢٥٤
أشكو وأشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر ، وبيان نفع الحمد	٢٥٥
أهم شرط الحمد صرف العبد النعم في طاعة الله تعالى	٢٥٦
من أفضل النعم الولاية وصحاح أهل البيت (ع) وقول السيد الطباطبائي دام ظله حول آية الاكمال .	٢٥٧
تفسير آية : « فبأي آلاء ربكما تكذّبان » ومعنى الولاية	٢٥٨
تفسير آية : « لتسألن يومئذٍ عن النعيم » ونفي التنافي	٢٥٩
بين النعمة المادية والولاية	٢٥٩
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين	٢٥٩